UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM



الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

رئاسة الجُمهوريّة

المجلس الأعلى للغة العربية





أمحمّد صافي المستغانمي

مسار ومنجزات

- أعمال الملتقى الدّولي -

(الجزء الأوّل)

منشورات المجلس 2021

وجاء الرّجلُ المنير بحسن التّدبير، وبما أحاط حوله من جماعة التّفكير. وأخرج الملفَ من مغلاق الأبراج، وأعمل فيه البصر والبصيرة بالعلاج وها نحن نشهد الحلّ لمشكلة المعجزة، وما كان من الخيال أضحى حقيقة. إنّ الفضل لدور هذا الشّيخ، إنّه الأستاذ (أمحمّد صّافي) المستغانمي الذي ينال اليوم التّكريم، لفعله السّليم؛ وهو أهل لكلّ تسنيم.

أيّها الصّافي؛ هي شينيّةُ التّشريف لشخصكم الشّديف، في ما أشَعْتم من استبشار الجذور؛ التي شاطرتم بها زملاءنا في المعجم التّاريخيّ؛ الذي تجشّمتم نشاطَه في تقميش ما أُشيع وما أُهمِل، وتقريش إحياء الشّباب في مشمول حروف العربيّة المحشيّة بالمستعمِل والمهمَل، في وحشات الكتب الصّفراء الشّحيحة، وتشاطرون غشيان الشّارد في وحشته وتعملون على إشراق شمسه؛ حتى تعودَ الى مشرح الاستعمال لا شاكٍ بل شافٍ. ويأتي هذا المشروع شارحاً؛ يغشاه البِشْر بشهادة الشّهد وبتباشير الرّشد، لا يحمل المشاحنة، ولا يُشْطي الأشطان، فَشَرَفاً للشّيخ الصّافي شَرَفاً، وشغفاً بعملكم كاشفاً.



المجلس الأعلى للغة العربية

52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر

الهـاتف : 16/17 07 23 21 213+

النّاسوخ : 07 07 23 21 213+

الموقع الإلكتروني : www.hcla.dz





الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
رئاسة الجُمهوريّة
المجلس الأعلى للغة العربيّة



أمحمّد صافي المستغانمي

مسار ومنجزات

أعمال الملتقى الدّولي

الجزء الأوّل

منشورات المجلس 2021

الفهـرس

القسم الأوّل

-المقدّمات-

القسم الثاني

-في رِحاب سورة وجواهر الدُّرر-

04	مَجَالِسُ تَدَارُسِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَتَطْبِيقَاتُهَا العَمَلِيَّةُ عِنْدَ الشَّيْخِ أمحمّد صَافِي المُسْتَغَانِمِيِّ. (مِنْ خِلَالِ بَرْنَامَجِ فِي رِحَابِ سُورَةٍ). د. عبد الرّحيم بوقطه.	الجزائر.	240-181
05	دور الإعلام في توجيه البحوث الجامعيّة دراسة لآليّات الحجاج والإقناع الحلقة 02 من حصّة (في رِحاب سورة للعلامة أمحمّد صافي المستغانمي -سورة الرّحمن- أنموذجا). أ.د هارون مجيد. ج. حسيبة بن بوعلي، الشّلف.	الجزائر.	254-241
06	الجهود البلاغيّة لــ أمحمّد صافي المستغانمي في تفسيره للقرآن الكريم-من برنامج في رِحاب سورة (سُور الطّواسين نموذجا). أ.د محمّد سعيد حسين مرعي. كلية التّربية للبنات، جامعة تكريت.	العراق.	304-255
07	آليات التّفسير المعاصر للقرآن الكريم، دراسة في الآليات وملامح التّجديد. جهود (أمحمّد صافي المستغانمي) في برنامج (في رِحاب السّورة) مثالا. د. زهرة بن يمينة. ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم.	الجزائر.	320-305

08	**ميزات الأسلوب الخطابيّ عند أمحمّد صافي المستغانمي برنامج (مع القرآن) حلقة لأمثال في القرآن الكريم، أنموذجا.** د. وردة كبابي. ج. عباس لغرور، خنشلة.	الجزائر.	352-321
09	**أنماط المقاربة التّفسيرية في علم مقارنات السّور عند صافي المستغاتمي؛ -دراسة نماذج من كتاب جواهر الدّرر-.** أ.د جيلالي بن يشو. ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم.	الجزائر.	374-353
10	**نحو نظريّة للسّورة القرآنيّة، قراءة في كتاب جواهر الدُّرر، للدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي.** د. آمنة بلّعلى. ج. مولود معمريّ، تيزي-وزو.	الجزائر.	408-375
11	**ملاحظات منهجيّة في ضوء علوم القرآن لكتاب؛ (جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّوَر لمحمّد صافي المستغانمي).** أ.د نوار عبيدي. ج. باجي مختار، عنابة.	الجزائر.	436-409



المقدّمات









الإشكاليّة
الملتقى الدّوليّ أمحمّد صافي المستغانميّ
-مسار ومنجزات-

الدّيباجة: في إطار ردّ الأفضال لذويها، وتكريمًا لشخصيّات وطنيّة خدمت الشّأن العامّ، ينوي **المجلس الأعلى للّغة العربيّة**، بمعيّة **مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة وجامعة عبد الحميد بن باديس** بمستغانم أن ينجزوا ملتقى دوليًّا حول شخصيّة عالمة فذّة قدّمت خدمات نالت البعد العالميّ. شخصيّة أصيلة تضاف إلى **المستغانميين** الذين شرّفوا بلدهم الجزائر في الإصلاح وفي الرّواية وفي اللغة العربيّة، وفي البلاغة وفي تفسير الذكّر الحكيم.

ويعدّ **السّيد أمحمّد صافي المستغانمي**، من الشّخصيات العالمة المهاجرة التي لم تنس خدمة الوطن؛ شخصيّة قدّمت خدمات جليلة لمشروع قوميّ كبير؛ وهو

(المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة) كان له فيه فضل الانطلاقة الذي بدأت ثمارہ تُقطف من خلال المجلّدات الثّمانيّة (08) التي ظهرت في اليوم العالميّ للّغة العربيّة؛ 18 ديسمبر2020.

وإنّ السّيد أمحمّد صافي المستغانمي، الباحث المطروح للدّراسة جدير بأن يُبحث فيه، وتجرى عليه الدّراسات، وتنجز الأطاريح؛ نضير ما قدّمه من أفكار في البلاغة وفي اللغة وفي التّفسير... وهي جملة تداعيّات علميّة تعمل على تقديم قيمة مضافة للبحث العلميّ باللغة العربيّة.

وعليه، ندعو كلّ من يهمّه الأمر الإسهام في علاج محور من المحاور المطروحة، أو ما يقرب إليها ليكون الاحتفاء علميًّا، بتكريم هذا الباحث الجدير لما قدّمه في خدمة الشّأن العامّ.

الإشكاليّة: نرُوم من هذا الملتقى الدّوليّ استقطاب أمثال هذه الكفاءات المهاجرة لتقديم الوصفات المائزة التي بصُروا بها، وإسقاطها على الرّاهن من أجل حسن التّدبير فإلى أيّ مدى يمكن الإفادة من مفاتيح النّهوض التي نجحوا بها في الخارج؟ وتطبيقها على الدّاخل، وهل يمكن استقطاب هذه الكفاءات محليًّا؟ وماهي الوصفات التّحديثيّة التي تفيدنا لخدمة المواطنة اللغويّة، وتحسين الواقع الثّقافيّ واللغويّ؟ وكيف نربط هذه الأدمغة لخدمة الشّأن العامّ في بلدهم الأمّ؟ وماهي الخدمات المنتظرة منهم؟ تلكم جملة الأفكار التي نطرحها

للباحثين، ويتبارى فيها أهل القلم من أجل تقديم مدوّنة علميّة مائزة يستحقها المكرّم فأنْعِمْ به من رجُلِ الأمّةِ!

وإليكم محاور الملتقى:

1-الجهود البلاغيّة البيانيّة في برنامج (**في رحاب سورة**) الذي بلغت حلقاته على الشّابكة (300) حلقة.

2- مقاربة التّفسير من خلال برنامج (**في رِحاب سورة**) دراسة شخصيّة السّور القرآنيّة ومعالمها وخصائصها ومقارنات السّور.

3- مقام أحمّد صافي المستغانمي مع الشّخصيات الجزائريّة العالمة المهاجرة.

4-مسار الباحث **أحمّد صافي المستغانمي** ومنجزاته، دراسة تحليليّة لأعماله:

4-1. جوهر الدُّرر في علم مقارنات السّور.

4-2. مفاتيح النّجاح وسنن السّعادة.

4-3. بلاغة النّظم في لغة الجسم في القرآن الكريم.

4-4. تصريف القول في القصص القرآني: دراسة مقارنة لقصة موسى عليه السلام.

4-5. ديباج القرآن وعرائس الفرقان: وقفات تدبّريّة في﴿آل حم﴾.

4-6. هندسة السّورة القرآنيّة: رؤيّةٌ تأصيليّة.

4-7. الخطيب النّاجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع.

4-8. كيف تصبح فصيح اللسان؟

5-جهود **أمحمّد صافي المستغانمي** في المجلّدات (08) الثّمانيّة للمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة.

6-دراسة واصفة تحليليّة لبرنامج (**البيان القرآنيّ؛ 114 حلقة**).

7-دراسة واصفة تحليليّة لبرنامج ﴿**كذلك يضرب الله للنّاس أمثالهم**﴾ 30 **حلقة**.

8- الفكر التّداوليّ في مؤلّفات **أمحمّد صافي المستغانمي**.

اللجنة العلميّة:

- الأستاذ الدّكتور مصطفى بلحاكم، مدير جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم؛
- الأستاذ الدّكتور جيلالي بن يشو، عميد كليّة الآداب والفنّون؛
- البروفيسور صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛
- الأستاذ الدّكتور الخليل النّحويّ، رئيس مجلس اللسان العربيّ بموريتانيا؛
- الأستاذ الدّكتور عبد الحميد مدكور، الأمين العامّ لاتّحاد المجامع اللغوية العلميّة العربيّة.

فريق جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم:

- الأستاذة الدّكتورة، مختارية بن قابلية؛
- الأستاذ الدّكتور، عبد القادر حاج علي؛
- الأستاذ الدّكتور عبد الحليم بن عيسى؛
- الدّكتور نور الدّين دحماني؛
- الدّكتور قاضي الشيّخ.

فريق المجلس الأعلى للّغة العربيّة:

- الأستاذة زوليخة خراز، مديرة دراسات بالمجلس الأعلى للّغة العربيّة؛
- الأستاذة سناء رمضاني، رئيسة دراسات بالمجلس الأعلى للّغة العربيّة؛
- الأستاذ رياض شلابي، مدير الإدارة والوسائل بالمجلس الأعلى للّغة العربيّة.
- الأستاذة نورة مراح، إطار بالمجلس الأعلى للّغة العربيّة.



كلمة البروفيسور صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

إنّه لمن دواعيّ الفخر أن تُنجز هذه المدوّنة الكبيرة، في حقّ المحتفى به (**أمحمّد صافي المستغانمي**) وتكون جاهزة قبل انعقاد الملتقى الدّوليّ الموسوم بـ(**أمحمّد صافي المستغانمي: مسار ومنجزات**). وقد دعونا العلماء والمفكّرين والبحثة للاستكتاب الجماعيّ وحصدنا سبعة وخمسين (57) مداخلة، وكانت كافيّة لتغطيّة كلّ المحاور التي وضعتها اللجنة العلميّة لهذا الملتقى الدّوليّ.

لقد تلقينا هذا الكمّ العلميّ المتعدّد عن علماء الأمّة من مختلف أقطار الوطن العربيّ، ونحسبها مدوّنة مرجعيّة مهمّة نُهديها للباحث العصاميّ (**أمحمّد صافي**) نظير جهوده وأفكاره واجتهاداته، التي نالت مواقع مائزة في الكتب وفي المنابر الإلكترونيّة، وعبر الفضائيّات التي عملت على نشر الاجتهادات التي كان الباحث يُدافع من أجلها، واستطاع أن يكوّن مجموعات من المريدين تواصل المسيرة، إلى جانب ذلك هناك إشادات من المستكتبين حول هذا العالم لما يقدّمه من أفكار بخصوص المشروع الحُلْم؛ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة الذي بعثه من السّبات

الذي طال عليه لُبَد الزّمان، واستطاع أن يستنهض الباحثين العـرب لتفعيـل آليـات هذا المشروع الذي بدأت ثماره تنضـج مـن خـلال المنجـز التّجريبـيّ في المجلّـدات الثّمانيّة بحرفين (أ ـــ ب) ويعـرف المشرـوع حركـة علميّـة، وسيصـل إلى المبتغـى حسب ما وقع التّخطيط له.

هي مدوّنة نُنجزها ونُهـديها لهـذه الشّخصـيّة العالمـة؛ اعترافًـا بجهـوده العلميّـة وبأفكاره القوميّة وهي عربـون وفـاء؛ تقـديرًا للعـاملين عـلى خدمـة الشّـأن العـامّ وأمحمّد صافي من سدنة شأن العربيّة، فَأَنْعِم به من خـدوم! إنّهـا هديّـة عظيمـة مـن علماء الأمّة لرجل يخدم الأمّة ويستحقّ كلّ التّكريم لما لـه مـن أفضـال التّـدبير بغيـة الوصول لحسن التّطوير، وهو بمثابة الغصن المثّمر الثّمريّ، الذي أثّمـر عـلى فاكهـة طيّبة، وينطبق عليه قول الشّاعر:

ولكـن كـريم الأصـل كالغصـن كلّـما حمّـل أثـمارًا تواضَـعَ وانْحَنَـى

والشّكر لكلّ الذين أعملوا النّظر في مدوّنات الباحث، وطرّزوا من خلالها هذه الكلمات في المداخلات التي أسـهموا بهـا، فهـم أهـل الهمّـم، وبوركـت خطـوات العاملين، والطّريق تصنعه الأقدام، ونحن على العهد ماضون، بتشجيع كـلّ باحـث يحمل همّ خدمة العربيّة الجامعة فَأَنْعِم بها من خدمة!

وفي إطار الشّراكة العلميّة بين المجلس الأعلى للّغة العربيّة، وجامعة عبد الحميـد بن بـاديس، مسـتغانم، ضـمن اتّفاقيّـة موقّعـة بتـاريخ: 08 جويليّـة 2021م، بـين الطّرفين، فإنّ المجلس يُنجز هذا العمل الذي تـوزّع عـلى ثلاثـة أقسـام، ويُعـدّ هـذا

العمل وسامًا تُعلقه الجامعة والمجلس لسعادة الأستاذ الدّكتور **أحمّد صافي المستغانمي** هديّة تكريم استحقاقًا لما يقدّمه لبلده الجزائر من إسهامات في ميادين الثّقافة الجزائريّة ويعمل على نشرها والتّعريف بها في مختلف القارات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نظير ما يقدّم للأمّة العربيّة من خِدمات علميّة في إنجاز المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، وما يلقاه الفريق الجزائريّ المُسّهم في هذا العمل من رعايّة علميّة ومتابعات دائمة. ولهذا نبارك هذا التّكريم الاستحقاقيّ للأستاذ المُحتفى به، ونسأل الله أن يُعليّ مقامه، ويَسْمُو في خدمة الشّأن العامّ.

إنّه كتاب مجلّد يقدّمه الطّرفان في الملتقى الدّوليّ الذي ينعقد، بجامعة عبد الحميد بن باديس، بمستغانم، بتاريخ 05 و06 ديسمبر 2021م، تزامنًا والاحتفاء بشهر اللغة العربيّة (ديسمبر من كلّ سنة). ومن خلال هذا المنجز، فإنّنا نقدّم خالص التّقدير لكلّ الأساتيذ الذين أسّهموا بمداخلاتهم، ولكلّ الذين عضدونا في هذا المنجز العلميّ، ليستويَ عودُه في هذا الشّكل المتميّز، ويصلَ التّقدير إلى كلّ الأطراف التي نَضَدَت العمل، ليكون مرجعًا علميًا يُفيد الباحثين، ويشهد على ذوي خدمة الأمّة بالإخلاص والتّفاني ارتقاء للحضارة، والنّهوض من جديد. وكلّ التّحايا نُقدّمها إلى اللجنة العلميّة، التي أعدّت الإشكاليّة وتابعت ورود المحاضرات، وأعملت البصر والبصيرة، في ما ورد من مداخلات، ولهم جزيل الشّكر، ووافر المودّة. وإلى سعادة الأستاذ الدّكتور بلعباس يعقوبي، مدير جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الذي أكرمنا بإنجاز الملتقى، وقدّم كلّ التّسهيلات

لنجاحه، وبخاصّة ذلك الاحترام الكبير الذي يوُليه للمجلس الأعـلى للّغـة العربيّـة ونقول له: شكرًا أيّها الكبير والعالم الجليل لكلّ ما تقوم به من إنجازات قيّمة لتطـوير منظومة تسيير الجامعات الوطنيّة ومزيدًا من التّألّق.

ووفّق الله الجميع من أجل خدمة جلالـة الملكـة (**اللغـة العربيّـة الجامعـة**) التـي نسجت عُـرى الحضـارة الشّرقيّة، وأصـبحت حضـارة إنسـانيّة؛ بحيـث أعطـت وأخذت وتفاعلت، وكانت لها مكانة في الكوكبة البشريّة والحضارة الإنسانيّة.

فَبُورِكتْ خطوات الجميع من أجل نهضة حضاريّة منتظـرة مـن هـذه المشـاريع الكبرى، التي تعمل على نقلة علميّة نوعيّة للّغـة العربيّـة، ونراهـا قريبـة في خريطـة اللغات الجديدة التي تحصل بعد نهايّة سنة 2026م.

وإلى مواعيد علميّة قادمـة، نُسـدي كـلّ التّقـدير للـذين حضـرّوا ويُحَضّـرون ويُحاضرون في هذا الملتقى الدّولي، وإنّا بهم متألّقون. ووفّقكم الله لخدمـة مـا يجمعنـا ويُعلي من شأننا.

رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

دورُ أمحمّد الصّافي في بَعْثِ المعجم التّاريخي♥

صالح بلعيد

أيّها الحضور الكرام، أردتُ أن أقدّم أمامكم شهادات عِرفان، لشخص له علينا من الفضل كُثران، وجدير أن ينال الأوسمةَ بالفيَضان؛ من جامعة عبد الحميد بن باديس الشُّهران، بمعيّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة يصطحبان، ومن الأساتيذ الذين كتبوا مقالات بالسّلطان، ومن هؤلاء الحضور القوّي لمتابعة أعمال الملتقى الدّولي (أمحمّد صافي المستغانمي: مسار ومنجزات) باحثون شيوخ وشباب يلتقيان. ورأيت أن أقدّم الكلام الوافي في السّيد الصّافي؛ الذي كان سبباً في بعث المعجم التّاريخي. معجم كان مشروعاً ينتصِر، وبقيَ في أبراج المجامع يحتضِر، وأضحى حُلْماً يُنتظِر. وانقلب السّحرُ على السّاحر، وجاء الرّجلُ المنير بحسن التّدبير، وبما أحاط حوله من جماعة التّفكير. وأخرج الملفَ من مغلاق الأبراج، وأعمل فيه البصر والبصيرة بالعلاج، وها نحن نشهد الحلّ لمشكلة المعجزة، وما كان من الخيال أضحى حقيقة. إنّ الفضل لدور هذا الشّيخ، إنّه

♥-ألقيت الكلمة في الملتقى الدّوليّ (أمحمّد صافي المستغانمي: مسار ومنجزات) جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، في 5 و6 ديسمبر 2021م.

الأستاذ (أمحمّد صافي) المستغانمي الذي ينال اليوم التّكريم، لفعله السّليم وهو أهل لكلّ تسنيم.

وأريد في البداية تذكير الحضور؛ بأنّ المجلس الأعلى للّغة العربيّة، بمعيّة المجلس الإسلاميّ الأعلى أنجزا ملتقى حول (الأدب الصّوفي) وكان (الصّافي) من المُسهمين، وقدّمتُه بما يلي: ((أبدأ بـ أمحمّد صافي، وهو من أهل الصّوفي، وقد ضبطتُ كلماتِه مِن برنامج (في رِحابِ سورة) الذي نشهد له بمخالفاته لثنائيات السّامرائي، ومخرجات إيجاز البيان للصّابوني، فهو نسخة من فذلكات (الصّافي) وأنْعِمْ به من البرنامج الشّافي!

أيّها الجمع الكبير، لقد بصُرت بأنّنا نملك عقلاً جزائرياً مهاجراً، يجول في القرآن بالمَحجّة، ويردّ على غير أتباعه بالحُجّة، ولما اطّلعتُ على سيرته العلميّة خطرتْ ببالي المقامة العلميّة، والتي يقول فيها صاحبها: "حدثّنا عيسى بن هشام قال: كنتُ في بعض مَطارح الغُربة مُجتازاً، فإذا أنا برجلٍ يقول لآخر: بمَ أدركتَ العلمَ؟ وهو يجيبه قال: طلبتُه فوجدتُه بعيدَ المُرام، لا يُصطاد بالسِّهام، ولا يُقسَّم بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يُضبَط باللجام، ولا يُورَّث عن الأعمام، ولا يُستعار من الكرام، فتوسّلتُ إليه بافتراش المَدَر، واستنادِ الحَجَر، وردِّ الضّجَر وركوبِ الخَطَر، وإدْمانِ السّهَر، واصطِحابِ السّفَر". فرأيتُ هذا الوصف ـ يا أمحمّد ـ يليق بكم، بما تجشّمتم من مضايقات طلَب العلم في ماليزيا وفي أمريكا وفي كثير من بلاد الغُربة. وبعد خروجكم من وهران، حصل لكم التّألّق

بالأتعاب، ومسحتم الصّعاب، وبذلك نِلْتُم الإعجاب، وإثْرها كان لكـم المُقـام وأنتم جديرون بكلّ المَهام).

وفي هذا اليـوم إخـواني، أُلقـي علـيكم مقامـةً شـينيّةً، في حـقّ هـذا الرّجـل الشّهامي؛ واخترت قاعدتَها حرف الشّين؛ لما له مـن تصـدّر الحـروف الشّمسـيّة ولمواصفاته الحاملة للهمس والرّخاوة والاستفال والانفتاح، وله صفّة التّفشـي قويّة لا توجد إلاّ فيه، ولما لدلالاتها الحاملة للشّموخ والشّيَم والشّعْب والشّباب والشّـدة والجياشـة والشّـيبة والجـأش والشّـجاعة والشّـدو والشّـغب والشّـأن والشّنشنة، وغيرها ممّا يأتي من مشاكلات الشّين، وتعمل عـلى بلاغـة تشـخيص الشّرارة الشّعريّة الشّبكيّة الحاملة للانتعاش، في مدرج وسط اللسان. كـما وردت قوّتُها في شعر العرب القدامى، وهم ينافحون عن الشّهرة، ويقولون:

شـــمسُ شخصِـــكَ شُـــهُبٌ تشِـــعُّ   شـمايلَ مثـل شـامةِ شـمعِ شـايلِ

وكما ورد في طرائف الأعشى:

وقــد غَــدَوْتُ إلى الحــانوتِ يَتْبَعُنــي   شــاوٍ مِشــلٌّ شَــلولٌ شُلشُــلٌ شَــوِلُ

أيّها الصّافي؛ هي شينيّةُ التّشـريف لشخصـكم الشّـديف، في مـا أشَـعْتم مـن استبشار الجذور؛ التي شاطرتم بها زملاءنا في المعجم التّـاريخيّ؛ الـذي تجشّـمتم نشاطَه في تقميش ما أُشيع وما أُهمِل، وتقريش إحياء الشّباب في مشمول حروف العربيّة المحشيّة بالمستعمِل والمهمَـل، في وحشـات الكتـب الصّـفراء الشّـحيحة وتشاطرون غشيان الشّارد في وحشته، وتعملون على إشراق شمسه؛ حتى تعـودَ

الى مشرح الاستعمال لا شاكٍ، بل شافٍ. ويأتي هذا المشروع شارحاً؛ يغشاه البِشْر بشهادة الشّهد، وبتباشير الرّشد، لا يحمل المشاحنة، ولا يُشْطي الأشطان، فَشَرَفاً للشّيخ الصّافي شَرَفاً، وشغفاً بعملكم كاشفاً.

أيّها المحتفى به، إنّ الأخلاّن شاطرونا مُنعش الشـّراب مـن مُـدوّناتك، بـما أعملوا فيها من شُعلات البحث في ما شهدوه في عالمٍ هـو أنـتمُ البـائعُ المشـترى وأنتم الشِّراعُ المُهتدى، وقـالوا أشـياءهم في باحـث اشـتدّ عـودُه؛ فنفـعَ وشـفعَ وشنّفَ. ونحن من هذا المكان، نشكر لكم مـا حملتمـوه مـن شـعلة الحُلـم التـي بدأت تتحقّق بالإشراق والعَشّي، في المعجم التّاريخي الرّشي، وقـد أصـبحتم لـه شيخاً منتشر الإشادات، بكثير من النّشاطات. وأنا واحد مَن شَهِد شهْد الأشياء المنتظرة؛ منذ ما يقرب من قرن، من (فيشر/ Fischer) والحلـم لم ينتـشر، والآن نُبشّر أنفسنا بقدوم البشائر، والإشادة بمنجزنـا الـذي كنـتم وراءه؛ تستشـعرون سموَّه الأستاذ العالم المؤرّخ (سلطان القاسمي) وترفعون لـه كـلّ التّباشـير بـأن يكون وراء المشروع، فكان له شفيعاً؛ بـأنّ أغـدق عليـه وأشـفى. وإنّ المجلـس الأعلى يرفع لسموّه آيات الشّكر، ونسأل الله أن يُعليَ شأنه، ويُـنعَشَ ويُشْـمَخَ في عرش الرّحمن، فسيكون له بشيراً وشفيعاً يوم الحشر، وتغشاه شآبيب الرّحمة يـوم لا ظلَّ إلاّ ظلُّه، وتشْرُق شمسُه التي تشيع بشائره. فأبْشِرْ يا سـموّ الأمـير، إنّكـم أتقنتم فنّ التّرقيش، في مهام التّفتيش، ورفع التّهميش، عن عربيّـة التّأسـيس إلى عربيّة التّرسيس، فلكم بالغ المقام، يا صاحب الشّأن الهُمام.

الأخ العزيـز (أمحمّدصــافي) إنّنـا نستشـعر صِـدْقكم، ومـا تقومـون بـه في استصحاب هذه الجيوش الباحثة في مشروع الأمّة؛ المُبشّر بالنّشر المكـاشر، وأراه قريباً حاملاً شعلةَ سدِّ الشّغورِ، الذي مسّ شجرة العربيّـة في جـذورها وأفنانهـا وشعابها. وإنّنا نَدين بالشّهامة لكلّ أصحاب الشّعور بالمَهمّـة، وأنـتم عـلى رأس كشّافة شؤون الشّأن العامّ، الذي شددتم بـه لمّ شـمل الأمّـة، في اجتيـاز شُـعَب المعجم، بمشعل يربط الشّعور، ويسـدّ الثّغـور، في كلالـة الشّـغور. كـلام كثـير استوحشتُ حواشيَه، ولكنّي أدركـتُ أنّ المُهـمّ في هـذه المَهمَّـة؛ أنّكـم تفـرّغتم بشَغَفِ المُربّي للمُعجم التّاريخيّ، واصطفيتم بشعار المُرشد التّنفيـذي؛ بـما جمعـتم من مجالات التّشظي؛ الذي لم تسطع كثـرة عشـائر بنـي قومنـا مـن الغـاشي، بـما قمّشوه من كلام وتنظير دون قشيّ، وبقي شاقاً في مُهج الحشا، دون أن يكون لـه مَقْسَم الشّفرات الشّماء، فـركبتم الصّـعب مسْتبشـــراً الطّريـق تصـنعه الأقـدام وانطلق القطار دون صفّارة الإقدام.

فيا أيّها الحضور، لقد انطلقنا، ولقد شغلتنا الجذور، وكذلك شُـغِفْنا بالجـذور المنجَزَة، ونيّفت الثّلاثة ألـف وخمسـمئة (3500) وتتواصـل المسـيرةُ؛ لتحقيـق تقميش مادةِ السّـت عشـــرة ألـف وثمانمئـة (16800) الباقيـة. والعُهـدة عـلى الرّاوي؛ الذي كان شاهداً على مشاهد الشّرف الذي نالـه الفريـق الجزائـريّ، في الحفر الأفقي والشّاقوليّ لاستسهال التّشفير والتّعميّة التي انغلقت عليها جـذور الشّواهد في عصورها الخمسة الخوالـد. وفي كـلّ هـذا، نـرى (الصّـافي) يُشـاطر

إخوانَنا وَحْشة الشّواهد: فكّ تعميّةٍ، وإعمالُ تحشيّةٍ، وتبليغُ توشيحٍ، وتجسيرُ تشبيكٍ، وذلك ما وحّد المَمْشى الذي شاعت منه البُشْرى. وبقدر ما كنتَ تعضُد الفريق الجزائري بالبُشْرى، يمتدّ ذات التّعضيد إلى تقديم التّأشير لِفِرَقِ الوطن الكبير في الوِرَش، وهم حشْد من الجيوش بالكثرة التي عملت على اشتغال عامل النّبش في البحث عن الاشتقاق الذي يشدّ المعاني بالشّد، وكان أن أُفيدوا من استشارات أشراط الدّليل الاسترشادي، لمداليل تدبير أرومة التّشجير، من ساميات وعُروبيات وعربيات وغربيات وشرقيات الماضي والحاضر. فَأَنْعِمْ بكم يا رَجُل! فأنتَ أمّة، والرّجلُ الهمّة، وأنّ شهامتك تطيش كلَّ مشاجرة، بما جمعتَ عليه الجماعة، ولم ترتخِ أو تشقى.

شَكَرْنا الباحثَ الصّافيَ، الذي قدّم الحلَّ الشّافيَ، ومن لا يشكر النّاس لا يشكر الله بالوافي، وسنشكر لكم القدوةَ، بما لكم من قدرة، ومهما تجيش نفسي عن الشّكر؛ فليس الشّأنُ فيها، ولا في وحشة النّفوس إلى أبدانها، بل إلى تشجيعها والاهتمام بها، والنّفس تتوق إلى عُشّها، وإلى من يرفع الغِشاوة عنها وكلّما يلكؤها الزّمان؛ فحنينها لأوّل عشٍّ. وهنا وُلِدَ هذا الشّبلُ الذي أضحى شَدْقَماً شَكِمَ الأشْداخِ. ها قد عدتَ، وأنتَ في مقام الشّهامة والنّشامى والإشعاع، عدتَ وأنتَ ورشةٌ تحمل شمعدان مشعل شفاء العرب في مريضهم الذي بقيَ في فراش مشاعر الآمال، وعلى شاطئهم مركبٌ ينتظر النّشور وبفضلكم جاءته المشورة، ونأمل أن تكون إشراقة، ونخرج من أزمة الكسلان

التي لحقت أمّة القرآن، ولم تدوّن لمعجمها الشّهران. ويا أيّها المستغانمي الشّهم أراك عَلَوي الشّأن، وهي مشيخة الكبار الذين تشتاقهم الجنّة بالأشجان ونسأل الله لكم بسطةَ عُمر الشّيوخ، لتوصيل المَهَمَّة بالشّموخ، وأنتم اليوم في هذا المُدرّج الذي يزخر بالشّباب، وكلّ منهم يجلو غشاوة الأبواب، علّه يُسهم في مشروع القرن، وتبليغ العربيّة لشاطئ الأمن. وفي هذه البلدة الجميلة؛ بلدة جلالة الصّالحين والعالمين والشُّطار الفالحين، وبلدتكم هذه ترفع رأسها بكم وأنتم أهل لهذا التّكريم الذي تتوشّحون بوسام بلد الخشوع والعيش معاً بسلام وفي جامعة الشّعاع ابن باديس الهُمام، والمجلس الأعلى للّغة العربيّة بقصد المهام. مُبارك عليكم هذا الوسام، مُبارك علينا تيجان النّيشان أيّها الكرام، ومَزيداً من قطْف ثمرات أهلِ الشّهامةِ والشّهادةِ والشّجاعةِ والجيّاشةِ، وكلّ ما يوحي به حرفُ (الشّين) من التّرفّع عن الفِعْل المُشين، وأختم بالسّلام بشعار المؤمنين السّلامُ عليكُمْ ورحمَةُ اللهِ وبركاتُه.

الظِّلّ الضّافي

في فضائل الشَيخ أمحمّد صافي (مقامة).

د. ياسين بوراس
ج. محمّد بوضياف ، بالمسيلة

بسم الله خالق الأكوانْ، والصّلاة والسّلام على نبيّه العدنانْ، محمّدٍ عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم من الجِنان إلى الجِنانْ، ثمّ تحيّة وسلاما لمن وهب نفسه لخدمة لغة القرآنْ، أمحمّد صافي عظيم الشّانْ، صاحب الفضل والإحسانْ، ابن التّلال والفيافي، أديب المهجر ناظم القوافي، العابد الزّاهدْ، العالم المجاهدْ، فخر الجزائر والإمارةْ، بهيُّ الشّارة لبيب الإشارةْ، حلو النّضارةْ حاذق الأمارةْ، الفقيهُ الألمعيُّ اللغويُّ الأصمعيْ، العالم النّحريرْ شيخُ الجمّ الغفيرْ، ذو العِلْمِ الغزيرْ لمن شدّ المسيرْ حازَ المودّة والتّقديرْ. الحافظ المتدبّرْ، اللغويّ المفسِّرْ، المعجميّ المدبِّرْ، فريد عصرهِ نبيه مصرهِ، شافعيُّ علمهِ منْ كلّ دُرٍّ حوى، فذي عربيّة للنّطق أتقنَ، وذا نحو أطلق فيه العِنان وأرسنَ، وذي عقيدة ألمّ بها وأيقنَ، وذي أصول أحكم فيها العلمَ وأَمْتَنَ وذا تفسير للقرآن فيه أَمْعَنَ، وذا إعجاز للقرآن بَيَّنَ، وكلّها علوم يحتويها عقل من بحبّ الشّرع فُتِنَ، وذا إمامنا لله درُّهُ، فبربّ ونبيّ آمن، وبشرع الله فُتِنَ وأَعْلَنَ.

فذي خطبةٌ أسّس لها ونظّرَ، في كتابٍ (الخطيب النّاجح) أبدع فيه وأبهرَ، أودعه من علمه ما استأثرَ، وخطبِ الحجاجِ وأبي جعفرَ، حتّى صار دليلا للخطيب فيما

استعسرَ. وذا كتاب فصيح اللسانْ (كيف تصبح فصيح اللسان) يعين على البيانْ وإطلاق العِنان للسانْ، ومحادثة الخلان جهرا وعيانْ. وذا قرآنا أمعن فيه وتدبّرْ، دون أنْ يرتضي اسم المفسرْ، فذي مقارنة بين السُّورْ (جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور) أحيا فيها علما كان ليندثِرْ، وذا تصريفا للقولْ (تصريف القول في القصص القرآني) في قصص موسى مع قوم أبي الهولْ، وذي (في رِحابِ سورة) ترى فيها الأشهاد والحضورَ، كلّهم سُرورا وحُبورَ، إذا اللفظ فُسِّرَ بمناسبة أو سورهْ، وذا كتابٌ في النّظم القرآنيّ (بلاغة النّظم في لغة الجسم في القرآن الكريم) يروي إشارة الأبدانِ، وعظمة الإنسان في نقل المعاني، بالإصبعِ والبَنانِ، وذا ديباج القرآنِ (ديباج القرآن وعرائس الفرقان) وهندسة الفرقانِ (هندسة السّورة القرآنية) ترويان عظمة المنّان، في نظم السّبع المثاني، وتركيب اللّفظ على المعاني، بما يحيي النّفوس في الأبدانِ ويزيل خمرة السّكرانِ، ودهشة الغافل الحيرانِ. وذا طريقا للنّجاح سطّرْ (مفاتيح النّجاح وسنن السّعادة) لمن من الخلق تأثّرْ، أو أفاق وأبصرْ، وعجّل وما تأخّرْ وعلى الله تيسّرْ، فذا إيمان وذي مثابرهْ، وذا تميُّز وذي مبادرهْ.

عالم جليل، سخّره الله لمشروع نبيلْ (المعجم التّاريخيّ) ظلّ حُلْمًا لعهد طويلْ تذكره الأجيال من جيلْ إلى جيلْ، دون أنْ يبرح القيلْ والقيلْ، إلى أنْ فتح الله السّبيلْ، بعالم جليلْ، وسلطان نبيل، غيّورٍ أصيلْ، ذو عطاءٍ جزيلْ؛ فنادى في البريّةْ من يحمل معي همَّ العربيّةْ، وله في الجنّة رضوان خير البريّةْ وفي الدّنيا الجزاء والعطيَّةْ؟ مَنْ صاحب الهِمَّةْ ليرفع لسان العرب والأمّةْ؟ ببصر نفّاذْ وبصيرة تَنْقُدُ

ولا تنقادْ، للبحث عن شواهد العصر العتيقْ وشاهد العصــر السّـحيقْ، مـن يقـرّرْ ومن يحرّرْ، من ينفذْ ومن يدبِّرْ، فأذعنـت لـه المشـارقُ والمغـاربْ مهطعـينْ، فجمـع خيرتهم مـن الشِّـمال إلى اليمـينْ، شـيوخا في اللغـة وأعلامـا في الـدّينْ، وراح يحـلّ ويرتحلْ، دون أنْ يملّ أو يكلْ، على جمع مـن المهندسـين يتّكـلْ، فـذا نُمَـيرٌ وذا باسِـلْ وليعذرني الإخوة الذين لأسمائهم لم أصلْ، فذي مِنَصَّةٌ وذا منهجُ، وذي عصور عليهـا يُعَرَّجُ وذي بطاقةٌ تُسِرُّ وتُبْهِجُ، وَهَمًا تُفْرِجُ، إنْ شاهد صحيحا يُخرَّجُ. فيـا أيّهـا الإخـوة الأماجدْ، جئتكم من شارقة بمنّصّة بارقة، تفحص الشّـواهدْ وتعـين المحـرّر المجاهـدْ فالصَّبر الصَّبر يا محرّرْ، وأمعن النّظـرَ يـا مراجعـا ويـا مُقـرِّرْ، فتشـقيق المعـاني احـذرْ وحصر المداخل والمعاني عليهما اصـبرْ؛ فلانـت الأقـلامْ، وأنطقـت الصُّـحف النّيـامْ وأحيت شعراءً عِظامْ، لهم من اللفظ بعدد الخلق والأنامْ، فكان باليوم والأيامْ؛ عامـان وعامّ من الأعوامْ، حُرِّرَتْ فيها مُجلَّدات ضخامْ، من الألف إلى الحاء دون إعجامْ.

باسم الثَّغْرِ، طَلْقُ المُحَيا، زارع الأملْ، يعمل بـلا كلـلْ، يهـوّن الجَلَـلْ، لا يـؤخِّر الأجلْ، ولا يقدّم العِلِلْ يزرع الأملْ، وينشد للعربيّة الغدَ الأجملْ، إذا حضــر فعليـه العِوَلْ، وإذا غاب فعنه سُئِلْ، وإذا الخلاف جدلْ فعنـده الـرّأيُ عـدَلْ، إذا الصَّـديقَ اصْطَفى أَخْلَصَ ووفى، وإذا الإحسـانُ جفـا أَصْـلَحَ وَعَفـا. لمجمـع الشّـارقة كـان الأمينْ، في عهده جاء الفتح المبينْ، فأحيا مُعْجَمًا طوته السّنين، خادما للّسـانِ والـدّينْ عنهما يذوذ وبهما يَدينْ. يحبّ الوطن حبّ يقينْ، يُبدي الحنين ويخفي الأنينْ، فتواسـيه عبرة في كلّ حينْ، أو سفرَةٌ من حين إلى حينْ، أو صحبة أبناء وطنٍ صالحينْ، أمثـال:

صالح، ومصطفى، وعبد الله، ورفيق الأمينْ؛ إخوة في الوطن والدّينْ، فَأَنْعِم بها من صحبةٍ لو كانت في النّاس لكان الحبل المتينْ.

مؤسّس (العربيّة لساني) في البلاغة والأدب وعلم اللسانِ، في القرآن والبيانِ، في الشّعر والعروض أو علم الألحانِ، في كلّ ما يُدِرُّ على العربيّة من جواهرٍ حِسانِ تروي عن (الشّيخانِ) تروي ريّ الظّمآنِ تروي عن الملوك ذوي التّيجانِ، تروي عن غابر الأزمانِ، تروي عن الأعيان والأكوانِ، شجرة وافرَةُ الأفنانِ، أزهارها عبق الرّيحانِ، تُجزي المؤلّف بالجاه والإحسانِ، عاشت لتُكتَبَ بكلِّ لسانِ، بجاه الواحدِ الدّيانِ. تراه في كلّ محفل بين الخلاّنْ، فصاحة لسانْ، لسانُ ذكرٍ وقرآنْ، حديث ذو أشجانْ، دليل وبرهانْ علم بلا نقصانْ، حفظ بلا نسيانْ، جزى الله عبده جنّة الرّضوانْ.

كنت قد كلّفت في الشّيخ بذكر علمه أو عدّ خصالهْ، بمقال يبقى للتّاريخ أو يردّ بعضا من أفضالهْ؛ لكن لا عقل لي يحفظ ما قالهْ، لا علم لي يفسّر مَقالهْ، فوقفت حائرا حِيالَهْ، علم وعقل راجح يرجو الكلُّ نوالهْ، حتى اهتديتُ إلى حروف لم ينظمها بيتُ، ذُخْرٌ وفخرٌ وما كفَّيْتُ، إلى الصّافي وصَحْبِهِ أهديتُ أرجو بها القربى إذا ما حيِيْتُ، وجنّة الرّضوان إذا الله لقيتُ.

الجِنانُ الوارِفُ، في مدحِ العالِمِ العارِفِ؛ فضيلةِ الدّكتورِ أمحمّد صافي المستغانمي.

د.خيرالدّين هبّال

ج. محمّد بوضياف، بالمسيلة

توطئة: في إطار مشروع التّعريف بأعلام الجزائر وعُلمائها، ورَدِّ الفَضْـلِ لذويـهِ وتسليط الضَّوءِ عَليهِ فلا تمحوهُ الدّوارِسُ ولا تَذويهِ، كان قد نَدَبَنا إمامُ اللُّغَةِ المبَجَّـل وجوادُها الأَغَرُّ المُحجَّل، العالم العَلَمُ الصّالِح، بلعيد صالِح إلى الاسـتكتاب في هـذا الملتقى الدّوليّ، حَوْلَ الجهبذ النّحرير فضيلة الدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي فَرَكِبَ الجميع جناح الهمّة، وطاروا يُطاولون مِن هذا العَلَمِ القِمّة، ونَفَرَ نَفَرٌ مِـن أهـل علـمِ العربيّة تحت راية المجلسِ الأعلى للُّغة العربيّة وبمعيّة مجمع اللغـة العربيّـة بالشّـارقة وجامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانمَ، يغوصون في خضـمِّ هـذا البحـر الطّـامي والغيثِ الهامي، العابِدِ الزّاهِدِ أمحمّد صافي المستغانمي، يلتمسون في مؤلّفاته جـواهر الدُّرر، ويستجلون محاسِن القَصَصِ في الآيِ والسُّوَر، فألْفَوهُ الغصـن المزهـر المثّمـر الذي لا تنضبُ معارفُه، ولا تُعَكَّرُ مغارِفُه، صاحب الفضـل والمِنّـة، في خدمـة لغـة الكتاب والسُنّة، نفائِسُ علمه رائجة مشهودة، ومكارِمُ أَخلاقِهِ عالية محمودة، فـأَدلى كُلُّ واحِدٍ بِدَلوِهِ، ليُبْرِزَ عِليَّ شَأنِهِ وشَأْوِهِ، وجئتُ مع هؤلاءِ ببضاعةٍ مزجاة وقصيدة

مهداة، أمدَحُ فيها فضيلة الدّكتور **أمحمّـد صـافي المسـتغانمي**، ومـا كُنـتُ قبـلَ هـذا مَدّاحا، ولا كانَ فضيلَتُه للمَدحِ مِحبًّا.

وقد أسرَجْتُ لقصيدتي الحرف الفصيح، وألْجَمْتُهُ بالقافيـة الجمـوحِ، وامتطيـت صهوة البحر البسيط، فجاءَتْ ألفاظُها طائعـة، ومعانيهـا جلِيَّـة سـاطِعة. وجَعَلْتُهـا عِقدا منظوما، ورصْفا موسوما؛ يُشَكِّلُ جمعُ أَوّلِ حَرْفٍ مِن كُلِّ بَيْتٍ مِنه اسمَ فضـيلة الشَّيخِ الدّكتورِ (**أمحمّد صافي المستغانمي**) وفيها أقول:

أُبْـذُلَ لَهـا الحَـرْفَ، إنَّ المَجْـدَ فُرْسـانُ ... واعْـزِفْ لَهـا العـودَ، فالتّـاريخُ أَلْحـانُ

مِـنْ هـذِهِ اللُّغَـةِ العَصْـماءُ لاحَ سَـنا ... مِثْـلَ البَشـيرِ سَـقَاهُ الحُـبَ وَلْهـانُ

حُـبٌّ تَجَـذَّرَ في الأَضْـلاعِ مَنْبَتُـهُ ... فَـأَيْنَعَ الغُصْـنُ عـودًا، فَهْـوَ رَيْحـانُ

مِـنْ مُسْـتَغانِمَ لاحَ النّـورُ مِـنْ قَمَـرٍ ... وقَـدْ أَضـاءَ سَـناهُ الشّـيْخُ سُـلْطانُ

دَنـا إلى لُغَـةِ القُـرْآنِ مُقْتَبِسًـا ... مِشْـكاةَ نـورٍ ومـا جافـاهُ إيمـانُ

صَـوتٌ يلـوحُ نَجِيًّـا مِـن بَوارِقِهـا ... حَيًّـا تَمَثّـلَ شَخْصـا فَهْـوَ إِنْسـانُ

العـالِمُ العَلَـمُ الصّـافي مَـوارِدُهُ ... نِعْـمَ الأَمـينُ ونِعْـمَ المَجْـدُ والشّـانُ

فاقَـتْ محامِـدَهُ أَتْرَابَـهُ فَسَـما ... وقَـدْ أَقَـرَّتْ لَـهُ بِالفَضْـلِ أَقْـرانُ

يُصَـرِّفُ القَـوْلَ في التَّفسـيرِ، ذو وَرَعٍ ... ويَبْـذُلُ الـرّوحَ والمَحبـوبُ قُـرآنُ

اللهُ يَرفَعُـهُ والعِلْـمُ يَدْفَعُـهُ ... والصَّـبْرُ يَنْفَعُـهُ والعُمْـرُ قُرْبـانُ

لَـهُ بِكُـلِّ فُـؤادٍ عـارِفٍ وَهَـجٌ ... يُمحـى بِـهِ الإِثْـمُ وَالعِصْـيانُ والـرّانُ

مِفْتاحُـهُ مِـنْ "مفـاتيحِ النَّجـاحِ" شَـذًا ... "جـواهِرُ الـدُّرِّ" بـاقوتٌ ومَرْجـانُ

سَــــارَتْ فَضــــائِلُهُ سَــــحَّتْ نوائِلُــــهُ   سَــــادَتْ أوائِلُــــهُ في القَــــوْمِ أَعْيــــانُ

تَرْقــى بِــهِ هِمَــمٌ، تَسْــمو بِــهِ قِمَــمٌ   تَسْــعى لَــه قَــدَمٌ، والبَــذْلُ إِحْســانُ

غَيْــثٌ يَسِــحُّ بِخَــيرٍ للــوَرى أَبَــدًا   البــاذِلُ الخَــيرَ مــا نــاداهُ حَــيْرانُ

الزاهِــدُ العابِــدُ المَحْمــودُ مَعْدَنُــهُ   والأَلْمَعِــيُّ لَــهُ في النّــاسِ بُرْهــانُ

نالَــتْ محاسِــنُهُ إخْوانَــهُ كَرَمًــا   فــالْتَفَّ حَــوْلَ خِصــالٍ فيــهِ إِخــوانُ

مالَــتْ إِلَيْــهِ قُلــوبٌ كُلُّهــا شَــغَفٌ   أَكْــرِمْ بِهِــمْ نَفَــرًا، والأَجْــرُ رِضْــوانُ

يــا رَبِ فــارْضَ عَلَــيْهِمْ إِنَّهُــمْ نَفَــرٌ   يَرْجــونَ رَحْمَــةَ رَبٍّ وَهْــوَ رَحْمــانُ

سلام لأهل بارقة
في مدح أمحمّد صافي مستغانمي.

أ.رفيق شريط
ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم

من بحر الطّويل

خَليلَيَّ إِنْ يُسْعِفْكُما الدَّهْرُ ساعَةً   ببارِقَةَ ارْبَعَا فَنِعمَ الْمُخَيَّمُ

أَلا حَبَّذَا تِيكَ الرِّياضُ وحَبَّذَا   نَوادٍ بِها لِلضّادِ تُطوى وتُخْتَمُ

سَلاَمٌ عَلَى أَهلِينَ فِيها ومَعشَرٌ   كِرَامٌ جَمِيعُهُم وَقُورٌ مُعَظَّمُ

وخُصَّ مِن القَوْمِ الصَّفِيَّ مُحَمَّدُ   سَلاَمٌ ورَوحٌ بِهِ تُكْسَى وتَنْعَمُ

مِن اسْتَنْهَضَ العَزْمَ بَنِي الضَّادِ فِيكُمُ   وراحَ لِأَشْتاتِ الجُهُودِ يُلَمْلِمُ

فَلا زالَ بِالضَّادِ وتَارِيخِهَا يَحْدُو   إِلى أَن غَدَى لِلضّادِ فِي الرَّفِّ مُعْجِمُ

فَبِالأَمْسِ قَدْ حَفِظْتَ لِّلضَّادِ تَالِدًا   مِن المَجْدِ وَاليَوْمَ الطَّرِيفَ الْمُيَمَّمُ

فَنِلْتَ مَآثِرًا عَلَى الدَّهرِ تَبقَى   بِها أَنْتَ فِينَا الْمُقْتَدَى والْمُقَدَّمُ

لِمَدْحِكَ والثَّنَا دَعَانِي مُحَمَّدُ   بِأَنَّ كِلَيْنَا بِاللِّسَانِ مُتَيَّمُ

وأَنَّكَ أَهْلٌ لِلْمَديحِ ولَمْ تَزَلْ   ذَوُوا الفَضْلِ تُجْزَى بِالْمَدِيحِ وتُكْرَمُ

ولَسْتُ عَلَى الله أُزَكِّيكَ إِنَّمَا   شَهِدْتُ بِما كُلُّ الخَلائِقِ تَعْلَمُ

ولَيْسَ يَفِي بِحَقِّكَ الشِّعْرُ لَكِنْ   يُثِيبُكَ رَبِّي فَهُوَ أَوفى وأَكْرَمُ



في رِحاب سورة
وجواهر الدُّرر

معالم التّجديد
في الدّراسة المقارنة لسور القرآن الكريم
من خلال بعض حلقات برنامج (في رحاب سورة).

أ.د. الصّديق بوعلام
باحث بالمغرب

1ـ مقدّمة: وقد اخترت أن أتناول في هذه الورقة الإسهامات القيّمة للدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي في برنامج: (في رِحاب سورة) وتحديدا الحلقات المتعلّقة بعلم مقارنات السّور، باعتباره مقاربة جديدة في الدّراسات القرآنية، وسميّت الورقة: معالم التّجديد في الدّراسة المقارنة لسور القرآن الكريم من خلال بعض حلقات برنامج (في رِحاب سورة).

والدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي متخصّص في علوم القرآن الكريم، وله مؤلّفات فيها، حاصل على ماجستير علوم القرآن من جامعة الشّارقة، والدّكتوراه في نفس التّخصص بماليزيا.

وأنهج ـ بعون الله وتوفيقه ـ في هذه المشاركة النّهج التّالي:

ـ مقدّمة؛

ـ استخلاص محاور الحلقات؛

ـ نبذة عن مناهج واتجاهات التّفسير قبل المقاربة الجديدة؛

ـ من علم المناسبة إلى التّفسير الموضوعيّ؛

ـ مقوّمات علم مقارنات السّور: الرّؤية والمنهج؛

ـ معالم التّجديد في علم مقارنات السّور: مقارنة بأساليب التّفسير السّابقة؛

ـ نماذج.

1ـ مقدّمة: كان لا بدّ من استخراج الحلقات المتعلّقة بمقارنة السّور، وقراءة بعض كتابات[1] الدّكتور المستغانمي لتفهم مقاصده، وتبين مكامن التّجديد واستجلاء معالم الإضافات العلميّة النّوعية التي أضافها في ميدان علم التّفسير. وكان لا بد كذلك من الرّجوع إلى بعض المؤلّفات الموضوعة في هذا الباب قديما وحديثا، من أجل المقارنة، ولا سيّما في علم المناسبة، مع تحديد وتصنيف مناهج المفسّرين، وبيان ما يتميّزبه منهج الدّكتور المستغانمي وأسلوبه وطريقته الجديدة. وهذا طرح جديد غير مسبوق في تقدير العديد من الباحثين المختصّين، ويقتضي بيان جدته تقديم شواهد من خلال مقارنتها ـ كما قلت ـ مع أساليب التّفسير المتبعة لدى علماء التّفسير السّابقين. ذلك أنّ لهذا المنهج في تدبر القرآن الكريم وتفسيره أصولا قديمة في التّراث العلميّ التّفسيري وفي علوم القرآن عامّة، كما أنّ له أصولا قريبة تتمثّل في بعض الدّراسات القرآنية الحديثة.

2ـ استخلاص محاور الحلقات: اقتضى منا ذلك اختيار دراسة منهج مقارنة السّور عند الشّيخ الدّكتور المستغانمي، من خلال برنامج في **رِحاب سورة**.[2] الذي يقدّمه تلفزيون الشّارقة في الإمارات العربيّة المتّحدة، ويسهر على إعداده ومحاورة ضيفه الدّائم فيه الشّيخ الدّكتور أحمّد صافي المستغانمي، واستقبال أسئلة المشّاهدين: الإعلاميّ الإماراتيّ الدّكتور محمّد حسن خلف.

حفز هذا البرنامج، في بدايات ظهوره الكثير من المشاهدين، على المتابعة والاستفسار والقراءة ليزدادوا علما، ويمكن أن نقول إنّه لقي نجاحا كبيرا، نظرا

للطّريقة الجديدة في تناول تفسير ودراسة سور القرآن الكريم والعلاقات فيما بينها. ولسنا نزعم استقصاء جميع مواضع تناول هذا الموضوع عبر كلّ حلقات البرنامج وإنّما استخلصنا بعضها فقط، من أجل الوصف والتّحليل والإيضاح والاستدلال والتّمثيل، على سبيل الاجتزاء والاكتفاء، وقديما قيل: "حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق". ومن ثمّ، فإنّ الحلقات التي اعتمدناها في هذه الورقة هي: الحلقات رقم 1 من سلسلة علم مقارنات السّور(30/ 4/ 2017)، ورقم 2 من نفس السّلسلة (30/ 4/ 2017)، ورقم 3 منها (8/ 5/ 2017)، ورقم 5 (21/ 5/ 2017). بالإضافة إلى الحلقات التي درس فيها الدّكتور المستغانمي بعض السّور، من نواحي الرّوابط فيما بينها، وشخصيّاتها، ومحاورها، وهندستها، وأساليبها وسياقاتها، بيد أنّ اهتمامنا كان منصبا أكثر على الحلقات التي ركز فيها على الصّلات بين السّور والتي أبرز فيها نتائج مقارناته فيما بينها، وبالأخصّ ما اتّصل بعلم التّفسير وملامح التّجديد في تناوله.

3ـ نبذة عن اتجاهات التّفسير قبل المقاربة الجديدة: إذا تتبعنا التّطوّر الذي عرفه ميدان علم التّفسير، خاصّة، وعلوم القرآن الكريم عامّة، أمكننا أن نقف على معالم أصول المنهج الذي اتّبعه الدّكتور المستغانمي؛ حيث نجد بوادر رؤية جديدة ومتجدّدة للنّص القرآني. لكن المنحى الذي كان غالبا على التّفسير هو ما يسمى بـ (التّفسير التّحليلي)، ويمكن أن ندرج فيه أنواع التّفاسير... كتفسير الطّبري وتفسير

الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ، والتّفسير الكبير للـرّازي والتّفسـير الطّبيعـي عنـد الطّنطاوي... [3]

على أنّ هذه التّفاسير القديمة التي غلب عليها المنحى التّحلـيلي سـواء مـن حيـث اللغة والبلاغة، أو من حيث العقيدة والفقه، أومـن حيـث القصـص والسـيّر، أومـن حيث الأخلاق والتّصوف، أو غير ذلك، قد تخللها، هنـا وهنـاك، نـوع مـن التّفسـير الموضوعيّ، الذي ركز عـلى موضـوع معـين مـن موضـوعات القـرآن الكـريم. وإلى جانـب هـذه التّفاسـير، نجـد مؤلّفـات خصّصـت، أصـلا، لبحـث موضـوع مـن موضوعات العلوم الإسلاميّة، أو قضية مـن قضـايا الشّـريعة مـن خـلال دراسـتها حسب ورودها في القرآن الكريم، كما هو الشّأن، مثلا، بالنسبة لكتـب أحكـام القـرآن ومنها كتاب ابن العربيّ المعـافري المـالكي، وكتـاب الجصـاص الحنفـي. وتراوحـت اهتمامات المفسـّرين واتجاهاتهم التّفسيريّة، عموما، بين إيضاح المادّة القرآنيـة لغويـا أو إعرابيـا أو بنائيـا، أو بلاغيـا، أو مـن حيـث الأحكـام، أو القصـص والتّـاريخ، أو الأخلاق، أو الاجتماع، أو الطّبيعة والكون، أو الاعتقاد، ومـن المفسـرين مـن كـان يتوخى التّطرق إلى كلّ ذلك كلما أمكنه ذلك. وكان التّناول العامّ لهذه المباحـث تحليليـا تجزيئيا، فقلما نجد في هذه التّفاسير رؤيّة شاملة للعلاقات بين السّـور، ولا شـكّ في أن الجمع بين منهج هذه المباحث التّحليلية، من جهّة، وما توصل إليه علم المناسبة وعلـم الفواصل والبحث في المقاصد الكليّة للقرآن الكريم من جهّة ثانية، كان يعد، منذ تلـك العصور القديمة، بدراسة أوفى وأفيد. وهذا مـا بـدأت طلائعـه مـع بـدايات التّفسـير

الموضوعيّ المعاصر، الذي أخذ أصحابه يركزون على شخصيّة السّورة، ونسقها العامّ، ووحدتها الموضوعيّة، ثمّ البحث في علاقات التّناسب بين السّور القرآنيّة مطالع وفواصل، موضوعات ومحاور، كما سنرى لاحقا.

4. من علم المناسبة إلى التّفسير الموضوعيّ.

4 ـ 1ـ مقدّمات ممهدات من علوم القرآن لمنهج مقارنات السّور.

4 ـ 2ـ علم المناسبة.

4 ـ 2 ـ 1ـ تعريف وأعلام.

لعلم المناسبة علاقة وثيقة بمنهج مقارنات السّور الذي نهجه الدّكتور المستغانمي. وهو علم جليل قال عنه الإمام جلال الدّين السّيوطي: (علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته).[4]

وقال برهان الدّين البقاعيّ معرفا هذا العلم: (علم تعرف منه ترتيب أجزاء القرآن).[5] ومن أعلامه:

ـ **أبوبكر النّيسابوري** -رحمه الله- حيث كان كثير العلم في الشّريعة والأدب وكان يقول على الكرسيّ في بغداد إذا قرئت عليه الآية: (لِمَ جُعِلَت الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السّورة في جنب هذه السّورة)؟ وكان يزري على علماء (بغداد) لعدم علمهم بالمناسبة. وقد نسب السّيوطي إليه أنّه أوّل من سبق إلى هذا العلم.[6]

ـ **فخر الدّين الرّازي**؛ حيث تميّز بالإكثار من التماس المناسبات في تفسيره، وقال: (إني رأيتُ جمهور المفسّرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلاّ كما قيل:

والنّجم تستصغر الأبصار رؤيته   والذّنب للطّرف لا للنّجم في الصّغر) كلّ ما جاء في (نظم الدُّرر)؛

ـ **أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزّبير**، وله في ذلك كتاب (البرهان في ترتيب سور القرآن)، وهو نفيس؛

ـ **البقاعي** في كتابه (نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور)، وكتابه مؤلّف مستقل لتلمس المناسبات بين الآيات والسّور، وهو كتاب نفيس في بابه؛

ـ **ابن النّقيب الحنفي**،حيث تطرّق في تفسيره لذكر المناسبات؛

ـ وله: كتاب (تناسق الدُّرر في تناسب السّور)، وكتاب (سرار التّنزيل)؛

ـ **الشّيخ محمّد عبده** في تفسير (المنار) الذي جمعه وأتمّه رشيد رضا؛ حيث كان له عناية بعلم المناسبة؛

ـ **سيد قطب** في كتابه (في ظلال القرآن)، وفي كتابه الآخر (التّصوير الفنيّ في القرآن)، وقد أبدع في إبراز ألوان من التّناسق الفنيّ في التّصوير القرآني الشّيخ مصطفى في تفسيره؛

ـ الشّيخ **عبد الله بن الصّديق الغماريّ** في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)؛

ـ الشّيخ **طاهر الجزائريّ**؛ حيث تكلم عنه وعن أهميّته وفوائده في كتابه (التّبيان لبعض المباحث المتعلّقة بالقرآن)؛

ـ **الفراهي** في تفسيره (نظام القرآن وتّأويل الفرقان بالفرقان)[7] وتضمّن كتاب أبي حيان الأندلسي (البحر المحيط) بيانا للمناسبات لكن بوجازة. ويعدّ كتاب أبي عمرو برهان الدّين البقاعيّ (نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور) الذي جاء بعد كتاب أبي حيان الأندلسي، من أبرز ما ألف في هذا الميدان، ومن خصائصه أنّه يبين ربط الآية الأولى بالثّانية بالسّورة، وبالآية التّالية، والمقصد من السّورة، لكنه عند احتجاجه بالكتب القديمة، التّوراة والإنجيل وصحف الأنبياء، يأتي بعجائب وغرائب.[8]

4ـ 2ـ 2ـ علم الفواصل: ولعلم الفواصل ورؤوس الآي صّلة وثيقة بعلم المناسبة. والفاصلة هي آخر كلمة فى الآية نحو ﴿العالمين﴾ ﴿نستعين﴾. وهي مرادفة لرّأس الآية. وعلم الفواصل – أوعلم عدّ الآي ـ هو علم يُبحث فيه عن أصول آيات القرآن الكريم، من حيث كم آية وما رؤوسها وما خواتمها؟

ومن أقدم المؤلَّفات التي بهذا الاسم كتاب (بغية الواصل إلى معرفة الفواصل) لسليمان بن عبد القوي الطّوفي (ت716هـ) وهو مخطوط.

ومن كتب المتأخرين (القول الوجيز في معرفة فواصل الكتاب العزيز) للمخللاتي (ت1311هـ) وهو شرح على (ناظمة الزّهر) للإمام الشّاطبي.

ومن المؤلّفات المعاصرة في هذا العلم: (فواتح السّور)، و(الفواصل)، وكلاهما

للدّكتور حسين نصار، و(أهداف كلّ سورة ومقاصدها في القرآن الكريم) لعبد الله محمود شحاتة، و(الفاصلة في القرآن) لمحمّد الحسناوي.

4 ـ 2ـ 3ـ علاقة العلمين بعلم مقارنات السّور.

لهذين العلمين علم المناسبة وعلم الفواصل. علاقة عميقة ووطيدة بعلم مقارنات السّور. وهما يمثلان مجالين يمكن أن نستجلي من خلالهما معالم التّجديد عند الدّكتور المستغانمي؛ ومن هنا اهتمامنا بهما في هذه الدّراسة. فهناك تنبيهات وإشارات عديدة تضمنتّها مؤلّفات هذين العلمين تمهد الطّريق لما سلكه الدّكتور المستغانمي من منهج جديد يتجلى في المقارنات بين السّور، إذ تعتبر أنواع التّناسب بين الآي والسّور، والبدايات والنّهايات، أو المطالع والفواصل... المدخل المعرفيّ الأقرب إلى ارتياد آفاق تلك المقارنات الفريدة والنّوعية. هناك، إذا، عدّة مجالات أو مداخل في علم المناسبة وعلم الفواصل، لا شكّ في أنّ الدّكتور المستغانمي طرقها وهو يضع أسّس منهجيّته الجديدة، منها ترتيب السّور والتّناسب، والقراءات القرآنيّة والتّناسب، والمناسبة بين الآيات، ومناسبة خاتمة الآية للآية، ومناسبة فواتح السّور للسّور، ومناسبة أوائل السّور لأواخرها، والتّناسب القرآنيّ متعدّد الأوجه والمظاهر، والتّناسب والصّرف والمعجم، وتوظيف علم المناسبة في خدمة علم المقاصد، والتّناسب والتّربية، إلى غير ذلك من المجالات والمداخل.

4ـ 2ـ 4ـ علم توجيه متشابه القرآن: قال الدّكتور صالح الشّثري معرفا المتشابه اللفظيّ: المراد بالمتشابه اللفظي في القرآن: الآيات التي تكرّرت في القرآن

الكريم في القصّة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة وصوّر متعدّدة وفواصل شتى، وأساليب متنوّعة تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا وتعريفًا وتنكيرًا وإفرادًا وجمعًا، وإيجازًا وإطنابًا وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك. مع اتّفاق المعنى العامّ؛ لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره لا يدركه إلّا من آتاه الله علمًا وفهمًا لأسرار كتابه، وهي بحق كنزٌ ثمين من كنوز إعجازه وسرٌّ من أسرار بيانه.[9]

تعتبر مسالك توجيه المتشابه اللفظيّ من فروع علم المناسبات القرآنيّة أو من أبرز مجالاتها. ويعنى في علم توجيه هذا المتشابه بتوضيح سبب اختلاف التّعبير القرآنيّ من موضع لآخر، وإبطال مزاعم التّكرار في النّص القرآني، وإبراز بلاغة التّعبير القرآنيّ في كلّ موضع من الكتاب العزيز.[10] فعلماء هذا الميدان يقومون بتعليل المتشابه اللفظيّ في القرآن الكريم. ويقومون بتوجيه آيات هذا التّشابه. إذ ليس في القرآن الكريم حرف ولا كلمة إلاّ فيهما كنوز الأسرار، وجواهر المعارف والعلوم والبصائر لمن تدبره من أولي الأبصار. وقد وضح الإمام الكرماني في مقدّمة كتابه: (البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) معنى توجيه المتشابه اللفظي حيث قال: (ولكني أفردتُ هذا الكتاب لبيان المتشابه؛ فإنّ الأئمة قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها).[11]

وللمفسـرين دورٌ بارزٌ في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكـريم. وقـد تطـرق محقّق (درة التّنزيل) الدّكتور مصطفى آيدين إلى كتب التّفسـير التـي تناولـت بعـض مسائل المتشابه اللفظي بالتّوجيه. يقول الدّكتور مصطفى آيدين: (ويلحق بهذا النّـوع كتبٌ تعرَّض أصحابها -في بعض المواضع- للحديث عن توجيه المتشابه اللفظـيّ في القرآن الكريم، أثناء تفسير القرآن الكريم، أوردّ شبهات الطّاعنين، ولكـنهم تنـاولوا هذا النّوع من التّوجيه بمنهج آخر، غير الذي لجأ إليه أصحاب الكتـب المتخصّصـة في هذا الفنّ، من طرح سؤال وجواب. ولا ننسى في هذا المقام التّنبيـه إلى أن هـؤلاء قد يفوقون -وإن كان في قليل من المواضع- عـلى تعلـيلات وتوجيهـات أصـحاب هذا الشّأن).[12] وهذا مجال خصب بالنّسبة لمنهج مقارنات السّور، أبان فيـه الـدّكتور المستغانمي، عبر عدّة حلقات من هذا البرنامج، عن تعليلات وتوجيهـات منهـا مـا يتعلّق بمسائل وقع حولها خلاف بين المفسـّرين، فيسـر هذا المـنهج المقـارن تـرجيح الوجه الأقرب إلى الصّواب بخصوصها.

4ـ 2ـ 5ـ علماء مغاربة ومدرسة مغربيّـة: واسـمحوا لي أن أتحـدث قلـيلا عـن إسهامات علماء التّفسير المغاربة في مجالات علم المناسبة وما يتصل به، وأذكـر المفسـّر الكبير أبا الحسن الحرالي(637هـ) الذي كان مرجعا علميا مـن مراجـع البقـاعي في (نظم الدّرر).[13] بل اتّهم الحرالي البقاعيّ بأنّه أخذ من كتابه كلّ ما في (نظم الـدُّرر) كـما ذكرنا آنفا. يقول المناوي في ترجمة الحـرالي: (وصـنف تفسـيرا مـلأه بحقائقـه ودقـائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسّور ما يبهـر العقـول وتحـار

فيه الفحول، وهو رأس مال البقاعيّ، ولولاه ما راح و لا جاء، ولكنه لم يتم، ومن حيث وقف وقف حال البقاعي في مناسباته).[14] وهذا يقودنا إلى طرح هذا السّؤال: هل يمكن الحديث عن مدرسة مغربيّة في علم المناسبة؟ ونقصد الغرب الإسلاميّ عموما، إذ بالإضافة إلى الحرالي، نجد الشّيخ عبد الله بن الصّديق الغماري في المغرب وله كتاب في القرآن، (في دراسة في النّظم المعنويّ والصّوتي)[15] والشّيخ الطّاهر بن عاشور في كتابه (التّحرير والتّنوير) في تونس، والشّيخ طاهر الجزائريّ الذي تحدث عن هذا العلم في كتابه (التّبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن)، مبينا أهميّته وفوائده، والدّكتور المستغانمي في كتابه (جواهر الدُّرر) وغيره من الكتب في الجزائر، وأبا جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الغرناطي في الأندلس وله كتاب (البرهان في ترتيب سور القرآن).

4ـ 3ـ التّفسير الموضوعيّ ليس جديدا: يرى الأستاذ الدّكتور مصطفى مسلم أنّ هناك مناهج متفقٌ عليها بين المفسرين في التّفسير التّحليلي والإجماليّ والمقارن. أمّا التّفسير الموضوعيّ فلم تتوحد الكلمة حوله، على الرّغم من قلّة الباحثين والكاتبين حول منهجه؛ حيث لم تتجاوز الكتابات في ذلك مجموع أصابع اليدين وليس الاختلاف بين الباحثين محصوراً في مناهج التّفسير الموضوعيّ؛ بل الاختلاف في أصل وجوده وتعريفه[16]. ويرى أن أنواع التّفاسير كانت تعكس طبيعة الثّقافة السّائدة في كلّ عصر. فظهر التّفسير اللغويّ في العصر العباسيّ، والتّفسير الفقهيّ في القرن الرّابع إلى السّابع الهجريّ وتفاسير علماء الكلام في بعض الأجيال.

ولكن أهمّ ما أشار إليه ودلل عليه بنماذج وأمثلة هـو أنّ السّـلف الصّـالح لم يكتفـوا باللجوء إلى تفسير القرآن بالقرآن من خـلال مصـنفاتهم، بـل جمعـوا الآيـات التـي تتحدث عن شيء واحد في مؤلّفات مسـتقلّة وتحـدثوا عـن تفسـيرها مـا يـدفعنا إلى القـول: إنّ هـذه المؤلّفـات تشـكل النّـواة الأولى لمـا نطلـق عليـه اليـوم التّفسـير الموضوعيّ[17] وبالفعل يمكننا القول إنّ التّفسير الموضوعيّ ليس جديدا، أو بدعا من التّفاسير؛ بل له جذور في تراثنا، ويمكن الاستشهاد على ذلك بالمؤلّفـات التّفسـيرية المخصّصة لموضوع من الموضوعات سواء في العقيـدة، أو العبـادات، أو المعـاملات أو الأخلاق، أو غير ذلك. فعندما كان يتناول المؤلّف موضوعا معينا ويتتبع الآيـات التي ورد فيها ذكره ويفسرها، في وحدة موضوعية، فإنّـه كـان يقـدم لنـا في الحقيقـة تفسيرا موضوعيا، قبل أن يظهر هذا المصطلح.

5ـ مقوّمات علم مقارنات السّـور: الرّؤيـة والمـنهج: يتميّـز علـم مقارنـات السّور، باعتباره فرعا علميا من علوم القرآن، ببيـان العلاقـات الحقيقيـة، وإيضـاح الهندسـة اللفظيّـة الموّزعـة في طيّـات السّـور المتشـابهة المطـالع، والسّـور المتشـابهة الفواصل، والسّور التي تبدأ بأنساق تعبيريّة متشابهة مـن غـير أن تتّحـد مطالعهـا في المواد المعجميّة المستعملة. كما تجيب هذه المقارنات عن عـدد مـن الأسـئلة القديمـة الجديدة في مجال علوم القرآن، ولا سيما في علم التّفسير وتمكّن الباحـث مـن توجيـه كثير من آيات المتشابه اللفظي، فضـلا عـن أنّهـا تبـين أسرار أســر السّـور القرآنيّـة بمختلف أنماطها.

6ـ معالم التّجديد في مقاربة علم مقارنات السّور:

مقارنة بأساليب التّفسير السّابقة:

6ـ 1ـ البقاعي: إذا كان البقاعي، مثلا، قد ساق في كتابه من الاستشهادات المأخوذة من الكتب القديمة (عجائب وغرائب)، الدّكتور المستغانمي يقدّم تفسيرا محرّرا من ذلك حيث يتلافى إيراد ما تمتلئ به العديد من التّفاسير ممّا لا يصح من الرّوايات الإسرائيليّة القديمة المكذوبة.

6ـ 2ـ إرهاصات من العصر الحديث: مع بداية القرن العشرين نجد تفسير (صفوة البيان) وتفسير أبي الأعلى المودودي (تفهيم القرآن)، وتفسير أبي الكلام آزاد (ترجمان القرآن) ومع سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) وعائشة عبد الرّحمن (بنت الشّاطئ) نرصد تحولا هاما في دراسة السّور القرآنية، للعقل والعلم الحديث، ولدراسة الآيات الكونيّة والاكتشافات العلميّة الحديثة حضور بارز فيها. كما بدأت هذه الدّراسات القرآنيّة تولي عناية خاصّة لشخصيّة كلّ سورة وموضوعاتها وأساليبها الخاصّة، وتهتم أكثر بالنّظرة الشّاملة لسور القرآن الكريم وعلاقات التّناسب فيما بينها. ومن هذا الصّنف من الدّراسات كتاب (الأساس في التّفسير) للشّيخ سعيد حوى رحمه الله، وهو يتميّز بعنايته بعلاقات التّناسب بين السّور، في إطار البحث عن الوحدة العضويّة المتكاملة عبرها.

6ـ 2 ـ 1ـ عائشة (بنت الشّاطئ): تقول الـدّكتورة عائشـة عبـد الرّحمـان (بنـت الشّاطئ) مبينة ركائز منهجها: (وما أعرضـه هنـا لـيس إلاّ محاولـة في هـذا التّفسـير البياني للمعجزة الخالدة، حرصت فيها ما اسـتطعت عـلى أن أخلـص لفهـم الـنّص القرآني فهما مستشفا من روح العربيّة ومزاجها مستأنسة في كلّ لفظ بل في كلّ حركـة ونظرة بأسلوب القرآن نفسه ومحتكمة إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف، على هدى التّتبع الدقيق لمعجم ألفاظه والتّدبر الواعي لدلالة سياقه والإصغاء المتأمّـل إلى إيحـاء التّعبير في بيان معجز)[18]. ولتحقيق هذه الغاية اختارت سورا قصارا معظمهـا مكـيّ مراعية وحدتها الموضوعيّة.

وتقول عن الجزء الثّاني من كتابها: (والمنهج المتّبع هنا هو الذي خضـعت لـه فـيما قدمت من قبل بضوابطه الصّـارمة التـي نأخـذها باسـتقراء اللفـظ القـرآنيّ في كـلّ مواضع وروده للوصول إلى دلالتـه، وعـرض الظّـاهرة الأسـلوبيّة عـلى نظـائره في الكتاب المحكم، وتـدبّر سـياقها الخـاصّ في الآيـة والسّـورة، ثـمّ سـياقها العـامّ في المصحف كلّه التماسا لسرها البياني)[19] محاولة أن تقدم منهجيّـة جديـدة في تفسـيرها متحرّرة من التّأويلات، مشترطة في من أراد تأّويل القرآن الكريم أن يكـون متمكنـا من علوم التّفسـير، مستحضـــرة أقـوال عديـد مـن العلـماء كـالطّبري وابـن القـيّم والزّمخشـري، مناقشة أقوال كثير منهم، معتمـدة في نقـدها عـلى استحضـار اللفـظ وتتبع دلالته اللغويّة الأصيلة والمجازية، لتنتهي إلى الدّلالة القرآنية، باستقراء كلّ مـا في القرآن من صيغ اللفظ بدراسة سياقها الخاصّ في الآيـة أو السّـورة، ثـمّ تعـرض

أقوال المفسّـــرين في اللفظـة وتقبـل منهـا مـا يقبلـه الـنّص، متجنبـة الإسرائيليّـات والأهواء وبدع التّأويل المدسوسة في التّفاسير، معتمدة في كلّ ذلـك عـلى القـرآن في توجيه الإعراب وأسرار البيان.

ونجدها تذكر جميع روايّات أسباب نزول الآية، من غير ترجيح، مركّزة على علم المناسبة تقول: (والأصل في منهج هذا التّفسير) كما تلقيته عن أستاذي[20] هو التّناول الموضوعيّ الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه فيجمع كلّ ما في القرآن منه ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدّلالة اللغويّة لكلّ ذلك...) منهج يختلف والطّريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤّخذ اللفظ فيه متقطعا من سياقه العامّ في القرآن كلّه مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدّلالة القرآنيّة لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبيّة وخصائصه البيانيّة).[21] كما نجدها معتنيّة بربط السّور وتناسبها من حيث الموضوع الذي تعرض انطلاقا من تناسب المعاني. فمثلا عند تناولها لسورة العصـر مسؤوليّة الإنسان الاجتماعيّة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكرـ ربطت هذه السّورة بآيات أخرى مثل: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[22] و(الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر)[23] ثمّ تعرض إلى مقابلة هذه الآيات مع آيات سور أخرى كقوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبيس

ما كانوا يفعلون).[24] وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[25] فهي ترفض التّفسير المتقطع، مثلها في ذلك الدّكتور المستغانمي، وتهتم بوحدة الموضوع. وأسلوبها سهل واضح. وتجتنب الكلام على ما سكت عنه القرآن من التّأويلات المذهبية. سالكة مسلك السّلف الصّالح.

6 ـ 2 ـ 2ـ **الطّاهر بن عاشور:** وإذا كان الدّكتور المستغانمي يعترف بأنّ هناك إرهاصات لدراسة موضوعيّة لسور القرآن الكريم، وإبراز شخصيّتها، ووحدتها الموضوعيّة، فإنّه يذكر المفسّر التّونسي الشّيخ الطّاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ ضمن المفسّرين الأوائل في العصر الحديث الذين لهم بدايات في هذا الطّريق. وإذا رجعنا إلى تفسير الطّاهر بن عاشور (التّحرير والتّنوير) وجدناه يحدد طبيعته وغايته بقوله: (وقد اهتمّمت في تفسيريّ هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربيّة وأساليب الاستعمال، واهتمّمت أيضا ببيان تناسب اتّصال الآي بعضها ببعض وهو منزع جليل قد عنى به فخر الدّين الرّازي، وألف فيه برهان الدّين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدُّرر في تناسب الآي والسّور)، إلاّ أنّهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أمّا البحث عن تناسب مواقع السّور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسّر.

ولم أغادر سورة إلاّ بيّنت ما أحيط به من أغراضها لـئلا يكـون النّـاظر في تفسـير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنّها فقر متفرّقة تصـــرفه عـن روعـة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله).[26]

فمن الواضح أن تفسير الطّاهر بن عاشور ينـدرج في إطـار أكثـر جـدّة بالنّسـبة للتّفاسير التي سبقته، وهو الدّكتورة عائشة (بنت الشّاطئ) ثمّ الدّكتور المسـتغانمي بعدهما، يخالف الطّريقة التّجزيئية القديمة في تفسير القرآن الكـريم، ومـن هنـا فقـد أشار في هذا التّمهيد إلى أمور راعها في تفسيره يتقاسـمها معـه الـدّكتور المسـتغانمي مثل عدم التّجزيء، والحرص على إبراز انسجام النّص القرآني، ومثل تناسـب الآي والسّور، ممّا يدخل في صميم منهج المقارنة بينها، إلاّ أنّ الـدّكتور المسـتغانمي بحـث عن هندسة كلّ سورة، وقارنها بما يشـبهها في سـور أخـرى، ضـمن منظـور أوسـع وأرحب هو ما سماه بالتّجاذب اللفظي والمعنويّ، داخل السّورة، وفيما بين السّور مما جعله يصل إلى تحديد مجموعات أسر تتألّف من سور متشابهة حسب أنـماط أربعـة فصـلنا فيهـا القـول في محلـه. فـأين مجـرد بيـان نكـت البلاغـة، ومعـاني المفـردات والأساليب، وتناسب الآيات، من هذا التّناول المنهجي الشّامل بأركانه المشار إليها؟

6 ـ 2 ـ 3 ـ **سعيد حوى**: كان الدّكتور سعيد حوى من أبرز العلماء الذين اعتنـوا في تفاسيرهم بإبراز الوحدة العضويّة للقرآن الكريم، آيات وسورا، يقـول في مقدّمـة كتابه (الأساس في التّفسير): (دندن علماؤنا حول الصّلة بين آيات السّـورة الواحـدة وحول الصّلة بين سور القرآن وحول السّياق القرآني، وجـاءت نصـوص تتحـدث

عن أقسام القرآن: قسم الطّوال، وقسم المئين، وقسم المثاني، وقسم المفصل. ولم يستوعب أحد من المؤلّفين الحديث عن هذه القضايا في علميّ ـ بما يغطيها تغطيّة مستوعبة. وفي عصرنا الذي كثر فيه السّؤال عن كلّ شيء ـ أخذ كثيرون من النّاس يتساءلون عن الصّلة بين آيات القرآن الكريم وسوره، وعن السّر في تسلسل سور القرآن على هذه الشّاكلة المعروفة. فأصبح الكلام في هذا الموضوع من فروض العصر الذي نحن فيه).[27]

ومن يقرأ (الأساس في التّفسير) يجد أن الدّكتور سعيد حوى خصّص لهذا الموضوع من بحوثه حيزا كبيرا من سورة الفاتحة إلى سورة النّاس، مستجليا الوحدة العضويّة القرآنيّة الشّاملة المكوّنة من علاقات المناسبة العديدة بين آيات القرآن الكريم وسوره، وبداياتها ونهاياتها إلخ... وقد وفق في ذلك إلى حد بعيد. واستمد مادة كتابه من تفاسير عديدة قديمة، وأخرى معاصرة، لكنه اهتم في نفس الوقت بتقديم إضافات، والعناية بالوحدة الموضوعيّة والعضويّة. ومن ذلك تقسيمه للمفصل إلى مجموعات آخرها المجموعة الخامسة عشرة. وكذلك فعل مع الأقسام الأخرى، حيث نجده يقسم المقطع من السّورة إلى مجموعات وفق فهمه وتدبره لعلاقاتها الدّاخلية، وعلاقاتها مع غيرها من المجموعات. وأظن أنّ مثل هذا الصّنيع ممّا مهد الطّريق لمنهج علم مقارنات السّور.

6ـ 2 ـ 4ـ عبد الله دراز: من بين مميّزات كتاب (النبّأ العظيم) للدّكتور عبد الله دراز ـ رحمه الله: (الاهتمام بالوحدة الموضوعيّة للسّور القرآنيّة، والإثبات بالحجة

والبرهان أنّ السّورة الواحدة من القرآن إنّما هي كالبناء المتماسك لا يمكن أن تنزع منه لبنة واحدة دون أن يتداعى ويفسد نظامه).[28] وقد تناول هذا بتفصيل وتحليل مستفيض في نموذج من دراسة الإعجاز في النّظم القرآني، والوحدة الموضوعيّة في سور القرآن، وتطبيق الدّراسة على أطول سورة في القرآن وهي سورة البقرة، وهذا البحث من أطرف البحوث في هذا الكتاب الطّيب[29] وهو وإن اهتمّ بإبراز الوحدة الموضوعيّة لسور القرآن، خاصّة في سورة البقرة، فإنّه لم يقارن بينها وبين غيرها من السّور كما فعل الدّكتور المستغانمي. ثمّ لأنّ كان الدّكتور دراز قد فطن إلى ما لم يغفله الدّكتور المستغانمي من ضرورة تجاوز الطّريقة القديمة في النّظر إلى السّورة الواحدة، فإنه لم يمد منهجه إلى تعميم هذه النّظرة الجديدة على مجموع سور القرآن الكريم والبحث في العلائق بينها. يقول مثلا: (وبهذا نعرف مبلغ الخطأ الذي يتعرض له النّاظرون في المناسبات بين الآيات حين يعكفون على بحث تلك الصّلات الجزئيّة بينها بنظر قريب إلى القضيتين أو القضايا المتجاورة، غاضين بصرهم عن هذا النّظام الكليّ الذي وضعت عليه السّورة في جملتها).[30] وحتى عندما أراد أن يطبق هذا المنهج على سورة البقرة أوصى قارئه بأن يفعل مثل ذلك بالنسبة للسّور الأخرى، ولم يشر إلى ما يتّصل بتطبيقه على السّور في العلاقات فيما بينها، يقول: (وملاك الأمر في ذلك أن تنظر إلى النّظام المجموعيّ الذي وضعت عليه السّورة كلها كما وصيناك به من قبل. ونحن ذاكرون لك الآن نموذجا منه لو

وضعته نصب عينيك واحتذيته في سائر السّور لكان ذلك نعم الدّليل على دراستك).[31]

7ـ من معالم التّجديد في مقارنات السّور من خلال البرنامج:

7ـ 1ـ معظم الموضوعات المتناولة: يمكن استخلاص معظم ما تناوله الدّكتور المستغانمي في حلقات برنامج في رِحاب سورة، المتعلّقة بعلم مقارنات السّور وتلخيصه في ما يلي:

دراسات العلاقات بين بعض السّور ـ شخصيّة السّورة: مثال سور ﴿البقرة والقصص، والأحقاف﴾ إبراز موضوعاتها ومحاورها: مثلا موضوعات سورة ﴿يس﴾ وسورة ﴿فصلت﴾ ومحاورها ـ العلاقة بين أسماء بعض السّور ـ موافقات في أرقام الآيات مع الألفاظ في سور مختلفة. أنواع علم مقارنات السّور ـ وقد خصّص لها ثلاث حلقات ـ علم مقارنات السّور: ﴿الأحزاب، الطّلاق التّحريم... ﴾ تتبع مراحل قصّة في سور عدّة. المناسبة بين البداية والنّهاية. علاقة وتناسق الكلمات بين سورة وحروف حم عسق... علاقات بين سور متشابهة المطالع: سور ﴿الحمد﴾ مثلا. اختيار الألفاظ القرآنيّة بما يناسب الثّوب اللفظي لكلّ سورة. مقارنة السّور التي لها نفس الفواصل. التّجاذب اللفظيّ والمعنوي في السّور. كيف نتدبر القرآن الكريم؟ الترابط بين سورتي ﴿يوسف والقصص﴾ مراحل قصّة موسى عليه السلام بين سور ﴿الشّعراء والنّمل والقصص﴾ علاقة سورة ﴿محمّد﴾ بالحواميم قبلها.

7ـ 2ـ قيمة منهج المقارنة وحسن توظيفه: لابد من التّأكيد أوّلا على حقيقة منهجيّة، وهي خصوبة منهج المقارنة، من حيث هو، وبصرف النّظر عن موضوعات تطبيقه. فهو منهج أصيل في البحث العلميّ بصفة عامّة، في مختلف العلوم، من الرّياضيات والفيزياء مثلا، إلى علم اللغة والدّراسات الاجتماعيّة، إلى التّاريخ وعلم النّفس وغيره من العلوم الإنسانيّة. لكن هذا المنهج يكون أخصب بقدر ما يكون تطبيقه أدقّ وأعمق وأرحب.

7 ـ 3ـ مؤّهلات الإثمار: وأحسب الدّكتور المستغانمي قد وفّق كثيرا في دراساته القرآنيّة في إطار ما سماه بعلم مقارنات السّور، لأنّه اختار منهجا مناسبا لما توخى الوصول إليه من مقاصد وحكم وأسرار موضوعيّة وجماليّة. غير أنّ هذا المنهج المقارن لوحده ما كان ليوصله إلى نتائج جديدة لو لا عدّة أمور:

ـ **أوّلها**: تمكّنه من علوم اللغة العربيّة من نحو وصرف وبلاغة وبيان وفقه لغة ومعاجم مفردات، وتراث لغويّ شعريّ ونثريّ غني بالشّواهد الدّلاليّة والتّركيبية والبلاغيّة والأسلوبيّة الجماليّة.

ـ **ثانيها**: اطلاعه الواسع على مكتبة الدّراسات القرآنيّة الزّاخرة منذ بداية تأسيسها إلى اليوم، سواء في مجالات التّفسير، أو علوم القرآن، أو بلاغته، أو القراءات القرآنية، أو غيرها من مستويات الدّرس القرآني، بما فيها غريب القرآن وإعرابه إلخ...

ـ **ثالثها**: ذائقته الأدبيّة الفنيّة الرّاقية، وتذوّقه الجماليّ لبلاغة القرآن الكريم وذلك نتيجة قراءاته الواعيّة المتواترة للنّص القرآني واستفادته من الدّراسات البلاغيّة له قديما وحديثا.

ـ **رابعها**: دقّة ملاحظته، ورؤيّته الشّمولية، وربطه للأجزاء بالكلّ، وقراءته للأجزاء في ترابطها، وفطنته لمواضع التّجاذب اللفظيّ والمعنويّ بين السّور القرآنيّة.

خامسها: عنايته باستجلاء المقاصد والحكم من خلال تتبع تلك المواضع.

ومن هنا يتبين أنّ منهج المقارنة، إذا أحسن استعماله آتى أكله العلميّ، وإلاّ فإنّه يظل أشبه بالآلة الصّماء، كما قد نلاحظ في بعض البحوث التي يغلب عليها الطّابع الآلي وتكون فاقدة للرّوح، لأنّها لم تكن تبحث عن المعاني والمقاصد من وراء المقارنات الجوفاء.

7ـ 4ـ إضافة نوعيّة: لما سأل مقدم البرنامج الدّكتور المستغانمي عن الإضافة التي أضافها في علم مقارنات السّور ما دامت عناوين هذه السّور تدل على مضامينها، وكأنّه يقول له: إنّنا أمام تحصيل حاصل، فما إضافتك؟ وما الجديد عندك؟ كان جوابه: أنّنا مع هذا المنهج أصبحنا نوضح هذه العلاقات أو ما يسميه بالتّجاذبات سواء كانت من نفس العائلة ـ كما بينه في السّابق بخصوص سورة ﴿الزّخرف﴾ أو من نفس الأسرة ـ ويقصد هنا المعجم. لقد عرفت دراسة القرآن الكريم تطورا كبيرا. وعندما أراد الدّكتور المستغانمي بيان مدى أهميّة الإضافة العلميّة التي جاء بها في علم مقارنات السّور ذكر بأنّ البداية في دراسة القرآن الكريم

كانت دراسة إعرابيّة وصوتيّة للكلمات، ثمّ للآيات في سياقها الخاصّ، ثمّ دراسة السّورة ككلّ وفي سياقها الكليّ فإذا انتقلنا إلى دراسة سورتين بالمقارنة بينهما، ثمّ بعد ذلك إلى دراسة مجموعة سور بسياقاتها وعلاقاتها الجامعة بينها ضمن أسرة واحدة نكون أمام إضافة نوعيّة. وفائدة ذلك الوصول إلى معان لم يكن هو نفسه يعرفها كما قال. وقديما كانوا يسمون البحث في ذلك بعلم المناسبات: النّيسابوري، والرّازي وابن الزّبير الغرناطي، كما رأينا، وعنده اكتمل هذا العلم. لكن ليس هذا هو منهج الدّكتور المستغانمي فحسب؛ بل يضيف إليه تناسب الهندسة القرآنيّة. فهناك روابط داخلية لتشابه بعض السّور بناء ومطالع وأساليب ومعجما ... إلخ.

فالدّكتور المستغانمي يبحث عن المقاصد والحكم في مقارنات السّور، ولا يقتصر على ملاحظة التّشابه أو التّقارب أو التّماثل. وهذا يجعلنا نؤكد أنّ منهجه ليس سطحيا، ولا ظاهريا، بل هو منهج عميق يبحث عن أسرار التّجاذبات، فهو يحاول دائما طرح السّؤال لماذا؟ ويبحث عن الإجابة من خلال المقارنات العميقة بعد أن يطرح سؤال: كيف؟ الذي يعتني من خلاله بدراسة الشّكل والنّسق والتّماثل أو التّقابل أو التّشابه الظّاهري، وبجمعه بين الدّراستين العليّة والكيفيّة أوالمقاصدية والنّسقيّة الجماليّة، أوالمعنويّة واللفظيّة، يقف ويوقف مشاهديه على مكامن الأسرار القرآنيّة العجيبة، وهذا من معالم التّجديد في منهجه.

7 ـ 5ـ **مميّزات منهجيّة:** يقوم المنهج الذي سلكه المستغانمي في دراسة عدّة سور على المقارنة بينها، مع التّركيز على ما يسميه بـ (ظاهرة التّجاذب اللفظيّ في السّورة

الواحدة)، حيث قام بدراسة بعض السّور والمقارنة فيما بينهـا، متتبعـا ومتـأملا هـذه الظّاهرة إما من خلال نفس الألفاظ التـي تتجـاذب السّـورة، أو مـن خـلال نفـس القاموس الـدّلالي والأسرة. ويمكـن أن نختـار مثـالا عـلى ذلـك دراسـته لسـورة ﴿الزّخرف﴾ حيث لاحظ بدقّة واستبصار وتدبّر عميق اختيار الكلـمات الـدّال عـلى وجود تجاذب لفظيّ ومعنويّ في هذه السّورة بين سور القرآن الكريم.

ويشير الدّكتور المستغانمي في إحدى حلقات هذا البرنامج إلى الفرق بين منهجـه وما كان سائدا في التّفاسير السّابقة من مناهج. فقديما تحدث المفسّـرون عـن السّـور التي تبدأ بـــ ﴿قل﴾، وب ﴿الحمد﴾ ولكنهم تحدثوا عن المناسبات بين هـذه السّـور ولم يتحدثوا عن النّسيج الجـامع بينهـا، والعنايـة بهـذا النّسـيج هـو مـنهج الـدّكتور المستغانمي في علم مقارنات السّور. فالتّفسير الموضوعيّ الذي ينـدرج فيـه منهجـه برز مكتملا في العصر الحديث، وهو يختلف عن التّفسير التّحليلي الذي كـان سـائدا إلى أن جـاء الطّنطـاوي في (التّفسـير الوسـيط) والطّـاهر بـن عاشـور في (التّحريـر والتّنوير) والشّعراوي في (خواطره)، وغيرهم من المفســّرين المعـاصرين. أمّـا قبـل ذلك فكلّ المفسّرين ركزوا على التّفسير التّحليلي، بيد أن بعضهم بدأ يعطي نظرة عن شخصيّة السّورة. إلى أن جاء بعض العلماء فخصّصوا السّورة القرآنيّة بالدّراسة مثـل محمّـد عبـده، ورشـيد رضـا، ومحمّـد عبـد الله دراز، ومحمّـد شـلتوت، ومصـطفى المراغي، الذين كانت لهـم إرهاصـات لدراسـة السّـورة القرآنيّـة. وأوّل مـن درس السّورة متكاملة، في تقديري المستغانمي، وأبدع في ذلك، هو والدّكتور محمّد المـدني.

يندرج الدّكتور المستغانمي، إذا، في إطار المنهج الموضوعيّ؛ حيث يدرس شخصيّة السّورة مبرزا معانيها وخصائصها ومميّزات هندستها. وكتاب الشّيخ الأزهريّ الدّكتور المدني الآنف الذّكر هو (المجتمع الإسلاميّ كما تنظّمه سورة النّساء)[32] وقد كتبه في وقت متقدّم. ثمّ انقطع هذا النّوع من الدّراسة إلى عصره الحديث. لكن ما يميّز منهج الدّكتور المستغانمي أنّه قائم على إبراز ظاهرة التّجاذب اللفظيّ في السّورة الواحدة بدراسة بعض السّور ومقارنتها إمّا من نفس المادة التي تتجاذب الألفاظ في السّورة، أومن نفس القاموس الدّلالي (الأسرة) كما ذكرنا. وهذا من أبرز معالم تجديده.

ومن الفوائد العظيمة لهذا المنهج أنّه زاد دراسة الإعجاز البيانيّ القرآني سعة وعمقا، بما أضافه من مقارنات للسّور. فهو منهج يضيف إلى دراسة الإعجاز القرآنيّ الذي ـ لا تنقضي عجائبه ـ آفاقا أوسع من خلال كشوف مقارنات السّور. وقد أشرنا إلى بعض من ذلك ضمن النّماذج.

7 ـ 6 ـ مميّزات موضوعيّة: يدرس المستغانمي الألفاظ والأنّساق التّعبيرية الخاصّة بالسّورة، كما يدرس موضوعاتها ومحورها العامّ، والمناسبة بين بدايتها ونهايتها، وعلاقتها ببعض السّور وسبب نزولها، فضلا عن مقارنة السّور القرآنيّة التي لها نفس الفواصل.

7ـ 7ـ من حيث التّواصل: من النّاحية التّواصليّة الإعلاميّة، تواصل المستغانمي بالتّعاون مع محاوره في هذا البرنامج، بعدّة وسائل واضحة وناجعة، من أهمّها الإجابة على أسئلة الجمهور وتقديم لمحات تمهيديّة ـ مثلا: لمحة حول تطوّر التّفسيرـ علاوة على التّحاور المباشر بينه وبين محاوره، وهذه هي الوسيلة التّواصلية الأهمّ والتي تنوّعت أساليبها بين أسئلة وأجوبة مباشرة، وبين إثارة الموضوعات من طرف المحاور، أو تشويق المشاهد إلى موضوعات أخرى يتم تناولها في المستقبل مع الإلماع إلى أبرز خطوطها وتفريع موضوعات جديدة، ثمّ العودة إلى أخرى وتبويب كلّ ذلك تبويبا منهجيا. وقد كان منهجه التّواصلي يقوم على التّقديم والتّحليل والتّقويم والنّقد والإيضاح والبيان، والتّمثيل بالعرف اللغويّ العربيّ ونقل أقوال العلماء ولفت الانتباه والتّركيز، واستعمال لغة سلسة واضحة، وطلاقة في الأداء والبيان والإقناع بالفكرة عن طريق التّوضيح والتّفهيم، وضرب الأمثلة وسوق النّماذج والاستدلال العقليّ والنّقلي، والتّذويق البلاغيّ الجماليّ، والمقارنة والمقابلة والتّنظير والانتقال من الجزء إلى الكلّ، أوالعكس، ومخاطبة الفطرة الإنسانيّة والحسّ السّليم إلخ... ومن حرصه على وضوح التّبليغ وتفهيم المشاهد مراده، تجنبه تشعيب الحديث وإن كان محاوره يجذبه أحيانا بأسئلته للانتقال إلى موضوع آخر عرضا، لكنه كان يحرص على تركيز حديثه لتحقيق تبليغ أحسن للفكرة.

7 ـ 8ـ المنحى التّفسيريّ في علم مقارنات السّور عند المستغانمي: يرى الدّكتور المستغانمي أنّ كثيرا من القضايا التي لم يستطع المفسّرون أن يحسموا فيها، تمكن

هذه الطّريقة المتمثّلة في منهج علم مقارنات السّور، من ترجيح ما ينبغي ترجيحه بصددها. وأعتبر أنّ هذا ممّا سمح للمستغانمي بأن يناقش عدة أقوال للمفسـّرين السّابقين في هذا البرنامج، مبديا رأيّه أو ترجيحه أو اختياره وفق ما توصل إليه من خلال منهج مقارنة السّور[33]. فمن توظيف المستغانمي لمنهجه في خدمة التّفسير وتوجيه الأقوال ما أشار إليه بخصوص سورة ﴿الصّافات﴾ حيث ذكر أنّ بعض المفسّرين ذهب إلى أنّ الصّافات هي الطّيور التي تصف أجنحتها واستدلوا بقوله تعالى في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ لكنّه يناقش هذا القول ويرد عليه متسائلا: لماذا نذهب إلى سورة أخرى هي سورة ﴿الملك﴾ وعندنا في نفس سورة ﴿الصّافات﴾ الجواب في قوله تعالى في نهايتها: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ وهذا كلام الملائكة. فالأولى حمل المعنى عليهم. وقد يقول قائل: لماذا ورد اللفظ هناك بصيغة المؤّنث: (الصّافات)، وهنا بصيغة المذكر: (الصّافون)؟ ويجيب المستغانمي بأنّ ضعاف العقول الذين كانوا يظنون أنّ الملائكة إناث نبههم القرآن إلى أنّ الملائكة ليسوا من الإناث ولا من الذّكور بل هم خلق آخر، وذلك بإيراد صيغتي المذكر والمؤّنث معا.

و﴿الزّاجرات زجرا﴾ في تفسير الدّكتور المستغانمي هم الملائكة، وهو يرفض قول من يرى أنّها السّحب. لأنّ المعنى لا يستقيم حسب هذا الرّأي. ويستدل على تفسيره بالآية التي تلي الآية السّابقة وهي قوله تعالى: ﴿فالتاليات ذكرا﴾ وهم الملائكة. فالزّاجرات هي الملائكة تزجر الشّياطين، وليس من المناسب أن يأتي

الحديث عن السّحب بين آيتين هما في سياق الحديث عن الملائكة. ويستحضر المستغانمي كذلك، قوله تعالى في نهاية سورة ﴿الصّافات﴾: ﴿فإنّما هي زجرة واحدة﴾، حيث استعمل لفظ (الزّجرة) بدل (الصّيحة) المستعملة في سور أخرى. ويطرح السّؤال: لماذا استعمل لفظ (زجرا) لولا أن هناك حكمة تتجلى في هذا التّناسق والتّجاذب اللفظيّ والمعنويّ المعجز.

7 ـ 7 ـ نماذج: ذكر الدّكتور المستغانمي في هذا البرنامج أنماط أسر السّور القرآنيّة، وقد فطن إلى أربعة أنماط من هذه السّور. والباب مفتوح لمن أراد مزيد بحث. ونذكر هنا نماذج من بعض هذه الأنماط:

. **النّمط الأوّل**: السّور المتشابهة المطالع كالمسبحات. مثالها: مقارنته بين ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده...﴾ و﴿تبارك الذي بيده الملك...﴾ وكذلك: ﴿البقرة وآل عمران، والسّجدة﴾... إلخ. وهنا يتساءل ـ منبها المشاهد ومحفزا تأمله: هل من المعقول أن يبدأ الله سبحانه ستّ سورـ الحواميم، والمسبحات، والتي تبدأ بالحمد لله، مثلا ـ بنفس البداية دون غيرها؟ كما أنّه يقارن بين ﴿ياأيّها النبّي إذا طلقتم النّساء ...﴾ و﴿يا أيّها النبّي لم تحرم ...﴾ و﴿يا أيّها النبّي اتق الله ...﴾.

ـ **النّمط الثّاني**: السّور المتشابهة الفواصل، وهي سور تتشابه في أغلب الفواصل. ومثل لها، مع الدّراسة والمقارنة، بسور ﴿الجنّ والكهف والنّجم والأعلى والليل والضّحى... ﴾ فسورتا ﴿الملك والفرقان﴾ تتشابهان من حيث المطالع، و﴿الفرقان

والإسراء﴾ تتشابهان من حيث الفواصل، إذ تغلب عليهما فاصلة الرّاء المنونة المفتوحة.

﴿الإسراء﴾: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ... ﴾ و﴿الفرقان﴾: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾: كلاهما تضمنتا تنزيه الله سبحانه. ـ وفي سورة ﴿الإسراء﴾: ﴿وآتينا موسى الكتاب ... ﴾ وفي سورة ﴿الفرقان﴾: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾. وفي ﴿الإسراء﴾: ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون ... ﴾ وفي ﴿الفرقان﴾: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب ألا تتخذوا من دوني وكيلا... ﴾ في﴿ الإسراء﴾: ﴿قل آرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا؟﴾ وفي ﴿الفرقان﴾: (وما أرسلناك عليهم وكيلا). في ﴿الإسراء﴾: (وجعلنا الليل والنّهارآيتين ...) وفي﴿ الفرقان﴾: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ في ﴿الإسراء﴾: (ولتعلن علوا كبيرا ...) وفي ﴿الفرقان﴾: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ... ﴾، والعلو والعتو بمعنى، والعتو أشد. وهكذا يستدل د.المستغانمي، بهذه المقارنات بين السّورتين، على وجود تجاذب بين موضوعيهما وبين ذات الألفاظ المستعملة فيهما.

ـ النّمط الثّالث: تشابه الأنساق التّعبيرية في بدايات السّور من غير اشتراك في المادة اللغويّة، فالسّور التي افتتحها البارئ جلّ ثناؤه بأنساق تعبيريّة متشابهة، وهي من غير جذر لغوي واحد، هي ما يمثل هذا النّمط الثّالث من أنماط أسر السّور. مثال ذلك: سور ﴿الصّافات والنّازعات والذّاريات والمرسلات﴾. فهي تشكل بذلك أسرة واحدة. وكذلك سورتا: ﴿ياأيّها المزمل﴾ و﴿ياأيّها المدثّر﴾. وذكر د. المستغانمي

بترتيب نزول هذه السّور: ﴿الصّافات﴾ 56، و﴿الـذّاريات67﴾، و﴿المرسـلات﴾ 33 و﴿النّازعات81﴾، فبينها مسافات زمنيّة، وكـذلك مـن حيـث ترتيبهـا في المصـحف لكنها يجمعها هذا النّسق التّعبيري. وهي من القرآن المكيّ، وموضـوعاته هـي الإيـمان والعقيدة. ثمّ أخـذ في تفسـير أنسـاقها التّعبيريـة. فالنّاشـطات: الملائكـة تنـزع أرواح المؤمنين برفق. و﴿النّازعات﴾: الملائكة تنزع أرواح الكافرين بعنـف. و﴿الصّـافات﴾: الملائكة تصف عند نزول الوحيّ تعظيما لـه. والملقيـات ذكـرا: المقصـود بهـا الملائكـة أيضا. وقوله تعالى في ﴿ الصّافات﴾: (وإنّا لنحن الصّافون وإنّا لنحن المسـبحون). وفي سورة ﴿النّازعات﴾: (فإنّما هـي زجـرة واحـدة) و﴿النّازعـات﴾ مـن ذات الأسـرة. وهذا دليل قاطع على أن هذه السّور من أسرة واحـدة. ولم يـرد هـذا اللفـظ في سـورة أخرى خارج هذه السّور. وعند حديثه عن قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾من سورة ﴿الصّافات﴾ نبه إلى قولـه تعـالى في سـورة ﴿الـذّاريات﴾: (والسّـماء ذات الحبك) وهي الطّرق. وقد عدد لها القرطبـي سـبعة معـان في تفسـيره، منهـا: النّجـوم والطّرائق والشّدة... فآية الصّافات تفسّـر، في نظر الدّكتور المستغانمي، آيـة الـذّاريات بطريقة غير مباشرة. باعتبار أنّ معنى (حبك) هو (زين). فهناك علاقة معنويّة وطيـدة. ثمّ انتقل إلى قوله ﷻ في ﴿الصّافات﴾: (فاسـتفتهم أهـم أشـد خلقـا أم مـن خلقنـا؟) واستحضـر قوله تعالى في نهايّة السّورة: (فاستفتهم ألربك البنـات ولهـم البنـون ...). مبينا أن هذا الخطاب: (استفتهم) لا نجده إلاّ في هذه السّورة.

ولا يتسع الحيز لتقديم نماذج أخرى، مكتفين بهذا الذي سقناه، كما ذكرنا في البداية من أنّ هذه الورقة على سبيل الاجتزاء والاكتفاء فحسب.

خاتمة: إنّ ما سلكه الدّكتور المستغانمي من منهج أصيل مجدّد، وما توصل إليه من نتائج مقنعة، وما تفطن إليه من علاقات عجيبة، وما اهتدى إليه من أسر قرآنيّة متناسقة، وجوامع لفظيّة ومعنويّة منسجمة، ليجد أصوله البعيدة في تراث أسرار الإعجاز القرآنيّ، وبلاغة النّظم الرّباني الذي يمتد من التّركيب إلى السّياق بل إلى السّياقات المتعدّدة داخل السّورة الواحدة، وفي تواشجها مع غيرها من السّور.

ولئن كان للسّابقين فضل الإرهاص والإلماع، في ما الدّكتور المستغانمي بعلم مقارنات السّور، فإنّ له، دون مبالغة، سبقا مجليا إلى تأصيل وتأسيس المنهج المتكامل الذي يفتح للدّارسين من بعده آفاقا أرحب بحول الله تعالى. وختاما سلاميّ وتقديريّ وتنويهيّ وتهانيّ الخالصة للدّكتور العلامة المجدّد أمحمد صافي المستغانمي، الذي يستحق من التّكريم والتّقدير ما هو به جدير.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله ربّ العالمين.

ـالهوامش:

1ـ ولا سيما مؤلّفه: (جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور: رؤيّة تأصيليّة للثّوابت المضمونيّة واللفظيّة لمجموعات الأسر القرآنيّة)، الطّبعة الأوّلى، دار ابن كثير، 2018. ويقدم فيه د. المستغانمي رؤيّة تأصيليّة لعلم مقارنات السّور الذي يعنى بإيضاح العلاقات بين الأسر القرآنيّة. والكتاب يقع في 488صفحة.

2ـ باتت حلقات هذا البرنامج متوفرة على الشّابكة الإكترونيّة عبر قناة يوتوب.

3ـ يمكن أن نذكر من أنواع التّفسير: التّفسير اللغويّ، والتّفسير بالمأثور، والتّفسير بالرّأي والتّفسير الموضوعيّ، والتّفسير التّحليلي، والتّفسير العلميّ، والتّفسير الإشاريّ، والتّفسير الفقهيّ والتّفسير الباطنيّ، وتفسير الأحكام.

4 ـ جلال الدّين السّيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن 1/ 43.

5ـ البقاعي: نظم الدُّرر (1/ 6).

6ـ حول نشأة هذا العلم ينظر: د. عبد الحكيم: (أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنيّة)، ضمن مجلة (الأحمدية)، العدد الحادي عشر – جمادى الأولى 1423هـ، وهي مجلة تصدر عن دار البحوث للدّراسات الإسلاميّة وإحياء التّراث، في دبيّ بالإمارات العربيّة المتّحدة.

7ـ المناوي: الكواكب الدّرية، 2/ 465.

8ـ ينظر: علم المناسبات ... التّعريف... الأهميّة... طريقة معرفة المناسبة؟ ضمن الموقع الالكّترونيّ (الحفظ الميسر)، بتاريخ21 أبريل 2019.

ـ ومن المؤلّفات التي اعتنى أصحابها بعلم المناسبة: (تحرير التّبير) لأبن أبي الأصبع، و(معترك الأقران) للسّيوطي، و(إعجاز القرآن) للرّافعي، و(الإعجاز البيانيّ) و(مسائل ابن الأزرق) لعائشة عبد الرّحمن و(ثلا ث رسائل في إعجاز القرآن) للرّماني والخطابيّ والجرجاني، و(دلائل الإعجاز) للجرجاني و(مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) وهو يتناول بالدّرس فواتح السّور مع خواتمها و(من بلاغة القرآن) لأحمد بدوي. ومن الدّراسات الأكاديميّة الحديثة في هذا المجال، بالإضافة إلى ما ذكرناه، رسالة ماجستير بعنوان (علم المناسبة ضبطا وتنزيلا: نظم الدّرر نموذجا)، للباحث عبد الفتاح خضر، تحت

إشراف د. أبو عبد الرّحمن الأخضاري بكليّة العلوم الإنسانيّة والحضارة، في الجزائر وأطروحة دكتوراه خديجة إيكر العربي بعنوان (لسانيّات الخطاب القرآني مظاهر الانسجام والاتّساق).

9ـ ريم عبد الفتاح: عناية المفسّرين بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ضمن الموقع الإلكّتروني: مركز تفسير الدّراسات القرآنيّة.

10ـ صالح الشّتري: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغيّة، لصالح الشّثري، مجمع الملك فهد، المدينة المنّورة، ص 13.

11ـ ريم عبد الفتاح: عناية المفسّرين بتوجيه المتشابه اللفظيّ في القرآن الكريم، ضمن الموقع الإلكّتروني: مركز تفسير الدّراسات القرآنيّة، ومن أشهر المؤلّفات المستقلّة التي أُلّفت في توجيه المتشابه اللفظيّ:(درة التنّزيل وغرة التأويل) لـلخطيب الإسكافي، وهو أهمّ كتاب في هذا الباب، وأوّل كتاب صُنّف في توجيه آيات المتشابه اللفظي. و(البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) لمحمود بن حمزة الكرماني. و(ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل) لابن الزّبير الغرناطي، وهو من أوسع الكتب التي تناولت الكثير من المواضع. و(كشف المعاني في المتشابه من المثاني) لبدر الدّين بن جماعة، و(فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس من القرآن) للشّيخ زكريا الأنصاري، وهو اختصار لكتاب (البرهان).

12ـ ومن مؤلّفات المفسّرين في هذا المجال: (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ت276هـ، و(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لابن جرير الطّبري ت310هـ، و(معاني القرآن) لأبي جعفر النّحاس ت338هـ و(تنزيه القرآن عن المطاعن) للقاضي عبد الجبار بن أحمد ت415هـ، و(الكشاف) للزّمخشري ت538هـ و(المحرر الوجيز) لابن عطيّة ت542هـ، و(زاد المسير) لابن الجوزي ت597هـ، و(التّفسير الكبير) للفخر الرّازي ت606هـ، و(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ت671هـ، و(أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التّنزيل) لمحمّد بن أبي بكر الرّازي صاحب مختار الصّحاح توفي بعد سنة 691هـ، و(غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للحسين بن محمّد النّيسابوري ت728هـ، و(لباب التّأويل في معاني التّنزيل) للخازن ت741هـ، و(البحر المحيط) لأبي حيان ت745هـ، و(الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون) للسّمين الحلبي ت756هـ، و(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ت774هـ، و(بصائر ذوي التّمييز في لطّائف الكتاب العزيز) لمحمّد بن يعقوب الفيروزآبادي ت817هـ، و(الفتوحات الإلهيّة)

المعروف بحاشية الجمل للشّيخ سليمان بن عمر ت1204هـ، و(روح المعاني) للآلوسي ت1270هـ و(تفسير التّحرير والتّنوير) لابن عاشور ت1393هـ.

13ـ ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التّجيبي الأندلسيّ (ت: 638): تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي، تحقيق محمادي بن عبد السّلام الخياطي، منشورات المركز الجامعيّ للبحث، الطّبعة الأولى 1418هـ ـ 1997م. العلمي، الرّبا ط.

14ـ المناوي: الكواكب الدرّية، 2/ 465.

15ـ أطروحة دكتوراه الدّولة نوقشت سنة 1990 م، طبعتها كليّة آجاب الرّباط، سنة 1992م.

16ـ خاطرات حول التّفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم، محاضرة ألقاها الأستاذ الدّكتور مصطفى مسلم في الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا. تاريخ الإضافة: 7/ 11/ 2012 ميلادي - 22/ 12/ 1433 هجري). الموقع الإلكتروني: الألوكة.

17ـ نفسه.

18ـ عائشة بنت الشّاطئ: التّفسير البياني للقرآن الكريم: (1/ 7). صدرت الطّبعة الأولى منه، سنة 1963، في جزئه الأوّل، ثمّ صدر الجزء الثّاني منه بعد ذلك بمدّة.

19ـ نفسه: الجزء الثّاني.

20ـ تقصد د. أمين الخولي الذي شاركها في إنجاز هذا العمل.

21ـ عائشة بنت الشّاطئ: التّفسير البيانيّ للقرآن الكريم.

22ـ سورة آل عمران: الآية 110.

23ـ سورة التّوبة: الآية 112.

24ـ سورة المائدة: الآيتان 78 ـ 79.

25ـ سورة التّوبة: الآية 67.

26ـ التّحرير والتّنوير: 1/ 8.

27ـ الأساس في التّفسير، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى 1405هـ ـ 1985م: 1/ 9. ويقع هذا التّفسير في 6799 صفحة.

28ـ محمّد عبد الله دراز: النّبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، اعتنى به وخرج أحاديثه عبد الحميد الدّحاحني، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الطبّعة الأولى 1417 هـ/ 1997م، الطّبعة الثّانية 1421هـ 2000م، ص: ط.

29ـ نفسه: ص: ي.

30ـ نفسه: ص 199.

31ـ نفسه: ص 203.

32ـ محمّد محمّد المدني: ط3 القاهرة (مصر): لمجلس الاعلى للشّؤون الاسلاميّة 2012. وهو يتألّف من 218 صفحة.

33ـ وقد أشار إلى هذه الحقيقة في حلقة 15 ماي 2017، من برنامج: في رِحاب سورة، علم مقارنات السّور، 4.

الجديد في تفسير القرآن المجيد عند الشّيخ: أحمّد صافي المستغانمي

دراسة استقرائية تحليليّة للإضافات الابتكاريّة المنثورة ضمن برنامج (في رِحاب سورة)

د. بهاء الدّين عادل عرفات دنديس
مستشار علميّ بمجمع القرآن الكريم، وإمام وخطيب مسجد خليل الرّحمان بالشّارقة

ملخص البحث: الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على الحبيب المصطفى، وآله وصحبه ومن اقتفى، وبعد:

فهذه دراسة موجزة، تسلط الضّوء على الإضافات الابتكاريّة والاستنباطات البيانيّة واللطائف التّفسيرية التي بثّها الشّيخ الدّكتور أحمّد صافي المستغانمي -حفظه الله تعالى- في طيّات برنامجه التّلفزيونيّ: (في رِحاب سورة)، وذلك من خلال إجراء دراسة استقرائيّة تحليليّة لحلقات برنامجه، والغوص في محتواه لاستكشاف ما فيه من علم غزير دقيق، وارتشاف ما فيه من فهم ثاقب عميق وهذه الدّراسة تثري جانب الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم، وتبرز أهميّته وتظهر قيمته، وتكشف عن كنوزه ومكنوناته، وتدلي بدلاء جديدة تسهم في إرساء دعائم علم مقارنة السّور، كما وتؤكّد على ضرورة الاعتناء بهذا النّوع من العلوم النّافعة الجليلة الماتعة الجميلة، وتعميم التّجربة بالتّنقيب عمّا حوته سور القرآن من دُرر وفرائد، ولطائف وفوائد.

المقدمة: الحمد لله جليل النّعم، ذي الجود والكرم، جعل لأهـل القـرآن مزيّـة وأيُّ مزيّة ومنزلة رفيعة عليّة، ثمّ الصّلاة والسّلام الأتمان الأكملان، على خير البريّـة وأزكى البشريّة، سيدنا محمّد بن عبد الله، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنّ القرآنَ الكريمَ حبلُ الله المتين، ونوره المبين، هو الذّكر الحكـيم، والصـّراط المستقيم، والعروة الوثقى، والمعتصَم الأقوى، هو النّور والشّفاء، والهـدى والضّـياء فتح الله به آذانًا صمًا، وأعينًا عميًا، وقلوبًا غُلفًا، وهدى به من الضّلالة، وبصَّر به مـن الجهالة، وجعله إمامًا للمتقين، وحجة على النّاس أجمعين، لا تزيغ بـه الأهـواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملـه الأتقيـاء ولا يخلَق على كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تتناهى غرائبه.

ولذا كان الإقبال على الكتاب العظيم -تعلمًا وتعليمًا- من أجل الأعـمال، وأرفـع الخصال، وأسنى المطالـب، وأعـلى المراتـب؛ التـي تسـتحق أن تفنـى فيهـا الأعـمار وتعمل فيها الأبصار. وعلم التّفسير من ألصـق العلـوم بكتـاب الله ﷻ، فهـو أحـق العلوم بالمفاخر والتّبجيل، وأولى الفضائل بالتّفضيل والتّحصيل.

وكان ممّن تصدى لهذا العلم، فحقق فيه ودقق، وتبحـر فيـه وتعمـق، فـبرز فيـه بالتّصنيف، وجودة التّأليف، شيخنا الجليل العلامة النّبيـل: الـدّكتور أمحمّـد صـافي المستغانمي - حفظه الله تعالى-، حيث تفطن لعلم نفيس من العلوم المرتبطـة بتفسـير القرآن الكريم هو علم مقارنات السّور، فأرسى دعائمه ووضـع قواعـده، وكشـف

عن أركانه وأبان عن مكنّوناته، وبثّ لطائفه ونثر خواطره ضمن برنامجه التّلفزيـونيّ: (في رِحاب سورة).

وحق لهذه الجهود العلميّة أن تذكر فتشكر، وتجمع وتنشر؛ ولذا أحببت أن أقـدم خدمة يسيرة لأهل القرآن والمشتغلين به؛ ليستنيروا بما حواه هذا البرنامج مـن علـوم وفوائد، وفنون وفرائد، ولأكشف النّقاب عما أضافه شيخنا الجليل مـن علـم غزيـر جديد ينبئ عن فقه دقيق ومبلغ من الفهم عميق.

أهميّة موضوع البحث: وتبرز أهميّة الموضوع من خلال النّقاط التّالية:

1- ارتباطه الوثيق بكلام الله ﷻ، أشرف كلام، وأحكم نظام.

2- تعلّقه بعلم المناسبات القرآنيّة التي تتسم بنفاستها، ودقّة مسالكها.

3- كون هذه الإضافات من بَنات أفكار شيخ جليل وعالم تحريـر، مشـهود لـه بالتّبحر في علم البلاغة والبيان القرآني.

4- ما اتّسمت به هذه الإضافات من الابتكار والجدّة والإبداع.

5- احتفاء برنامج (في رِحاب سورة) بهذا اللون الجديد من ألوان علوم تفسـير القرآن –علم مقارنات السّور– الذي يعد بكرًا لم يطرق من قبـل، ولم يسـبق للعلـماء الحديث فيه على النّحو الذي قرره الشّيخ –حفظه الله تعالى–.

6- أهميّة برنامج (في رِحاب سورة) من كونه أصبح محط اهتمام المشاهد العـربيّ والباحث القرآنيّ، وله متابعيه ومحبيه، وطالبيه وراغبيه، فقـد لاقـى البرنـامج قبـولًا

واسعًا، وحظي بانتشار كبير في العالم الرّقميّ، وبثت مقاطع منه عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

أسباب اختيار البحث: وأمّا أسباب اختيار البحث، فيمكن عرضها في الآتي:

1. انطلاقًا من حديث رسول الله ﷺ القائل: ﴿إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهَّ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ﴾، فأحببت أن أشارك في هذا المؤّتمر العالميّ والمحفل القرآني لتكريم شخصيّة قرآنية عالميّة، لها دورها الرّيادي في خدمة القرآن الكريم وعلومه، وإسهاماتها الواضحة في تقريبه وتحبيبه للنّاس.
2. وفاء بحق شيخيّ الجليل واعترافًا بفضله الجميل، وتقديرًا لجهوده المباركة في إرساء دعائم علوم جديدة مبتكرة من علوم القرآن الكريم.
3. الرّغبة في الوقوف على الجديد في تفسير القرآن المجيد عند الشّيخ المستغانمي، وإبرازه وتوضيحه.
4. رفد المكتبة القرآنيّة ببحث متخصص ينير الطّريق للمهتمين بالدّراسات القرآنية، ويفتح لهم آفاقًا بحثيّة جديدة.

منهج البحث وخطته: سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التّحليلي وكانت عينة الدّراسة نماذج من سلسلة حلقات برنامج في (**رِحاب سورة**) وقسمت البحث إلى، مقدّمة وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وبيان ذلك على النّحو الآتي:

أمّا المقدّمة؛ ففيها أهميّة الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

وأمّا المباحث؛ فهي:

المبحث الأوّل: بين يدي السّورة.

المطلب الأوّل: المكّي والمدنيّ.

المطلب الثّاني: ترتيب السّورة بحسب النّزول.

المطلب الثّالث: ترتيب السّورة بحسب ورودها في المصحف.

المطلب الرّابع: عدّ الآيّ.

المبحث الثّاني: وقفات مع علم المناسبات.

المطلب الأوّل: وقفة مع معنى اسم السّورة؛

المطلب الثّاني: وقفة مع وجه تسميّة السّورة باسمها.

المطلب الثّالث: وقفة مع الوحدة الموضوعيّة للسّورة.

المطلب الرّابع: وقفة مع العلاقة بين مطلع السّورة وخاتمتها.

المطلب الخامس: وقفة مع العلاقة بين السّورة موضع الدّراسة والسّورتين السّابقة واللاحقة لها.

أوّلًا: العلاقة بين ﴿سورة الزّخرف﴾ والسّورة السّابقة لها ﴿**سورة الشّورى**﴾.

ثانيًا: العلاقة بين ﴿سورة الزّخرف﴾ والسّورة اللاحقة لها ﴿**سورة الدّخان**﴾.

المطلب السّادس: وقفة مع نماذج من اتّساق توالي الصّفات في التّعبير القرآني.

المطلب السّابع: وقفة مع أهميّة علم المناسبات -علم مقارنات السّور أنموذجًا-.

المبحث الثّالث: المظاهر الأسلوبيّة للسّورة القرآنيّة.

المطلب الأوّل: البناء التّركيبي الصّوتي.

المطلب الثّاني: البناء التّركيبي اللفظيّ.

أوّلًا: مفردات السّورة.

ثانيًا: الأنساق التّعبيريّة.

ثالثًا: التّجاذب اللفظيّ.

المبحث الرّابع: تقسيم سور القرآن الكريم.

الخاتمة؛ وفيها أبرز النّتائج والتّوصيات.

ثمّ الفهارس.

المبحث الأوّل: بين يدي السّورة: إنّ المتأمل لمنهجيّة الشّيخ – حفظه الله تعالى –في برنامجه، يجده يقدم بين يدي السّورة جملة من الفوائد والفرائد المتّصلة بعلوم القرآن الكريم، مراعيًا في اختياره منها ما كان مؤثّرًا فيما سيتعرض له من مباحث وما يتطرق إليه من موضوعات بعد ذلك، ولنأخذ مثالًا على ذلك حلقات ﴿سورة الزّخرف﴾[1] وما بث فيها من علوم ومعارف:

المطلب الأوّل: المكّي والمدنيّ.

بدأ الشّيخ حديثه ببيان نوع السّورة من حيث مكان النّزول وزمانه، وذكر الإجماع على مكيّتها، وأشار إلى اتّفاق جميع المفسّرين والمختصين بعلوم القرآن الكريم على أنّ السّورة من قرآن العهد المكيّ النّازل قبل الهجرة النّبوية الشّريفة[2] ودعم قوله بالاستناد إلى موضوعاتها من التّركيز على الدّعوة إلى التّوحيد وتقرير العقيدة السّليمة، وإبطال العقائد الفاسدة والافتراءات العقديّة المزعومة، وبيان جزاء المطيعين وجزاء المكذبين، وليس ذكره لمكيّتها من باب الحشو والحشد المعلوماتيّ، بل يدلف منه ليؤصّل إلى ما يمتاز به كلّ قسم من القرآن المكيّ والمدنيّ ويوظّف ذلك في بيان محور السّورة ومقاصدها وثوبها المعنويّ العامّ.

المطلب الثّاني: ترتيب السّورة بحسب النّزول.

ذكر الشّيخ – حفظه الله تعالى – أنّها السّورة الثّانية والسّتون بحسب ترتيب نزول السّور القرآنية[3]، وهذه المعلومة ضروريّة لما سيذكره بعد من ترتيبها في سور المصحف.

المطلب الثّالث: ترتيب السّورة بحسب ورودها في المصحف.

يركز الشّيخ على التّرتيب التّاريخيّ لنزول السّورة ليستثمره بما يخدم التّلاحم والتّناسب بينها وبين السّورة السّابقة واللاحقة لها، فذكر أنّ ترتيب ﴿سورة الزّخرف﴾ في النّزول يوافق ترتيب ورودها في المصحف، فهي بعد ﴿الشّورى﴾ وقبل ﴿الدّخان ﴾ وهي الرّابعة في تسلسل سور أسرة ﴿حم﴾ فهي بعد ﴿غافر وفصلت والشّورى﴾ وقبل ﴿الدّخان والجاثيّة والأحقاف﴾، فهي وسط العدّ من اليمين أو اليسار، وواسطة العقد وأكرم به إذ كان زخرفًا!

المطلب الرّابع: عدّ الآيّ.

يقتصر الشّيخ في بيان عدد آيّ السّورة على العدّ الكوفيّ[4] الذي عليه أغلب مصاحف العالم الإسلاميّ اليوم، فلا يتعرض لخلاف علماء العدّ في آيات السّورة ولا لبيان وجه من عد ووجه من ترك، وهو معذور في ذلك، لأنّ هدف البرنامج إبراز روّعة الأسلوب البلاغيّ القرآنيّ وبيان اللطّائف البيانيّة التي تكتنزها السّور القرآنيّة، وعلم العدد لا يخدم هذا الجانب إلاّ في النّزر اليسير النّادر.

المبحث الثاني: وقفات مع علم المناسبات.

المطلب الأوّل: وقفة مع معنى اسم السّورة

للشّيخ –حفظه الله تعالى– وقفات تأمليّة تدبريّة مع اسم السّورة، فمثلًا عند وقفته مع سورة ﴿ الزّخرف﴾ نجده عند بيان معنى الزّخرف يرجع إلى المعاجم اللغويّة ويفتش عن المعنى الأنسب لهذا اللفظ ويتتبع تطوره التّاريخيّ، فيكشف أنّ

أصل استعمال لفظ الزّخرف كان للدّلالة على: الذّهب ثمّ تطوّر ليدل على ما كان في معنى الذّهب من حيث التّزيين والتّنميق والتّزويق، واستدل على ذلك بآيات القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام:112] أي: الكلام المنمّق المزوّق الذي يبدي صاحبه فيه جمالًا. وقوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ [يونس:24] أي: أخذت زينتها وجمالها.[5] فنراه هنا يلاحظ أوّل اللفظ وآخره، فلفظ الزخرف الذي يطلق على الذّهب يدل دلالة ضمنيّة على التّزويق والتّنميق والزّينة، فروح الذّهب بهرجته وزخرفته ولمعانه الآسر، ويستدل للمعنى المستقر الأخير بالنّظير القرآنيّ في يونس والأنعام.

المطلب الثّاني: وقفة مع وجه تسميّة السّورة باسمها:

ويستند الشّيخ - حفظه الله تعالى - فيما يذكره من مناسبات ولطائف بين اسم السّورة وبين محتواها، وبين دلالة اسمها وتقاطعه مع موضوعها العامّ ومحورها الرّئيس إلى ما يراه من أنّ أسماء سور القرآن كلها توقيفيّة عن النّبي ﷺ، وهذا رأيّ وجيه قويّ سار عليه جهابذة العلماء والمحرّرين؛ كالإمام ابن جرير الطّبري رحمه الله حيث يقول: (لسّور القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ﷺ).[6] والإمام الزّركشي رحمه الله إذ قال: (ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي، أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثّاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كلّ سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد)[7]، والإمام السّيوطي رحمه الله حيث قال: (وقد ثبتت جميع أسماء السّور بالتّوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشيّة الإطالة

لبينت ذلك)[8]، وقال: العلامة الطّاهر بن عاشور: (وأمّا أسماء السّور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحيّ، والمقصود من تسميّتها تيسير المراجعة والمذاكرة).[9]

المثال الأوّل:[10] من المعلوم أنّ بعض السّور القرآنيّة يسمى لأدنى ملابسة، إلاّ أنّ لشيخنا – حفظه الله تعالى – رأيًا آخر، فهو يرى أنّ تسميّة السّورة باسم معين لا يقف عن حدود ورود ذلك اللفظ في طياتها، بل يتعداه لعلاقات وروابط وشائح لا تقف عند هذا الحدّ، فليس هو السّبب الوحيد الحامل على ذلك والمسوغ الأساسيّ لتّسمية السّورة، وهذا لا يراه الشّيخ مقنعًا، فمثلًا عند بيان وجه تسميّة سورة الزّخرف بهذا الاسم نراه يلحظ أن لفظ الزّخرف ورد في سور أخرى، ومع ذلك لم تسمَ به تسميّة أولية أو ثانويّة بالزّخرف، فلفظ الزّخرف ورد في القرآن الكريم أربع مرات: الأوّل في سورة الأنعام: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ ﴾ [112] والثّاني في سورة يونس: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ [24] والثّالث في سورة الإسراء: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ [93]، والرّابع هنا في سورة الزّخرف: ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ ﴾[34-35] وهذا ما دفعه للبحث عن وجه اختصاص سورة الزّخرف بالتّسمية من بينها.

فراح يفتش عن السّر في تسميّة سورة الزّخرف بهذا الاسم، وراح ينصب أدلته ويحشد أقواله المؤكدة على أنّ لفظ الزّخرف وروحه ودلالته اللفظيّة والمعنويّة حاضرة بقوة في آيات السّورة، وأنّ موضوعاتها تتناسق وتتناغم مع عنوان السّورة وأطال في بيان وتقرير ذلك، وينطلق مما سيقرره من أنّ المحور العامّ للسّورة هو دحض وإبطال

النّظرة الماديّة للحياة، فنراه هنا يستعرض آيات السّورة مفتشًا عن القواسم المشتركة بينها وبين الزّخرف، ويقف عند دررٍ ثمينة ينثرها للتّائقين لها ومنها:

أوّلًا: يلاحظ أنّ الآية الكريمة ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴾ [الزّخرف:18] منطبقة انطباقًا كليًا مع لفظ الزّخرف، فالحليّة تدل على الزّخرف في أصل استعماله اللغويّ؛ إذ الذّهب هو المتبادر الأولي للذّهن عند إطلاق مسمى الحليّة على ما تتزيّن به النّساء، وتدل على الزّخرف في نهايته اللفظيّة إذ مقصود الاستعمال التّزويق والتّزيين، وهذا التّأمل انطلق فيه الشّيخ من ملاحظته للمتشابه اللفظيّ والمعنويّ في القرآن الكريم، فحديث القرآن وتصويره لحال المشركين عند ما يبشر أحدهم بأنثى جاء في سورتين: النّحل، وهنا في الزّخرف، فالذي في النّحل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [النّحل:58-59] والذي هنا في الزّخرف: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴾ [الزّخرف:17-18] فالشّيخ لاحظ أنّ اختصاص سورة الزّخرف بالآية التي تحمل ألفاظ الزّينة والتّحلي إنّما هو لأجل مقصد دقيق وملحظ عميق يشير إلى التّناسب والانسجام بين ألفاظ الآيات واسم السّورة وتوظيف الكلمات لخدمة اسم السّورة.

ثانيًا: يقف عند قصّة موسى عليه السلام مع فرعون، ويستعرض نظائرها في القرآن الكريم ويلاحظ انطلاق الحديث الفرعونيّ في هذا السّورة من نظرة ماديّة صرفة

فحديث القرآن الكريم عن الطّاغية فرعون وما جاء على لسانه من وصفه نفسه بأوصاف منها: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النّازعات:24] ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[القصص:38]، أما هنا في الزّخرف فانطلق من منطلق مادي بحت: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[الزّخرف:51]، فالصّبغة الماديّة هنا أظهر منها في الآيتين الأخريين، كما أنّ اتهام فرعون لموسى عليه السلام جاء بعدّة تهم منها: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:101]﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾ [الشّعراء:34] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشّعراء:27] أمّا هنا في الزّخرف فاتجه اتجاهًا ماديًا فقال: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾ [الزّخرف:52-53] فاستعمال لفظ ﴿مَهِينٞ﴾: ضد العظيم ذي الحسب والنّسب والجاه والمكانة، والاقتراح بأن يكون ملكًا يحلى بالأساور تحفة الملائكة وتشهد بنبوّته وملكه، وهذا المقترح لم يصدر من فرعون قبل، بل كان مقتصرا على قوله﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:106] أمّا بيان وتفصيل الآيات المقترحة إنّما جاء هنا ليتناغم مع اسم السّورة، وليتواءم مع مضمونه وروحه.

وهنا نلحظ توظيف الشّيخ للقراءات القرآنيّة بما يخدم المعنى ويقويّ دلالة السّياق على ما يذهب إليه ويقرره، ففي لفظ ﴿أَسۡوِرَةٞ﴾ قراءتان متواترتان

مشهورتان: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ جمع قلّة على وزن أفعلة وهي قراءة حفص ويعقوب و﴿أساورة﴾ منتهى الجموع على وزن أفاعلة وهي قراءة الجمهور، ونلحظ هنا أنّ قراءة الجمهور تدل على الكثرة ففيها إشارة إلى المبالغة في الترّف والإيغال في الإسراف الماديّ[11]، وهذا يعكس المعتقد الدّاخلي لفرعون إذ كان يرى أنّ الإغراق في الزّينة دليل التّمكين وقوّة الملك، وما سيأتي في سورة ﴿الدّخان﴾ بوصفه ﴿كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الدّخان:31] ويستأنس له بما جاء في هذه السّورة من وصف قريش بالإسراف ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزّخرف:5].

ثالثًا: يستعرض موقف قريش من دعوة النّبي محمّد ﷺ، ويحكي ما صدر من قريش من ادعاءات واتهامات لجناب النّبي ﷺ حيث يعرض القرآن الكريم هذه المزاعم في سور وصور كثيرة: فمن ذلك قولهم: شاعر،﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[الطّور:30] وقولهم: ساحر وكذاب، ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:4]، وقولهم: مجنون، ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[القلم:51] وقولهم كاهن﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطّور:29].

إلاّ أنّ سورة الزّخرف جاءت مختلفة تماما عن الأسلوب المعهود فكانت على صيغة مقترح فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزّخرف:31]

فقولهم: عظيم، أي: صاحب جاه وعز، بأن يكون له منصب رفيع وملك كبير ومال وفير وهذه الأوصاف تتلاءم مع لفظ الزّخرف.

رابعًا: جاءت نعوت القوم المكذبين في القرآن الكريم على عدّة ألفاظ منها: الكفر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[العنكبوت:47] ومنها: الظّلم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:49] ومنها: الشّرك؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يونس:105].

ومنها: الضّلال والتّكذيب؛ كما في قوله تعالى:﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقعة:92] ومنها: الإجرام؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[السّجدة:12] وغيرها الكثير، أمّا في سورة الزّخرف فجاء الوصف بالتّرف ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[الزّخرف:23] ليصب في نفس معنى الزّخرف ولدلالته، ويؤكده ما جاء بعده من الحديث عنهم فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾[الزّخرف:29].

خامسًا: جاء وصف نعيم الجنّة في القرآن الكريم بأوصاف متعدّدة، منها: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمّد:15] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:15-16]، أمّا

هنا في الزّخرف: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[الزّخرف:71] أي: وأكواب من ذهب كذلك[12]، وهذا أعلى ألوان التّعبير القرآني في وصف الجنّة ووصف الصّحاف والأكواب بأنّها من ذهب ينطبق تمامًا على أصل الاستعمال اللغويّ للزّخرف.

المثال الثّاني: وهذا مثال آخر، يجلي وجه تسميّة سورة الزّمر بهذا الاسم واختصاصها به، فقد ورد لفظ الزّمر في السّورة مرتين في آيتين متتاليتين في معرض الحديث عن جزاء المكذبين وجزاء المؤّمنين، وهذا كما أسلفت لا يراه الشّيخ كافيًا في تسميّة السّورة فثمة روابط وعلاقات أخرى تتآزر لتصب في معنى اسم السّورة ومعلوم أن الزّمر: جمع زمرة، والزّمرة: الفوج والجماعة[13]، وقد تأّمل شيخنا آيات السورة فظهر له أكثر من عشرين زمرة وجماعة حفلت السّورة بذكرهم وبيانهم وفي الجدول المرفق بيان ذلك:[14]

م	طائفة أهل الإيمان.	طائفة أهل الكفر.
١	زمرة المخلصين: ﴿ فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين﴾ [2]؛ ﴿أَلاَ للهِّ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [3]؛ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَّ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين﴾ [11]؛ ﴿قُلِ اللهَّ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [14].	زمرة الكاذبين على الله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللهَّ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [60].

٢	زمرة الموحّدين: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4]؛ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [6].	زمرة المشركين الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[3]؛ ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾[7]؛ ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [8]؛ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[63].
٣	زمرة الشّاكرين: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[7]؛ ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [66].	زمرة الكافرين: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾[8].
٤	زمرة القانتين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[9].	زمرة الغافلين اللاهين: الجزء الأوّل من الآية يدلّ على الجزء المقابل، والتّقدير: أمّن هو قانت آناء الليل... كمن هو غافلٌ لاهٍ معرض عن دين التّوحيد، لا يخاف الآخرة ولا يرجو رحمة ربّه.

٥	**زمرة أهل العلم:** ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾[9].	**زمرة الذين لا يعلمون:** ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[9].
٦	**زمرة الفائزين المبَشَّرين بالجنّة:** ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزّمر:17].	**زمرة الخاسرين:** ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزّمر:15].
٧	**زمرة أهل الغرف في الجنّة:** ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[20].	**زمرة أهل الظّلل في النّار:** ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[16].
٨	**زمرة الذين حقّت عليهم كلمة التّكريم:** كمن اتّقى وحقّت عليه كلمة التّكريم؟	**زمرة الذين حقّت عليهم كلمة العذاب:** ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾[19].
٩	**زمرة الذين شرح الله صدورهم:** ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[22].	**زمرة الذين ضيَّق الله صدورهم:** التّقدير: أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه كمن جعل صدره ضيّقا حَرَجا فهو يتخبّطُ في جهالات الكفر والشّرك؟
١٠	**زمرة أصحاب القلوب اللّيّنة:** ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[23].	**زمرة قُساة القلوب:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[22].

١١	زمرة المهتدين: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء﴾[23]؛ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ [37]؛ ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾[41].	زمرة الضّالّين: تكرّر نفس النّسق من الآية: ﴿وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد﴾[23]؛ ﴿وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد﴾ [36]؛ ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[الزمر:41].
١٢	زمرة من ينعم في الجنّة: التّقدير: أفمن يُلْقى في النّار مغلولًا – فلا يتهيأ له أن يتقي النّار إلا بوجهه؛ لكفره وضلاله- خير أم من ينعم في الجنّة؛ لأنّ الله هداه؟	زمرة من يتعرّض للنّار فيتقيها بوجهه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[24].
١٣	زمرة الذين آمنوا: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا﴾[10].	زمرة الذين ظلموا (الظّلم بمعنى الشّرك): ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُون﴾[الزّمر:24]؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُون﴾[47].

١٤	زمرة المملوك الذي له سيّد واحد: (تمثيل لزمرة الموحدين) ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[29].	زمرة المملوك الذي له أكثر من سيّد: (تمثيل لزمرة المشركين) ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ﴾ [29].
١٥	زمرة الصّادقين والمصدّقين: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[33].	زمرة الكاذبين والمكذّبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار﴾[3]؛ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ﴾[32].
١٦	مثوى المحسنين: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾[34]؛ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[10].	مثوى الكافرين: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [32].
١٧	زمرة المتوكّلين: {قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُون} [38].	زمرة غير المتوكّلين: {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ} [38].
١٨	زمرة المبشّرين بالجنّات: ومفهوم المخالفة: وسوف تعلمون من تأتيه البُشرى، وتسوقه الملائكة إلى جنّات النّعيم.	زمرة المبَشَّرين بالخزي والعذاب: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ*مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[39-40].

١٩	زمرة الذين جعلوا الشّفاعة لله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [44].	زمرة الذين اتّخذوا من دون الله شفعاء: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفَعَاء ﴾[43].
٢٠	زمرة الذين تقشعرُّ جلودهم وقلوبهم: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[23].	زمرة الذين تشمئزُّ قلوبهم من ذكر الله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[45].
٢١	زمرة التّائبين المنيبين: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[54].	زمرة المسرفين على أنفسهم: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزّمر:53].
٢٢	زمرة المتّقين: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[73-74].	زمرة الكافرين: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[71-72].

المطلب الثّالث: وقفة مع الوحدة الموضوعيّة للسّورة.[15]: تبدأ الوحدة الموضوعيّة للسّورة من الارتباط الوثيق بين اسم السّورة ومضامين آياتها، وتتأكّد عندما تلتف موضوعاتها ومقاصدها الرّئيسة حول محورها العامّ، وهذا يعني أنّ الوحدة الموضوعيّة للسّورة تتمثّل في ثلاثة جوانب: أوّلها: العلاقة بين اسم السّورة ومضامين آياتها، ثانيها: المحور العامّ للسّورة، ثالثها: الموضوعات التي تطرقها السّورة.

وهناك مثالًا على سورة ﴿**الزّخرف**﴾ يوضح المراد، فقد تقدّم في الوقفة مع وجه تسميّة سورة ﴿الزّخرف﴾باسمها بيان العلاقة بين الاسم ومضامين الآيات، ثمّ عند إمعان النّظر في آيات السّورة نجد أن محورها العامّ لها هو: دحض وإبطال وتفنيد النّظرة الماديّة للحياة، فالقوم يرون أن المادة هي كلّ شيء، ووفق هذه النّظرية ينطلقون في معتقداتهم وسلوكهم وقيمهم، فالمقاييس ماديّة بحتة خالصة، وهذه نظرة ليست إسلاميّة، فالنّظرة الحقيقية هي ما أوضحتها آيات القرآن الكريم وما جاءت به هذه السّورة من تقريرات.

وممّا لا شكّ فيه أن موضوعات السّورة ومحورها العامّ يتوافقان مع خصائص السّورة المكيّة، وهذه الموضوعات تلتف حول المحور العامّ للسّورة، ومن أبرز الموضوعات التي تطرقت إليها سورة ﴿الزّخرف﴾.

أوّلًا: إبطال قيّم ماديّة: أبطلت السّورة جملة من المعتقدات المنطلقة من نظرة ماديّة، ومن ذلك: وأدّ البنات: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا

وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزّخرف:17]، والتّقليد الأعمى:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزّخرف:23]

والإسراف:﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴾ [الزّخرف:5]

وهنا وصف المشركين بالإسراف، والمسرف المتجاوز كلّ حدّ في كلّ شيء في المال في التّكبر في الظّلم ونحو ذلك. ومقياسهم في التّفاضل هو المكانة والجاه:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ الزّخرف: [31] ووجه ارتباط هذا الموضوع بمحور السّورة: أنّ مبنى هذه القيّم يرتكّز على نظرة ماديّة، إمّا من حيث الاعتبار المادي؛ كالغنى والثّراء، أو الاعتبار المعنويّ؛ كالجاه والمنصب والمكانة.

ثانيًا: التّنويه بالقرآن الكريم: يتبدى للنّاظر جليًا احتفاء السّورة بالقرآن الكريم وعنايتها به، ويظهر ذلك في أكثر من موضع:

أوّلها: القسم حكبه، والقسم عليه، فتطالعنا فاتحة السّورة بالقسم على القرآن الكريم:﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [1-3] فالمقسم به القرآن الكريم:﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِين﴾.

والمقسم عليه عربيّة القرآن الكريم:﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾. وهنا قسم بالقرآن على القرآن ووجهه بأنّه لا أعظم من القرآن ليثبت عظمة القرآن فلا أدل على عظمة القرآن من القرآن نفسه.

ثانيها: وصفه بعلو المكان والمكانة: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [4].

ثالثها: الإشادة بفضله وأنّه شرف لهذه الأمّة وسبب لعزتها وفخارها: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [44]. ووجه ارتباط هذا الموضوع بمحور السّورة: أن آيات القرآن الكريم فيها بيان المنظور الحقيقيّ لمتاع الحياة الدّنيا، وبيان المعايير الصّحيحة للتّفاضل بين النّاس، وبيان أسباب الوصول لأعلى الدّرجات في الدّنيا والآخرة.

ثالثًا: العقيدة:

أ-التّوحيد: تعرضت السّورة الكريمة لتقرير توحيد الرّبوبية والألوهيّة، وذلك في أكثر من مشهد:

الأوّل: في سياق محاورة القوم المشركين، فبدأت السّورة بتقرير توحيد الرّبوبية وسلكت في ذلك مسلك توجيه الأسئلة للقوم المعاندين وذلك في موضعين: الأوّل: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٱللَّهِ الزّخرف: [9] الثّاني: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ الزّخرف: [87] فإجاباتهم اعتراف وإقرار وتسليم بأنّه هو الرّب الخالق المتصرف المدبّر، وإذا كان كذلك فهذا يستلزم ويقتضي أن تصرف العبادة له وهو معنى توحيد الألوهية الذي جاءت الآية الكريمة تشير إليه ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ الزّخرف: [84].

الثّاني: في سياق قصة إبراهيم ﵇ ومحاجته لقومه، فقد صدح إبراهيم ﵇ بكلمة التّوحيد: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ الزّخرف: [26 -27].

ومقولته تتضمن جزئين هما: ﴿إِنَّنِي بَرَاء﴾ و: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، فالأوّل منهما بمنزلة النّفي، والثّاني بمنزلة الإثبات، وهو عين كلمة التّوحيد: لا إله إلاّ الله.

الثّالث: ما جاء على لسان عيسى ﵇ في دعوته قومه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾الزّخرف: [64].

الرّابع: ذكرت السّورة بعضًا من آثار الرّبوبية المتمثّلة في تهيّئة الأرض للمعاش وإنزال المطر وإخراج الزّرع وتسخير المراكب وغيرها ممّا يدل على أنّ الله هو الموجد المنشئ المتصرف: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ الزّخرف: [10-12].

ب-تنزيه الله عن العقائد الباطلة: سلكت السّورة خطّ تنزيه الله تعالى عن الولد فبدأت بعرض افتراءات المشركين ومزاعمهم في نسبة الولد لله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ ﴾[الزخرف:15] ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ ﴾[الزخرف:19] ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾[الزّخرف:57] وختمت برد تلك المزاعم: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾[الزّخرف:16] ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزّخرف:81]، وفي نهايتها تنزيه عجيب

لله ﷻ: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الزّخرف:82] وهذا التّركيب بهذا الزّخم من التّنزيه لم يأت في سورة غير الزّخرف، وقررت أنّه واحد أحد فرد صمد ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الزّخرف:84] وأنه سبحانه مالك الملك، غني عن العالمين ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[الزّخرف:85] .

ووجه ارتباط هذا الموضوع بمحور السّورة: أنّ الاهتمام بالمادة والاغترار بها والاعتزاز بملكها هو الصّارف الرّئيس عن التّوحيد والإذعان للأوامر الإلهيّة.

رابعًا: الجزاء.

جاء في هذه السّورة بيان جزاء الموحدين وما لهم من النّعيم المقيم في الجنّات: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾[الزّخرف:70-73] وجاء بيان جزاء الكافرين: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ۝٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[الزّخرف:74-77].

ووجه ارتباطه بمحور السّورة: أنّ الآيات تحمل في طيّاتها رسالة مفادها: أنّ إذا أردتم نعيم الجنّة الباقي فعليكم أن لا تركنوا إلى نعيم الدّنيا ومتاعها الزّائل، فإذا

غرتكم الدّنيا بزخرفها وزينتها، فإني قد أعدّدت لمن نهى النّفس عن الهوى وآثر الحياة الأخرى زخارف تلذ بها الأعين وتشتهيها الأنفس.

المطلب الرّابع: وقفة مع العلاقة بين مطلع السّورة وخاتمتها: النّاظر في مطالع السّور القرآنيّة يجد فيها براعة الاستهلال وفخامته، فهي أوّل ما يقرع أذن السّامع، ومن ثَمَّ فخواتيمها كذلك لا تقل عنها رتبة؛ إذ هي آخر ما يتلقاه السّامع من السّورة، وقد ذكر السّيوطي أن الخواتيم تأتي متضمّنة المعاني البديعيّة مع إيذان السّامع بانتهاء الكلام؛ حتى لا يبقى معه للنّفوس تشوُّف إلى نقصٍ يُريد تمامًا، وقد راعى شيخنا هذا الجانب في تفسيره، فذكر جملة من المناسبات بين مطلع السّورة وخاتمتها ومن ذلك: المناسبات بين مطلع سورة الزّخرف وخاتمتها، فقال:

م	الموضوع	مطلع السّورة	خاتمة السّورة
1	أوصاف القرآن الكريم.	﴿حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [1-3].	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾. أي عز وشرف وفخار.
2	التّجاذب اللفظيّ في الفعل (صفح).	﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [5].	﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [89].
3	أسئلة في تقرير التّوحيد.	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [9].	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [87].

4	دعوى اتخاذ الولد، والرّد عليها.	﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [15]؛ ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾ [16].	﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [81].
5	حديث عن الملائكة.	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [19].	﴿وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [60].

وهنا يقف الشّيخ مع مناسبة لطيفة تنبئ عن ملحظ دقيق وفهم عميق، فقد وجهت السّورة أسئلة للمشركين لتّقرير أن الخالق هو ذاته الإله الحقّ الذي ينبغي أن لا تصرف العبادة إلاّ له وحده سبحانه وتعالى، فقد جاء السّؤال الأوّل في مطلع السورة ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[9]

وجاء السّؤال الثّاني في خاتمتها: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[87] فبعد أن استدرجهم بالسّؤال عن من خلق السّماوات والأرض ومن خلق النّاس وصورهم وهيأ لهم كلّ أسباب الحياة والمعاش؛ فأجابوا مقرين بأنّه الله؛ حاجهم بأنّ الإقرار بالرّبوبية يستلزم منه الإقرار بالألوهيّة وإفراد العبادة له سبحانه وتعالى، فهو المعبود في السّماوات وفي الأرض ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[84].

وكذلك التّنزيه المكّثف العجيب في خاتمة السّورة: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[82] يعدّ ردًا صريحًا على ما ابتدعوه وزعموه من اتّخاذ الله

الولـد والبنـات ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾[15] ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﴾[19]– تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا.

المطلـب الخـامس: وقفـة مـع العلاقـة بـين السّـورة موضـع الدّراسـة والسّورتين السّابقة واللاحقة لها.

ولنأخذ على ذلك مثالًا سورة الزّخرف.

أولًا: العلاقة بين سورة الزّخرف والسّورة السّابقة لها ﴿سورة الشّورى﴾.[16]

تتجلى العلاقة التّكاملية والانسجام الواضح بين السّورتين، وما فيهما من التّلاحم والانصهار؛ من خلال النّقاط التّالية:

أوّلًا: التّشابه في المطلع: فمطلع الشّورى: ﴿ حمٓ ١ عٓسٓقٓ ﴾[1–2]، ومطلع الزّخرف: ﴿ حمٓ ﴾[1]، فكلاهما من نفس الأسرة القرآنيّة من آل﴿ حمٓ ﴾.

ثانيًا: سورة الشّورى قرّرت عربيّة القرآن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[7] والزّخرف كذلك: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[3].

ثالثًا: ﴿سورة الشّورى﴾: محورها الوحيّ:﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[3] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[7] ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾[51] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾[52] وفي ﴿سورة الزّخرف﴾ عبر عن القرآن بالوحيّ فقال: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ ﴾[43] إشارة إلى ما تقرّر في ﴿سورة الشّورى﴾.

رابعًا: في ﴿سورة الشّورى﴾ بيان لعظيم الفرية التي اختلقها المجرمون من قريش حين زعموا نسبة الولد لله ﷻ وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، ﴿فسورة الشّورى﴾ تصوّر وقع هذا الكلام على السّماوات فتقول: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ ﴾ [5]، وسورة مريم قد أوضحت السّبب الباعث على ذلك : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴾ [90-91] وفي الزّخرف: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾[15] فنلحظ أن سورة الشّورى سكتت عن الباعث وراء انفطار السّماوات وعدم قدرتها على تحمّل هذه الفريّة العظيمة وهو ما جاءت ببيانه ﴿سورة الزّخرف﴾ ويدعمها ما جاء في ﴿سورة مريم﴾.

خامسًا: أشارت ﴿سورة الشّورى﴾ إلى ركوب البحر: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴾ [32-34] وجاء في ﴿سورة الزّخرف﴾ إشارة إلى ركوب البحر وزيادات على ما ابتدأت به الشّورى: ﴿ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [12-14]

سادسًا: في ﴿سورة الشّورى﴾ جاء الحديث عن العطايا الإلهيّة والهدايا الرّبانية المتمثّلة بهبة الولد: ﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾[49] وقدم الإناث ليؤكّد على أنّ المشيئة الإلهيّة المطلقة له سبحانه وتعالى، وأنّ خلق البنات

والبنين لا يتحكم فيه أهواء وتطلعات الرّاغبين، وإنّما هو صائر لحكمته وعلمه وقدرته سبحانه فهو العليم القدير وفي هذا التّقديم تعريض بما كانوا يكرهونه من التّبشير بالأنثى الذي صورته سورة الزّخرف حيث يقول تعالى حاكيًا ذلك المشهد:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[17].

سابعًا: التّكامل في توجيه الأسئلة الإنكاريّة التي تفيد التّقريع والتهكم وإبطال ما هم عليه من اعتقادات فاسدة وما يرتكزون عليه من أسّس واهيّة، فسورة الشّورى توجه لهم سؤالًا إنكاريًا:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[21] و﴿سورة الزّخرف﴾ توجه لهم سؤالًا إنكاريًا آخر: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾[21]، فهل عدم اتباعهم الحق نابع من جهة تقصير الرّسول أم قصور الرّسالة؟! وكلا الأمرين يفندهما هذان السّؤالان فالأوّل متجه إلى الرّسول والثّاني إلى الرّسالة.

ثامنًا: في ﴿سورة الشّورى﴾: ورد بيان إجماليّ لطائفة من الرّسل الكرام وهم محمّد وموسى وعيسى وإبراهيم ونوح عليهم الصّلاة والسّلام، الذين يطلق عليهم: أولوا العزم، فقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[13]، وفي ﴿سورة الزّخرف﴾ جاء بيان تفصيليّ لشيء من سيرتهم مع أقوامهم وكيف استحقوا هذا الاختصاص بهذا الوصف وجاء ذكر أربعة من خمسة، فالحديث عن النّبي الرّسول الأمين محمّد ﷺ، جاء في قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾[29]، وبما تضمنته الآيات من

خطابات موجهة للنّبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[32]، والحديث عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[26-28].

والحديث عن موسى عليه السلام في ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [46] والحديث عن عيسى عليه السلام ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[57] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[61].

تاسعًا: ﴿سورة الشّورى﴾ فندت قيمة المال والنّظرة الماديّة للحياة: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[36] و﴿سورة الزّخرف﴾ كذلك ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[35].

عاشرًا: ﴿سورة الشّورى﴾ صوّبت النّظرة الحقيقة للحياة الدّنيا: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[36]، و﴿سورة الزّخرف﴾ كذلك: ﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[35].

حادي عشر: في ﴿سورة الشّورى﴾ حديث عن السّاعة: ﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ١٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾[17-18]، وفي ﴿الزّخرف﴾ حديث عنها كذلك: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[61] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[66].

ثاني عشـــر: في ﴿الشّـورى﴾ حـديث عـن مـراء أقـوام في السّـاعة: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ [18] وفي ﴿الزّخـرف﴾ نهـي عـن الامـتراء في السّاعة: ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ [61].

ثانيًا: العلاقة بين ﴿سورة الزّخرف﴾ والسّورة اللاحقة لها ﴿سورة الدّخان﴾:[17]

تتجلّى العلاقة التّكاملية والانسـجام الواضـح بـين السّـورتين، ومـا فـيهما مـن التّلاحم والانصهار؛ من خلال النّقاط التّالية:

أولًا: تشـابه مطلـع السّـورتين؛ فكلتاهمـا تبـدأ بــ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزّخـرف:1-2] [الـدّخان:1-2]، فهـما مـن نفـس الأسرة، مـن أسرة ﴿حـم﴾ وكلتاهمـا تبـدأ بالقسـم بـالقرآن ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزّخـرف: 2] [الـدّخان:2] والمقسم عليه في السّورتين القرآن الكريم وأوصـافه، ففـي ﴿الزّخـرف﴾ قسـم عـلى عربيّة القرآن: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [3]، وفي ﴿الـدّخان﴾ قسـم على إنزاله في ليلـة مباركـة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [3]، فعربيّتـه لا تنفك عنه وإنزاله وصف خارجيّ له.

ثانيًا: جاء في ﴿سورة الزّخرف﴾ عدّة أوصاف للقـرآن الكـريم، وهـي: الإبانـة ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [2] وعلـو المكـان والمكانــة: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [4]، وكذلك جاء في ﴿سورة الـدّخان﴾ عـدّة أوصـاف للقـرآن الكـريم وهي: الإبانة {وَالْكِتَابِ الْمُبِين} [2]، الإنزال- ويتضمّــن علـو المكـان والمكانـــة

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[3]، وهاتـان الصّـفتان مشـتركتان بـين السّورتين والتّيسير: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[58].

ثالثًا: في ﴿سورة الزّخرف﴾ توعد الله القوم المكذبين بـما ينتظرهم مـن عـذاب شـديد في الـدّنيا والآخـرة فقـال: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [83] و﴿سورة الدّخان﴾ ذكرت مشاهد وألوانًا من هذا العـذاب: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [10-11] أي: يعمهـم ذلـك الدّخان ويقال لهم: ﴿ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

واختلف المفسّرون في المراد بهذا الدّخان، فقيل: إنّه الدّخان الذي يغشى النّاس ويعمهم حين تقرب النّار من المجرمين في يوم القيامة وأنّ الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم. ويؤيّد هذا المعنى أنّ هذه الطّريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتّأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه، وتسليّة الرّسول والمؤّمنين بالانتظار بمن آذاهم، ويؤيده أيضًا أنّه قال في هذا السّياق: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾[13] وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرّجوع إلى الدّنيا فيقال: قد ذهب وقت الرّجوع. ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [16] ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[40-49].

وقيل: إنّ المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحقّ فدعا عليهم النّبي ﷺ فقال: ﴿اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف﴾ فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السّماء والأرض كهيئة الدّخان وليس به، وذلك من شدّة الجوع، وسواء أريد هذا أو ذاك فهو بيان لما توعدهم به من ألوان العذاب وأصناف العقاب.

رابعًا: في سورة الزّخرف جاء قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾[79] وحذف مفعول الإبرام الإلهيّ ليكون أقوى مفاجئة وأنكى عذابًا وأشدّ إيلامًا والمعنى: أم أحكموا خطّة ودبروا أمرًا ومكروا مكرًا ضدّ القرآن والإسلام، فإنّا مدبّرون لهم شيئًا لا يتوقعونه كشفته سورة الدّخان،﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[16]، فهذا جزء من خطتنا وإبرامنا.

خامسًا: جاء الحديث عن جزاء المؤمنين وجزاء المكذبين في سورة الزّخرف مسبوقًا بمقدّمة عن السّاعة:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [66]، ثمّ دلفت إلى الحديث عن مشهد من مشاهد الحساب والجزاء من يوم القيامة فأبانت عن جزاء المؤمنين ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [68-73]، ثمّ أبانت

عن جزاء المكذبين ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[74-77].

وفي الدّخان كذلك جاء الحديث بنفس طريقة العرض، فبدأت بحديث عن السّاعة ثمّ جزاء الفريقين، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [40]، في مقابل الحديث عن السّاعة ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [66]، ثمّ الحديث عن جزاء الفريقين هنا في مقابل الحديث عن جزاء الفريقين هناك، فالحديث عن جزاء المكذبين تمثّله الآيات الكريمات: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ [43-50] والحديث عن المتّقين تمثّله الآيات الكريمات: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [51-57].

سادسًا: تطرقت سورة الزّخرف إلى قصّة موسى عليه السلام مع فرعون وتحدّثت عن اغترار فرعون واعتزازه بملكه وعمّا كان يتمتع بها من زخارف الحياة الدّنيا من النّعيم والتّرف: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [51]، وسورة الدّخان تحدّثت عن أشكال من تلك

الزّخــارف والــنّعم وعــدّدتها: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ [25-27].

سابعًا: جاء الحديث عن القوم المكذبين باسم الإشارة دون الاسم الصّــريح أو النّعت المميّز لهم، ففي سورة الزّخرف جاءت حكاية شكوى النّبي الكريم ﷺ قومه: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [88]، وفي ســورة الــدّخان جــاءت حكايــة شكوى موسى الكليم عليه السلام قومه بنفس الأسلوب الذي جاء في الزّخــــرف: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾[22]. فهنــا مشــاكلتان، الأولى مــن حيــث حكايــة موقف نبيّ مع قومه، والثّانية من حيث الأسلوب التّعبيري المستعمل فيه.

ثامنًا: سورة الزّخرف ذكرت علامــة مــن علامــات يــوم القيامــة وهــي نــزول عيســــــى السلام : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [61] وسورة الدخان ذكرت علامة من علامات السّاعة كذلك وهي الدّخان- على أحـد التّفاسير فيه- : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [10].

تاسعًا: سورة الزّخرف وجهت أسئلة للمشركين لتقرير الرّبوبية: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[9] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[87] وسورة الدّخان أبانت عن صفات الرّب الذي يستحق أن تصرف العبادة له ولا توجه لغيره: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[6-8].

عاشرًا: جاء في سورة الزّخرف حكاية طلب قوم فرعون كشف العذاب عنهم: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ۝٤٩ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴾[49-50] وجاء في سورة الدّخان حكاية طلب قريش كشف العذاب عنهم: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾ [12] ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾ [15].

حادي عشر: في سورة الزّخرف جاء وصف الرّسول بأنّه مبين: ﴿ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴾[29]، وفي سورة الدّخان جاء نفس الوصف ونفس التّعبير القرآنيّ: ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِين ﴾[13].

ثاني عشر: في سورة الزّخرف حديث عن أقوام أهلكها الله تعالى هم أشدّ من قريش بطشًا وقوة: ﴿ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[8]، وفي سورة الدّخان إشارة إلى بعض الأقوام المهلكين: ﴿ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾[37] وتوعّد قريش بإذاقتهم من نفس الكأس: ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[16]على خلاف في وقت حصول ذلك، فقيل: كان يوم بدر وقيل: سيكون يوم القيامة.

ثالث عشر: في سورة الزّخرف جاء وصف المشركين بالإسّراف: ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴾[5]، وفي سورة الدّخان جاء وصف فرعون بالإسراف كذلك: ﴿ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[31].

رابع عشر: في سورة الزّخرف جاء الحديث بالنّهي عن الامتراء في السّاعة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [61]، وفي سورة الدّخان جاء الحديث عن وقوع السّاعة والتّأكيد على أنّها حقّ، والإشارة إلى ما صدر من المشركين من امتراء فيها وإنكار لوقوعها وأنّه لا حساب ولا عذاب، فجاءت الآية بأسلوب التّهكم بهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ [50].

خامس عشر: في سورة الزّخرف يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[11]، فاستعمل الإنشار مع النّبات، والمعهود من الاستعمال القرآنيّ مجيء الإخراج مع النّبات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ [الأنعام:99] ومجيء الإنشار مع إحياء الأموات كما في الآيات التّالية: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[البقرة:259] —على قراءة من قرأها بالرّاء وهم نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب- ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر:9]، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [عبس:22]، وكأن القرآن يقلّل من شأنّهم، فيقول: إحياء النّبات يكون بنشره واستواء سوقه، أمّا أنتم فإحياؤكم مجرد إخراج، فأمركم هين سهل لا يعجزنا.

وفي سورة الدّخان في معرض حديث القرآن عن منكري البعث وإنكار الحياة الآخرة، وما صدر منهم من أقوال في ذلك ومنها: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾[35] فيلاحظ أنّهم عبروا بنفس اللّفظ الوارد في الزّخرف المشتق من مادة

الإنشار، فقالوا: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾، فلم يقولوا: مبعوثين، ولا مخرجين كما جاء في سور أخرى ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[الأنعام:29][المؤمنون: 37] ﴿ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ {أَئِنَّا لَمُخْرَجُون} [النّمل:67].

المطلب السّادس: وقفة مع نماذج من اتّساق توالي الصّفات في التّعبير القرآني.[18]

أوّلًا: مصطلح الاتّساق.

المُرادُ منه التّلاؤم والانسجام الذي يتناتجُ من رصف الألفاظ بعضها إلى جانب بعض مُحدِثًا في نفس القارئ مُتعةً فنّيّةً.

وحول هذا يقول الشّيخ المستغانمي حفظه الله: «إنّ الاتّساق في بناء النّص القرآني ميدانٌ فسيح ومجال واسعٌ له زوايا متعدّدة، وأنماطٌ متنوّعة، ومن أيّ زاوية نظرتَ في نصوص التّنزيل بهرك الاتّساقُ والتّناغم؛ وهالك الانتظام والتّماسك واعترتك نشوةٌ فنّيّةٌ أدبيّة شبيهةٌ بالنّشوة التي كان يجدُها العربيّ حين يسمع الشّعر المُطرِب، والمثل المُعجب، والحكمة الصّائبة».

وعلاوةً على الجمال الذي يلحظه القارئ في انتقاء المفردة القرآنيّة، والتّناغم الذي يجده بين المحتوى والأسلوب، والمتعة الفنيّة التي يلمسُها في رصف المشاهد القرآنيّة وانتظامها، فثمّة مواطن كثيرة في التّعبير القرآني تجلب الفرحة، وتهزّ المشاعر، وتسرّ الوجدان، وتغمر قارئ القرآن بالسّرور والحبور، وأحيانا يجد لتلك اللّذة تعريفات وأسبابا، وأطوارا كثيرة لا يجد لها مخارج ولا أبوابا.

والجانب الذي أراه حيويّا ومثيرا ومُعجبا هو البحث في أسرار كثير من الاختيارات القرآنيّة. لماذا نجد صفات بعينها تُذكَرُ في سورة بعينها ولا تُذكرُ في غيرها؟ ما سرّ الترتيب بين كثير من الصّفات (لا أقصد المعنى النّحوي للصّفة) الواردة في مواطن من الذّكر؟ أثمّة اعتباطيّةٌ في هذا الاختيار أو ذاك؟ معاذ الله أن يقول أحدٌ بهذا القول. إذن، لا مفرّ من التّدبّر، وإعادة النّظر، وإرجاع الكرّة وأختها في نصوص التّنزيل لعلّ العليم الخبير يفتح لنا بعض المغاليق العصيّة، ويجلّي لنا بعض الحكم والأسرار التي تحفل بها نصوص التّنزيل ثمّ ذكر الشّيخ مثالين دقيقين آثرت أن أوردهما بحذافيرهما لئلا يذهب بهاؤهما بالاختصار.

المثال الأوّل:

ومن الآيات التي استوقفتني قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

هذه الآية الكريمة وصفت المسلمين بعشر صفات هي: الإسلام، والإيمان والقنوت، والصّدق، والصّبر، والخشوع، والتّصدّق، والصّوم، وحفظ الفروج والذّكر.

بحثت عن المعنى العامّ لهذه الآية الكريمة ودلالات ألفاظها وإيحاءاتها في عدد من أسفار التّفسير التي يُعنى أصحابُها بالجانب اللّغوي والبياني، ووقفت على كثير

من معانيها وأسرارها، والفوائد المستنبطة منها، وجماليّات بنائها، وليس المقامُ لبيانها وتجلية ما يُستنبَطُ منها. أيضا تجدرُ الإشارةُ إلى أنّ بعض السّابقين من المفسّرين قد اجتهدوا في إيجاد بعض الأسرار والتّوجيهات المتعلّقة بترتيب هذه الصّفات.

ومع ذلك، بقي في جعبتي سؤال محيّرٌ وقفت أمامه مليّا، ولم أجد له في كتب السّابقين جوابا شافيا هو: لماذا تمّ اختيار هذه الصّفات بعينها؟ لماذا مثلا نجد في سورة النّور ذكر الطيّبين والطّيّبات في قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾[النّور:26]، ولا نجد ذِكرا لهذه الصّفة ضمن آية سورة الأحزاب مثلا؟

... ثمّ عدت إلى بناء السّورة أستكنه أغوارها، وأدرس هندستها، ونفسي تُحدّثني أنّه لا بدّ من سبب لهذا الاختيار، وأنّ وراء الأكمة ما وراءها. وبعد توفيق من الله تعالى في تدبّر هذه الآية الكريمة، وإمعان النّظر فيها، جالت في ذهني معان خلاصتها ما يلي:

إنّ جميع اللآلئ التي جمعها البيان القرآني في عِقد هذه الآية الكريمة، جاءت في السّورة موزّعةً في مواضع متفرّقة منها، وأغلب هذه الصّفات وردت في حقّ أزواج النّبيّ ﷺ؛ فأزواج النّبيّ رضوان الله عليهنّ مسلماتٌ مؤّمنات، وهذا أمرٌ بدهيٌّ و﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[الأحزاب:6]، وأزواج النّبي رغبهنّ الله تعالى في القنوت والعمل الصّالح، وبشّرهنّ بأن التي تقنت منهنّ وتعمل صالحا قد أعدّ الله لها مغفرة ورزقا كريما، ووعد بأنّه يؤتيها أجرها مرّتين:﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ الأحزاب:31]

والأمر ذاته ينطبق على المسلمين والمسلمات؛ فمن يقنت منهم ومنهنّ أعدّ الله له مغفرة وأجرا عظيما: ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾.

في سورة الأحزاب حضور مكثّفٌ للصّدق والصّادقين حيث إنّ الله تعالى وصف جملة من المؤمنين الذين أبلوا بلاء حسنا في غزوة الأحزاب، وأبلوا قبلها في مشاهد أخرى، بأنّهم صدقوا في إيمانهم، وصدقوا الله فصدقهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:23]، ووعد بأنّه جلّ ثناؤه سيجزي الصّادقين بصدقهم: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب:24]، وهكذا نجد في آية تلخيص صفات المسلمين والمسلمات ذكرًا لصفة الصّدق في قوله تعالى ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾.

ولمّا ذكر في سورة الأحزاب تخيير أزواج النّبيّ ﷺ بين ابتغاء الحياة الدّنيا وزينتها وبين الصّبر على قلّة ذات اليد والعيش في كنف النّبوّة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:29] واختارت أزواجه كلُّهنّ – رضوانُ الله عليهنّ – الله ورسوله والدّار الآخرة مؤثّراتٍ البقاء مع نبيّ المرحمة، والصّبر على شظف العيش وشدّته لينلن شرف البقاء في رِحاب النّبوّة الطّاهرة الزّاهدة، ذكر في الآية الملخّصة لصفات المسلمين والمسلمات صفة الصّبر في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾[الأحزاب:35].

ولمّا أمر الله جلّ شأنه أزواج النّبيّ بإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة في قوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأحزاب:33]، جاء وصف المسلمين والمسلمات بالخشوع والتّصدّق، وهل ثمّة روح للصّلاة إلاّ الخشوع، وهل ثمّة معنى قريب مرادفٌ للزّكاة إلاّ التّصدّق: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ [الأحزاب:35].

ولمّا نصح الله جلّ شأنه أزواج النّبي بالقرار في بيوتهنّ إلاّ للضّرورة، ونهاهن عن جميع مقدّمات الفواحش خصوصا ما يتعلّق بطريقة القول، وطريقة الزّيّ والملبس والمظهر في قوله جلّ شأنّه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:32]، وقوله تبارك اسمه: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:33]، توجّه بالنّصح المباشر للمسلمين والمسلمات بأنّ يُكثروا من الصّيام، وأن يحفظوا فروجهم: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾؛ ومن نافلة القول بيانُ أنّ الصّومَ هو وسيلة مساعدة لحفظ الفروج.

وثمّة في هذا الاختيار لطيفة؛ ففي شأن أزواج النّبيّ ﷺ نهاهنّ عن مقدّمات الفاحشة، وفي شأن عامّة النّساء أمرَهنّ بالصّيام وحفظ الفروج مباشرة، وليس النّهي عن المقدّمات كالنّهي عن الفعل.

ولمّا أمر أزواج النّبيّ ﷺ بالذّكر وتلاوة القرآن: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:34]، جاء وصف المسلمين والمسلمات بقوله: {وَالذَّاكِرِينَ اللهَّ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ}.

خلاصة القول: إنّ آية ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ...﴾[الأحزاب:35]، جاءت مُحوصلةً مُلخّصةً لجميع الصّفات التي جاء فيها وصفُ أزواج النّبي ﷺ، وجاء فيها ذكْرُ بعض صفات المؤمنين التي وردت في السّورة، وهذا الصّنيعُ هو الذي يتناسبُ مع دقّة الإحكام وروعة الانسجام اللذين يتمتّعُ بها التّعبير القرآني؛ إذ لا يستقيمُ عقلا ولا منطقا ألاّ تكون بين هذه الصّفات ترابطٌ، ولا يستقيم عقلا ولا منطقا أن يكون اختيارُ هذه الصّفات في هذا الموضع من السّورة قد جاء اعتباطيا دون أن توجد وشائجُ تربط بين هذه الآية وبقيّة آيات السّورة التي تُكوّن نسيجها العامّ وهذا جانبٌ ممّا نروم بيانه حين وسمنا هذا المبحث بعنوان الاتّساق في توالي الصّفات في السّورة القرآنيّة وحاولنا إيضاحه من خلال توالي الصفات في آية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... ﴾.

المثال الثّاني:

استنادا إلى هذه الطّريقة في تحليل توالي الصّفات وتعاقبها وربطها بالنّسيج العامّ للسّورة التي تنتمي إليها، سوف يهتدي القارئ الكريم مباشرة إلى تشفير كثير من الاختيارات في نصوص التّنزيل. من ذلك توالي صفات المؤمنين في قوله تعالى:

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التّوبة:112]، حيث يتبادرُ مباشرةً إلى ذهن القارئ أنّ هذه الحزمة من الصّفات اختارها العليم الحكيم لِحكم كثيرة يعلمها ومن بينها – والله أعلم بمراده – أنّ

الشّروع بصفة التّوبة يتناسبُ مع المحور العامّ لسورة التّوبة الذي تردّد فيها معنى التّوبة ومادّتها خمس عشرة مرّة أو يزيد، وجاءت في صيّغ متنوّعة مثل: تاب، تابوا ليتوبوا، ويتوب، يتوبوا، أن يتوب، التّوبة، التّوّاب، لا يتوبون.

ومن ذلك أنّ صفة ﴿ السَّائِحُونَ ﴾، يُمهّدُ لها قوله تعالى ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[التوبة:2]، ومن المؤكّد لدى كلّ ذي أثارة من علم أنّ المعنى الدّقيق المراد من الفعل ﴿ فَسِيحُواْ ﴾ غير المعنى المراد من مادّة السّياحة في قوله ﴿ السَّائِحُونَ ﴾، وإن كان بين المعنيين السّياقيين رابط قويّ.

فسّر مكي بن أبي طالب القيسي قوله تعالى ﴿ فَسِيحُواْ ﴾: (تصرّفوا مُقبلين ومُدبرين، ثمّ لا أمانَ لكم بعدها إلاّ بالإسلام). وفسّرها الإمام القرطبيّ قائلا: (سيحوا: أي: سيروا في الأرض مُقبلين ومُدبرين، آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا أسر. يُقال: ساح فلانٌ في الأرض يسيح سياحة وسيوحا وسيْحا وسيحانا).

أمّا لفظ ﴿ السَّائِحُونَ ﴾ في قوله تعالى﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ... ﴾ فله معان كثيرة تدور حول المعنى المعجميّ للفظ (س ي ح). فمن معاني السّياحة الصّيام والانقطاع عن الملذّات، ومن معانيها الجهاد والسّير في الأرض لإعلاء كلمة الله تعالى، ومن معانيها الهجرة في سبيل الله، ومن معانيها التّدبّر في عظمة هذا الكوّن وعظمة خالقه. ولا تخلو هذه المعاني من تقارب لأنّها

لدى التّدبّر في دلالاتها تعود إلى جذر لغويّ (سيح) يستعمله العرب في الذّهاب على وجه الأرض. قال الإمام القرطبيّ بعد تعداد المعاني السّابقة: (قلت: لفظ (س ي ح) يدلُّ على صحّة هذه الأقوال؛ فإنّ السّياحة أصلها الذّهابُ على وجه الأرض كما يسيح الماء؛ فالصّائمُ مستمرٌّ على الطّاعة في ترك ما يتركه من الطّعام وغيره، فهو بمنزلة السّائح، والمتفكّرون تجول قلوبهم فيما ذكروا، وفي الحديث: ﴿ إنّ لله ملائكةً سيّاحين مشّائين في الآفاق يبلّغوني صلاة أمّتي ﴾.

والخلاصة: إنّ كلمتي ﴿ فَسِيحُواْ ﴾ و﴿ السَّائِحُونَ ﴾ تنحدران من مادّة (س ي ح)، وهي لبِنةٌ واضحةٌ من لبنات الثّوب اللّفظيّ لسّورة التّوبة.

ومن صفات المؤمنين في الآية [١١٢] من سورة التّوبة صفة العبادة ﴿ الْعَابِدُونَ ﴾ ، فهي تنظر إلى قوله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ﴾[التوبة:31] التي جاءت ضمن الحديث الذي ينعى ويذمّ اتّخاذ اليهود والنّصاري أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله في قوله جلّ شأنه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التّوبة:31] فالمؤمنون لا يعبدون إلاّ الله وحده لا شريك، ولا يخصّون غيره بأيّ نوع من أنواع العبادات أو القربات؛ فهم العابدون حقّا، ويُقصَدُ به المؤمنون الموحّدون الصّادقون في عبادة ربّهم.

والملاحظ أنّ معنى العبادة المقصودة هنا هو العبادة بمفهومها الشّامل، لا العبادات بمفهومها الفقهيّ: الصّلاة والزّكاة والصّيام والحج، وإنّما المراد العبادة في الاتّباع، فعامّة أهل الكتاب السّابقين لم يعبدوا أحبارهم ورهبانهم بالتّقرّب إليهم في الصّلاة والخشوع بين أيديهم في أنواع القربات الخاصّة بهم، وإنّما اتّبعوهم فيما كانوا يُحلّون لهم ويُحرّمون عليهم؛ فتلك عبادتهم، وهذا المعنى هو الذي ورد في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه_ في محاورته مع رسول الله ﷺ حين أسلم.

نظير ذلك أنّ صفتي ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ تنظران إلى كثير من الآيات الآمرة بالصّلاة والحاثّة عليها في سورة التّوبة، وهل الصّلاةُ إلاّ ركوعٌ وسجود. قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التّوبة:5]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[التّوبة:11]، وقال تقدّست أسماؤه:﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التّوبة:18].

نظيرُ ذلك أنّ صفتي ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ تتناسبان مع وصف المؤمنين خلال السّورة بأنّ من شؤونهم وأخصّ خصائصهم أنّهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التّوبة:71] بخلاف المنافقين والمنافقات الذين هم على العكس والنّقيض من هاتين الصّفتين حيث إنّهم لم يكتفوا

بالانحراف والخروج عن أوامر الشّرع وحدوده، بل تجاوزوا ذلك إلى الأمر بالمنكر والنّهي عن المعروف، وهذا، كما لا يخفى على عاقل، قمّة الانسلاخ عن ضوابط الشّرع وأخلاقيّاته: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التّوبة:67].

أمّا صفة حفظ حدود الله تعالى المصرّح بها في قوله تعالى:﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ فإنّه قد جيء بها لحثّ المؤمنين على الاتّصاف بها، والنّأي بأنفسهم عن خصال المنافقين الذين غلبت عليهم صفة نقض المواثيق، ونبذ العهود من مثل ما ورد في الحظّ من قيمة الذي كان يدعو الله كثيرا ليرزقه مالا، ووعد بأنّه يشكر ويتصدّق وأخفق في الامتحان حين رزقه الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[التّوبة:75] فما إن رزقه الله ما كان يرجو سارع إلى كفران النّعم، وانغمس في حمأة الفساد والمعاصي. ونظيره شأن الأعراب الذين كذبوا الله ورسوله، ونقضوا عهودهم التي أبرموها، وكانوا يأتون يعتذرون بعد كلّ نقض: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:90]، وهم هم الذين وصفهم الرّحمن بأنّهم أشدُّ كفرا ونفاقا، وأجدرُ ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله؛ لأنّ علمهم بها لم يزدهم إيمانا وتسليما، وإنّما علمهم بها وجهلُهم سواء. قال تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التّوبة:97].

أمّا المؤمنون فهم حافظون لحدود الله تعالى، وقد بشّر الله جلّ شأنه الذين تتوفّرُ فيهم الصّفات التّسع التي جاء ذكرها في الآية (١١٢) من سورة التّوبة بحسن الختام وعظيم الجزاء، وقد حذف متعلّق الفعل (بشّر) ليذهب الفكرُ كلّ مذهب في تحديد الثّواب الكريم والجزاء العظيم الذي خصّصه الله لهذه الكوكبة من المؤمنين الذين تجمّعت فيهم هذه الخصال، وقد كشفت سورة التوبة جزءًا من هذه البشارة في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [21].

صفوةُ القول: إنّ الصّفات التي جاء ذكرها متعاقبة ومتواليةً في الآية [٣٥] من سورة الأحزاب، والآية [١١٢] من سورة التّوبة، جاءت كلّ مجموعة منها متّسقةً ومتناسبةً مع الجوّ العامّ ومكوّنات السّورة التي وردت فيها، وهذا يتّفق مع ملمح الإحكام الذي وصف الله به آياته، وهذه الطّريقة في التّحليل من شأنّها أن تفتح كثيرا من مجالات التّدبّر وزواياه في نصوص التّنزيل. وفّقنا الله جميعا لتدبّر آياته واستكناه بعض من أسرار الذّكر المبارك، إنّه سميعٌ مجيب.

المطلب السّابع: وقفة مع أهميّة علم المناسبات ـ علم مقارنات السّور أنموذجًا ـ:[19]

إنّ اتباع الأسلوب الذي قرره الشّيخ – حفظه الله – من التّفكير والتّحليل والاستنباط، وإبراز الرّوابط التي تجمع بين هذه السّور التي تنتمي إلى أسرة قرآنيّة واحدة، يسهم في إثراء الأبحاث المتعلّقة بالقرآن الكريم، حيث إن كثيرًا من الآيات وقف عندها المفسّرون ورووا فيها أقوالًا تصل أحيانًا إلى حدّ التّعارض، ولا

يستطيعون التّرجيح بينها، وعليه فإنّ دراسة الأسر القرآنيّة والنّظر في الصّورة الكبيرة للمجموعات يؤدي في نهاية البحث إلى ترجيح بعض الأقوال التّفسيريّة التي طالما ذكرها العلماء ووقفوا متوجسين هل يرجحون هذا القول أم ذاك؟ وهنا تكمن أهميّة علم مقارنات السّور فإنّ التّرجيح بعلم المناسبات ملحظ دقيق ومبلغ في الفهم عميق، لا يتفطن إليه إلاّ الحذاق المهرة من أرباب الصّناعة التّفسيريّة والبيانيّة.

وشيخنا -حفظه الله- وظف علم مقارنات السّور في التّرجيح بين الأقوال التّفسيرية واختيار الأظهر والأنسب الذي يتواءم مع موقع الآية من السّورة وموقع السّورة من المصحف، وما تتقاطع فيه السّورة مع غيرها من السّور التي تربطها بينهما علاقات وطيدة أو انتماء إلى نفس الأسرة. وسأعرض لمثالين يجليان هذا المنحى ويوضحان المراد منه.

المثال الأوّل:[20]

أعمل الشّيخ حفظه الله منهج التّرجيح بعلميّ المناسبات ومقارنات السّور عند تعرضه لبيان معنى (النّجم) في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[النّجم: 1]، فذكر أنّ للعلماء في المراد به أقوالًا كثيرة، وذكر منها ثلاثة[21]، أوّلها: أنّهم الجرم السّماوي المضيء ليلًا وثانيها: أنّه الطّائفة المتفرقة من القرآن التي تنزل ابتداء أو بحسب الوقائع والأحداث ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[الواقعة: 75-77] وثالثها: أنّه النّبات الذي لا ساق له. ومنه قوله ﷻ ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾[الرّحمن: 6].

ويرى الشّيخ حفظه الله تعالى أنّ التّفسير الذي لا ينبغي أن تحمل الآية إلاّ عليه هو أن المراد بالنّجم: الجرم السّماوي، وساق لذلك أدلة منها:

أوّلًا: التّناسب بين خاتمة سورة الطّور ومطلع سور النّجم، فخاتمة الطّور تتحدث عن ليل وحركة أجرام سماويّة (نجوم): ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الطّور:49].

ثمّ بعدها مباشرة الآية الأولى من النّجم: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[النجم:1] فالمفسّرون وأهل البيان مجمعون على أن المراد بالنّجوم آخر الطّور: الأجرام السّماوية.

ثانيًا: ويستدل كذلك بما جاء في آخر سورة النّجم: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ [النّجم:49] وهو النّجم المعروف، ومن المتقرّر في قواعد التّرجيح عند المفسّرين أن السّياق بشقيّه السّباق واللّحاق محكمان عند التّرجيح بين الأقوال، وكلّ تفسير ليس مأخوذًا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو ردّ على قائله.[22]

ثالثًا: وقد لاحظ الشّيخ ملحظًا لطيفًا؛ فإن النجوم التي كانوا يستضيئون بها للاهتداء إلى مواقع الجهات عند السّفر ومعرفة الطّريق الذي يجب أن يسلكوه للوصول إلى غايتهم وبرّ أمانهم ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النّحل:16] وكذلك نور الوحيّ ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[النّجم:4] الذي يضيء لسالكيه درب الطّريق المستقيم الذي جاء به النّور المبين والسّراج المنير سيد المرسلين ﷺ: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ

سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:45-46]، فنلحظ أن الشّيخ لم يكتف ببيان التّناسب من النّاحية اللفظيّة بل تعداها إلى بيان التّناسب من النّاحية المعنويّة، قال أبو السّعود:(وفي الإقسامِ بذلكَ على نزاهتِه عليهِ ﷺ عن شائبةِ الضّلال والغَوايّةِ من البراعةِ البديعةِ وحسنِ الموقعِ ما لا غايةَ وراءَهُ، ... ، فلأنَّ النّجمَ شأنُه أنْ يهتدِيَ بهِ السَّارِي إلى مسالكِ الدُّنيا كأنَّه قيلَ والنّجمِ الذي يَهتدِي به السّابلةُ إلى سواءِ السّبيلِ).[23]

المثال الثّاني:[24]

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[ق:23] هذه الآية في سياق الحديث عن المواقف التي يتعرض لها الكافر بعد النّفخة الثّانية في الصّور، وما ينتظره من الوعيد الشّديد والعذاب الأليم، وقد اختلف المفسرون في تحديد المراد بالقرين وخلصوا إلى قولين: الأوّل: أحدهما: أنّه شيطانه، في قول الحسن وقتادة والضّحاك. وثانيهما: أنّه الملَك الذي كان يكتُب السَّيِّئات، في قول مجاهد.[25] ويرى الشّيخ أن المراد بالقرين الشّيطان هو الرّاجح، ويستند إلى أمور منها:

أوّلًا: سياق الآيات؛ حيث جاء بعد هذه الآية إطلاق لفظ القرين على الشّيطان في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ [ق:27] ولا خلاف معتبر في أنّه خلاف الشّيطان، ويقويه المحاورة المحذوفة بين الكافر والشّيطان، المطويّة

تهوينًا من شأن وتعريضًا بذلته وخسته، ففي الكلام اختصار تقديره: أنّ الإنسان ادّعى على قرينه من الشّياطين أنّه أضلَّه فقال الشّيطان رادًا هذه الدّعوى: ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ أي لم يكن لي قُوَّة على إضلاله بالإكراه، وإنّما طغى هو بضلاله. والزّمخشري يصف هذا المشهد بتصوير جميل فيقول: (والمعنى: أنّ ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه، وشيطانا مقرونا به، يقول: قد أعتدته لجهنم وهيأته لها بإغوائي وإضلالي).[26]

ثانيًا: معهود استعمال القرآن الكريم للفظ القرين، فقد جاء إطلاق القرآن الكريم صفة القرين على الشّيطان الذي يتعهد الكافر بالغواية، في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزّخرف:36].

ثالثًا: الاستناد إلى ملحظ دقيق في علم مقارنات السّور، وهو الاشتراك الأسلوبيّ والنّمط الهندسيّ بين سورتي﴿ ص وق ﴾، فقد ذكر الشّيخ عدّة تقاطعات بين السّورتين،[27] والذي يهمنا هنا اتّحاد التّعبير بين السّورتين، ففي سورة ﴿ص﴾ يقول الحقّ تبارك وتعالى في بيان مشهد اختصام أهل النّار: ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص:59-64]، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص:64]، وهو نفس الأسلوب المعبر عنه هنا في سورة ﴿ق﴾: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق:28] والمشهد محاجة

بين أهل النّار وفيهم الشّيطان، وليس بين الملك والكافر، وعبارات الاختصام تحكي ما دار في المشهد المحذوف في ﴿ق﴾.

المبحث الثالث: المظاهر الأسلوبيّة للسّورة القرآنيّة.

المطلب الأوّل: البناء التّركيبي الصّوتي.[28]

لكلّ سورة من سور القرآن الكريم شخصيتها التي تتفرد بها عن سواها ولها إيقاعها الصّوتيّ وملامحها ومعالمها البارزة التي تميّزها وتدل عليها، وللشّيخ حفظه الله عناية بالجانب الصّوتيّ للكلمات القرآنيّة، فنراه يقف مع سورة ﴿ق﴾- مثلًا- ويتأمل تركيباتها الصّوتيّة ويصدر عن تأملات جميلة:

أوّلها: يلحظ أن السّورة مبنيّة على حرف القاف وعائلتها وأخواتها، فأغلب الفواصل من نسيج صوتيّ واحد، جامع بين الشّدة والقلقلة والجهر، ويذكر إحصاءات دقيقة لذلك فيقول: ورد حرف الدّال في فواصل آيات السّورة (27) مرة، ومن ذلك : { الْمَجِيدِ}[1] { نَّضِيدٌ}[10] { مَّزِيدٌ}[30] وورد حرف الباء: (7) مرّات، ومن ذلك : {عَجِيبٌ}[2] { قَرِيبٍ}[41] وحرف الجيم: (5) مرّات كما في: {مَّرِيجٍ}[5] {بَهِيجٍ}[7]، وحرف الطّاء (1) مرّة واحدة : { لُوطٍ}[13] والصّاد: (1) مرة واحدة: {مَّحِيصٍ}[36]. والظّاء: (2) مرّتين: {كِتَابٌ حَفِيظٌ} [4] { أَوَّابٍ حَفِيظٍ}[32]، والرّاء: (2) مرّتين: { الْمَصِيرُ}[43] { يَسِيرٌ}[44].

وهذا يعني أنّ (90٪) من حروف الفواصل مشترك في الصّفات، ويلحظ خلو الفواصل من حرف القاف على الرّغم من تسميّة السّورة به، ويجيب على هذا بما

لاحظه من تناسق بين جسم السّورة وفواصلها، فجسم السّورة مبني من القاف والفواصل من أخواتها ممّا يتفق معها في صفات الشّدة والقوّة.

ثانيها: يلحظ تكرار كلمات بعينها في السّورة، فيحصيها ويقسمها بحسب تكرارها إلى مجموعات، فيقول: بعض الفواصل كررت مرّتين، وهي: { كِتَابٌ حَفِيظ}[4] { أَوَّابٍ حَفِيظ}[32]، و{ عَبْدٍ مُّنِيب}[8] { بِقَلْبٍ مُّنِيب}[33] { كَذَلِكَ الْخُرُوج}[11] {يَوْمُ الْخُرُوج}[42]و{ هَلْ مِن مَّزِيد}[30] { وَلَدَيْنَا مَزِيد}[35]و{ رَقِيبٌ عَتِيد}[18] { هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد}[23] وبعضها كرّرت ثلاث مرّات، وهي: {رَجْعٌ بَعِيد}[3] {ضَلاَلٍ بَعِيد} [27] {غَيْرَ بَعِيد}[ق:31]

وبعضها كرّرت أربع مرّات: وهي: { فَحَقَّ وَعِيد}[14] { يَوْمُ الْوَعِيد}[20] { قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيد}[28] {مَن يَخَافُ وَعِيد}[45].

ثالثها: يلحظ اختصاص السّورة بتركيب وصفي يتألّف من موصوف وصفة يتكرّر في تذييل الآيات بصورة ظاهرة بارزة، فمن ذلك: { وَالْقُرْآنِ الْمَجِيد}[1] { شَيْءٌ عَجِيب}[2] { رَجْعٌ بَعِيد}[3] { كِتَابٌ حَفِيظ}[4] { أَمْرٍ مَّرِيج}[5] { زَوْجٍ بَهِيج}[7] { عَبْدٍ مُّنِيب}[8] { طَلْعٌ نَّضِيد}[10] { خَلْقٍ جَدِيد} [15] { رَقِيبٌ عَتِيد}[18] { كَفَّارٍ عَنِيد}[24] { مُعْتَدٍ مُّرِيب}[25] { الْعَذَابِ الشَّدِيد}[26] { ضَلاَلٍ بَعِيد}[27] { أَوَّابٍ حَفِيظ}[32] { بِقَلْبٍ مُّنِيب}[33] { مَّكَانٍ قَرِيب}[41]. كلّ هذه العبارات جاءت بنفس الوزن الإيقاعي الذي يجعل الثّوب الصّوتي للسّورة متسقًا متناسقًا.

المطلب الثاني: البناء التّركيبيّ اللفظيّ.

أولًا: مفردات السّورة.

ويقصد بالمفردات هنا ما تميّزت به السّورة من ألفاظ لم ترد في غيرها، فلم تتكرّر هذه الكلمة في سورة أخرى، فأفردت بها السّورة، وكانت علامة من علاماتها وخصيصة من خصائصها، وليس المراد بها الكلمات غريبة المعنى فحسب، فقد تكون غريبة وقد تكون مشهورة، مع أن كثيرًا من أرباب الصّناعة التّفسيرية يطلقون مسمى المفردات على الغريب فقط، ومثال ذلك المفردات في سورة الذّاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ [1] {فَالْحَامِلاَتِ} [2] {وِقْرًا} [2] {فَالْجَارِيَاتِ} [3] {فَالْمُقَسِّمَاتِ} [4] {الْحُبُكِ} [7] {الْخَرَّاصُونَ} [10] {يَهْجَعُونَ} [17] {صَرَّةٍ} [29] {فَصَكَّتْ} [29] {الْمَاهِدُونَ} [48]، {ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ} [59] وغيرها الكثير مما حفلت به السّورة.

ثانيًا: الأنساق التّعبيريّة.[29]

اختصّت كلّ سورة من سور القرآن الكريم بأنساق تعبيريّة، وسبائك لغويّة لم ترد في غيرها، فبمجرد سماع تلك الأنساق يتبادر للذّهن أنّك في السّورة الفلانيّة وهذا الاختصاص مقصود ومرعي، وله عمقه الدّلالي وأثره في خدمة الوحدة الموضوعيّة للسّورة، وهاك أمثلة على الانساق التّعبيرية في سورة الحجرات: {بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [1] {لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [2] {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ} [3] {إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ} [6]

{ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}[7] { فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}[9]{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }[10]{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ } {وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ } {وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ}{ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ} [11] { إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ } {ولاَ تَجَسَّسُوا} {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا} {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} [12] { وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[الحجرات:13]، وغيرها الكثير مما حفلت به السورة.

ثالثًا: التّجاذب اللفظيّ.[30]

هذا المصطلح بالمعنى الذي يستعمله الشّيخ في تفسيره، هو من تقعيده وتركيبه فلم يسبق إليه بحسب علمي وبحسب ما اطلعت عليه من كتب اللغويّين والمفسّرين، ويجعله شيخنا على ضربين: الضّرب الأوّل: تجاذب الألفاظ المنبثقة من معين لغوي واحد، أي: الألفاظ التي تكون مشتقة من مادة معجميّة واحدة، وقد تتّحد أو تختلف صيغها، مثل: عالم، وعلام، وعليم، وعلامة، ومعلّم، وما انحدر من جذر مادة (علم)، ثمّ تكون مستعملة في سياق واحد أو سورة بعينها متناغمة مع محورها الرّئيس، ومنسجمة مع جوّها العامّ، وخصائصها اللفظية الأخرى.[31]

ومثاله في القرآن الكريم: الفعل: ردد.[32]

فيقول الشّيخ –حفظه الله-: وإذا جئنا إلى الفعل (ارتدا) المنحدر من المادة المعجمية (ردد) نجد أنه جاء متوافقًا ومنسجمًا مع الثّوب اللفظي للسّورة، حيث قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾[الكهف:64].

ولم يقل فرجعا على آثارهما، وذلك لأنّ هذه المادة المعجميّة (ردد) لها حضور واضح ومقصود في مواضع من سورة الكهف، فقد جاء على لسان ذي القرنين متحدثًا عن الذي ظلم، والظّلم هنا بمعنى الكفر، بأنّه يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا فظيعًا: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف:87] والتّعبير ذاته تكرر على لسان صاحب الجنتين الذي قاده غروره واعتزازه بجنتيه إلى إنكار السّاعة وادعى أنّه على فرض قيام السّاعة فإنّ مآله فيها سيكون حسنًا ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾[الكهف:35-36].

فانظر كيف عبر بقوله { وَلَئِن رُّدِدتُّ } ولم يقل: ولئن رجعت، كما جاء على لسان الكافر المنكر للبعث في سورة فصلت: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ فصلت:50].

أقول: من المؤكّد أنّ ثمّة ما يدعو إلى هذا التّنويع في توظيف الألفاظ المتقاربة من النّاحية المعنويّة، ولكن أيضًا لا ينبغي أن نغفل عن النّاحية اللفظيّة والصّوتيّة، فإنّ ديدن التّعبير القرآني أن يحافظ على ملمح التّناسق والتّناغم بين الألفاظ المستعملة في السّورة الواحدة، وفي السّياق الواحد، والدّليل على ذلك أيضًا توظيف مادة (رجع)

في موطن ثانٍ من سورة فصلت: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[فصلت:21]، ولا وجود لهذه المادة في سورة الكهف.

الضّرب الثّاني:[33] تجاذب المواد اللفظيّة التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد مثل جملة الألفاظ الواردة في سورة الفرقان في معرض الحديث عن إهلاك القوم المكذبين وما حل بهم من أليم العقاب وما ينتظرهم من شديد العذاب، فهي جملة من الألفاظ التي تصب في نفس الدّلالة من شدّة الأخذ والاستئصال والإهلاك والألفاظ هي: التّدمير ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [36] والإغراق ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[37] والتّتبير ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [39] والإمطار ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ [40] والغرام ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [65].

المبحث الرّابع: تقسيم سور القرآن الكريم.

ثمّة عدّة إطلاقات وردت في تسميّة مجموعات متشابهة من سور القرآن الكريم منها ما هو توقيفي ثابت عن النّبيّ ﷺ، فمن ذلك: السّور السّبع الطّوال، المئون المثاني، المفصل، قال رسول اللهّ ﷺ: (أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئين، وأُعطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمُفصَّل).

فالسّبع الطّوال: أوّلها البقرة وآخرها براءة؛ لأنّهم كـانوا يعـدون الأنفـال وبـراءة سورة واحدة، ولذلك لم يفصلوا بينهما؛ لأنّهما نزلتـا جميعـا في مغـازي رسـول الله ﷺ وسميّت طوالًا: لطولها. والمئون: مـا ولي السّـبع الطّـوال سـميّت بـذلك؛ لأنّ كـلّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها. والمثاني: ما ولي المئـين لأنّهـا ثنتهـا أي كانـت بعدها؛ فهي لها ثوان والمئون لها أوائل. وقال الفراء: (هي السّورة التي آيّهـا أقـل مـن مائة؛ لأنّها تثنى أكثر ممّـا يثنـى الطّـوال والمئـون، وقيـل لتثنيّـة الأمثـال فيهـا بـالعبر والخبر). حكاه النّكزاوي. والمفصل: ما ولي المثاني من قصار السّـور، سـمي بـذلك: لكثّرة الفصول التي بين السّور بالبسملة، وقيل: لقلـة المنسـوخ منـه، ولهـذا يسـمى بالمحكم أيضًا. كما روى البخـاري عـن سـعيد بـن جبـير قـال: (إنّ الـذي تدعونـه المفصل هو المحكم).[34]

وثمّة إطلاقات اجتهاديّة واردة عن السّلف في تسميّة مجموعات من سور القـرآن الكريم،[35] فمن ذلك ما أورده السّخاوي في جمال القراء بقوله: (قال بعض السّـلف: في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياض؛ فميادينـه مـا افتـتح بـ﴿ألم﴾، وبساتينه ما افتتح بـ﴿ألر﴾، ومقاصيره الحامـدات، وعرائسـه المسـبحات وديابيجـه آل عمـران، ورياضـه المفصـل)،[36] وقـالوا الطّواسـيم والطّواسـين وآل ﴿حم﴾ والحواميم. وساق أبو عبيده بسنده عن ابن مسعود قال: (الحـواميم ديبـاج القرآن).[37]

فنلحظ هنا أنّ هذه التّسميات بحسب الطّول والقصر وبحسب تشابه المطالع ولكن هذا لا يستقصي جميع المطالع، والإضافات التي قدّمها شيخنا تتمثّل في تقسيم استقصائي للاشتراكات والتّقاطعات بين مطالع النّوع الواحد من سور القرآن الكريم، وهو بهذا الصّنيع ينطلق من الأساليب البيانيّة المفتتحة بها سور القرآن الكريم، وهي لا تخرج عن عشرة أنواع، نظمها أبو شامة بقوله:[38]

أثنى على نفسه سبحانه بثبوت

المدح والسّلب لما استفتح السّورا

والأمر شرط النّدا التّعليل والقسم الدّ

عا حروف التّهجي استفهم الخبرا

وتفصيلها باختصار:

1 – الاستفتاح بالثّناء عليه ﷻ: والثّناء قسمان:

أ– إثبات لصفات المدح في سبع سور: خمسة منها ابتدأت بالحمد وهي: الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر. واثنتان منها بتبارك وهما: الفرقان والملك.

ب ـ تنزيه ﷻ عن النّقص (التّسبيح) وذلك في سبع سور وهي: الإسراء والحديد والحشر والصّف والجمعة والتّغابن والأعلى. ويذكر الكرماني هنا لطيفة مفادها (الحديد والحشر والصّف؛ لإنّه أسبق الزّمانين ثمّ المستقبل في الجمعة والتّغابن ثمّ الأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع: المصدر والماضي والمستقبل والأمر المخاطب، فهذه أعجوبة وبرهان).

2 -الاستفتاح بحروف التّهجي في تسع وعشـرين سـورة وهـذه السّـور هـي: البقرة وآل عمران والأعراف ويونس وهـود ويوسـف والرّعـد وإبـراهيم والحِجْـر ومريم وطه والشّعراء والنّمل والقصـص والعنكبـوت والـرّوم ولقـمان والسّـجدة ويس وص وغافر وفصلت والشّورى والزّخرف والدّخان والجاثيّة والأحقاف وق والقلم.

3 -الاستفتاح بالنّداء في عشر سور وهـي: النّسـاء والمائـدة والحـجّ والأحـزاب والحجرات والممتحنة والطّلاق والتّحريم والمزمل والمدثّر. وهذا النّـداء عـلى أنـواع فمنه نداء للنّاس جميعًا {يَاأَيُّهَا النَّاسُ}؛ كما في النّساء والحـجّ. ومنـه نـداء للمـؤمنين {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}؛ كما في المائدة والحجرات والممتحنة. ومنه نداء للنّبي ﷺ، وهـذا النّداء على أنواع، فمنه النّـداء بلقـب النّبـوة {يَاأَيُّهَـا النَّبِـيُّ} في الأحـزاب الطّـلاق والتّحريم، ومنه النّداء بصفات خاصّة كما في {يَاأَيُّهَـا الْمُزَّمِّـل} [المزّمّـل:1]، {يَاأَيُّهَـا الْمُدَّثِّرُ} [المدثّر:1].

4 - الاستفتاح بالجمل الخبريّة في ثلاث وعشرين سورة وهي: الأنفـال والتّوبـة والنّجل والأنبياء والمؤمنون والنّور والزّمر ومحمّد والفتح والقمر والرّحمن والمجادلـة والحاقة والقيامة والمعارج ونوح وعبس والبلد والقـدر والبينـة والقارعـة والتّكـاثر والكوثر، ونلحظ هنا اعتبار: القيامة والبلد من السّور المفتتحـة بـالخبر، وهـو أحـد الأقوال الـواردة في تفسـير: ﴿لاَ أُقْسِـمُ﴾، غـير أن الشّـيخ المسـتغانمي حفظـه الله يجعلهما من سور القسم كما سيأتي:

5 - الاستفتاح بالقسم في خمس عشرة سورة وهي: الصّافات والذّاريات والطّور والنّجم والمرسلات والنّازعات والبروج والطّارق والفجر والشّمس والليل والضّحى والتّين والعاديات والعصر.

6 -الاستفتاح بالشّرط في سبع سور وهي: الواقعة والمنافقون والتّكوير والانفطار والانشقاق والزّلزلة والنّصر.

7 -الاستفتاح بالأمر في ستّ سور وهي: الجنّ والعلق والكافرون والإخلاص والفلق والنّاس.

8 -الاستفتاح بالاستفهام في ستّ سور وهي: الإنسان والنّبأ والغاشية والشّرح والفيل والماعون.

9 - الاستفتاح بالدّعاء: في ثلاث سور وهي: المطففين والهمزة والمسد.

10 -الاستفتاح بالتّعليل في موضع واحد وهو: سورة قريش.

واختار الشّيخ عددًا من هذه الأقسام وأجرى عليها دراسته في علم مقارنات السّور، وهي:

أولًا: السّور المتشابهة المطالع:

1- سور الحمد: الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر.

2- سورتا تبارك: الفرقان والملك.

3- سور المسبحات: الإسراء والحديد والحشر والصّف والجمعة.

4- سورتا النّداء بـ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾: النّساء والحجّ.

5- سور النّداء بـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: المائدة والحجرات والممتحنة.

6- سور النّداء بـ ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: الأحزاب والطّلاق والتّحريم.

7- سورتا ﴿لاَ أُقْسِمُ﴾: القيامة والبلد.

8- سورت﴿وَيْلٌ﴾: المطففين والهمزة.

ثانيًا: سور متشابهة الفواصل.

1- سورتا الإسـراء والفرقان.

2- سورتا الكهف والجنّ.

3- سور: طه، والنّجم، والأعلى، والليل، والضّحى.

ثالثًا: السّور المفتتحة بأنساق تعبيريّة متشابهة.

1- سور: والصّافات، والذّاريات، والمرسلات، والنّازعات.

2- سورتا: الحاقة والقارعة.

3- أسرة سور: الواقعة، والتّكوير، والانفطار، والانشقاق، والزّلزلـة، وهـي سور الشّرط المفتتحة ب (إِذَا)، والمتحدّثة عن السّاعة وأشراطها.

وهذان التّقسيمان الأخيران أعني: السّور متشـابهة الفواصـل، والسّـور المفتتحـة بأنساق تعبيريّة متشابهة، هما من ابتكـارات الشّـيخ. فملاحظـه للتّشـابه في فواصـل الآيات واختصاص مطالعها، قادته لملاحظه التّشابه بينها في الدّلالات، والتّقاطع في الموضوعات، ليبنني عليها ما فتح الله عليه من تأمّلات.

الخاتمة: في نهايّة هذا المشوار البحثي يمكن الخلوص إلى جملة من النّتائج والتّوصيات:

أولًا: النّتائج:

1. للشّيخ المستغانمي جهود واضحة وإسهامات جليلة وإضافات مبتكرة في جملة من علوم القرآن، ومباحث هذا البحث تجلي ذلك.

2. ينطلق الشّيخ في تفسيره من حصيلته اللغويّة ويرتكز عليها في الاستنباط والتّقسيم والتّسميات وإصدار الأحكام.

3. الصّبغة البلاغيّة اللغويّة طاغيّة على أقواله وآرائه التّفسيريّة.

4. يقدّم الشّيخ المستغانمي تفسيره بقالب تدبريّ تأمليّ استنباطيّ.

5. يعتبر تفسير الشّيخ المستغانمي وما يقدمه من آراء تفسيريّة من باب التّفسير بالرّأي المحمود.

6. يعتني الشّيخ المستغانمي بجوانب التّفسير الموضوعيّ، ويعتني بالوحدة الموضوعيّة للسّورة.

7. لا يتعرض الشّيخ في تفسيره لجميع مباحث علوم القرآن وإنّما يقتصر على ما كان منها يخدم البلاغة والبيان القرآنيّ.

8. تفسير القرآن بالقرآن حاضر في تأمّلات الشّيخ وآرائه التّفسيريّة.

9. كان لعمل الشّيخ وإشرافه على المعجم التّاريخيّ دور بارز في آرائه التّفسيرية وخاصّة ما يتعلّق منها ببيان معنى السّورة، فيلاحظ أصل وضع اللفظ في اللغة

وتطوّر دلالته، ويتأمل المعنى المستعمل أوّل اللفظ وآخره، ويربط بينهما ويصدر عن معنى تكامليّ شموليّ.

ثانيًا: التّوصيات:

1. تعميم التّجربة التي خاضها الشّيخ المستغانمي على جميع سور القرآن؛ لتكون نواة لمشاريع رسائل علميّة بحثيّة، وتطّبع وتثّرى بها المكتبة القرآنيّة.

2. إجراء دراسات وبحوث أكاديميّة كرّسائل ماجستير ودكتوراه وغيرها تتناول موضوعًا من الموضوع الجديدة التي أصّل لها الشّيخ -حفظه الله تعالى-.

فهرس المصادر والمراجع:

1. الإتّقان في علوم القرآن، لعبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، الهيّأة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة 1394هـ/ 1974م، عدد الأجزاء: 4.

2. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدّين محمّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، الطّبعة الأولى، 1376 هـ، 1957 م، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابى الحلبيّ وشركائه، عدد الأجزاء: 4.

3. البيان في عد آي القرآن، لعثمان بن سعيد الدّاني، تحقيق: غانم قدروي الحمد، مركز المخطّوطات والتّراث والوثائق، الكويت، 1994، الطّبعة الأولى.

4. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطّبري، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، 1420 هـ 2000 م، عدد الأجزاء: 24.

5. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 1384هـ، 1964 م، عدد الأجزاء: 20 جزءا.

6. جمال القراء وكمال الإقراء، لعلي بن محمّد بن عبد الصّمد الهمداني المصريّ الشّافعي، أبي الحسن، علم الدّين السّخاوي، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدّايم سيف القاضي، (أصل الكتاب رسالة دكتوراة بإشراف د محمّد سالم المحيسن)، مؤسّسة الكتب الثّقافية، بيروت، عدد الأجزاء: 2، الطّبعة الأولى، 1419 هـ، 1999م.

7. جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور، للدّكتور: أحمّد صافي المستغانمي، الطّبعة الأولى، 2018م، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت.

8. زاد المسير في علم التّفسير، لجمال الدّين أبي الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزي، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الأولى، 1422 هـ.

9. فضائل القرآن للقاسم بن سلام، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطيّة، ومحسن خرابة، ووفاء تقيّ الدّين، دار ابن كثير دمشق/ بيروت، الطّبعة الأولى، 1415 هـ،1995 م.

10. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدّين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدّمشقي النّعماني، تحقيق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ علي محمّد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى، 1419 هـ،1998م، عدد الأجزاء: 20.

11. لسان العرب، لابن منظور، أبي الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم الأنصاري، دار صادر، سنة النشر: 2003م، عدد الأجزاء: خمسة عشر جزءا.

12. مجلة اللسان العربيّ، مجلس اللسان العربيّ بموريتانيا، العدد الأوّل، 2018م.

13. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرّحمن بن تمام بن عطيّة الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى، 1422 هـ.

14. مختصر قواعد التّرجيح عند المفسّرين، للدّكتور حسين بن علي الحربي، الطّبعة الأولى 1429 هـ، عدد الأجزاء: 1، دار ابن الجوزيّ.

15. مفردات ألفاظ القرآن، للرّاغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرّئيسية، دار القلم، الدّار الشّامية، سنة النّشر: 1430 2009، عدد المجلدات: 1، رقم الطّبعة 4.

16. النّشر في القراءات العشر، لشّمس الدّين أبي الخير ابن الجزري، محمّد بن محمّد بن يوسف، تحقيق: علي محمّد الضّباع، المطبعة التّجارية الكبرى، عدد الأجزاء: 2.

الحواشيّ:

[1] – المعلومات الواردة في هذا المبحث مسّتلة بتصرف من الحلقـة التّلفزيونيّـة، وعنوانهـا: برنـامج في (رِحاب سورة) –مقدّمة عن سورة الزّخرف–، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=sin91SztV20

[2] - ينظر: المحرّر الوجيز 5/ 45، وزاد المسير: 4/ 72، وورد عن مقاتـل أنّهـا مكيّـة إلاّ قولـه تعـالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ الآية 44 من سورة الزّخرف.

[3] - ينظر: الكشاف: 4/ 235، والتّحرير والتّنوير: 25/ 157.

[4] –وعدد آياتها بحسب العدّ الكوفي: تسع وثمانون آية، ويوافقه جميع علماء العـدد باسـتثناء الشّـامي فعدها ثمانيا وثمانين آية. واختلافها آيتان:﴿حم﴾ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون، ﴿هـو مهـين﴾ لم يعدّها الكوفي والشّامي وعدها الباقون. البيان: 223.

[5] –ينظر: مفردات الراغب: 379، ولسان العرب: 7/ 23.

[6] –جامع البيان: 1/ 100.

[7] – البرهان: 1/ 270.

[8] –الإتقان:1/ 186.

[9] - التّحرير والتّنوير: 1/ 90.

[10] – المعلومات الواردة في هذا المثال مسّتلة بتصــرف مـن الحلقـة التّلفزيونيّـة، وعنوانهـا: برنـامج (في رِحاب سورة) – مقدّمة عن سورة الزّخرف–، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=sin91SztV20

[11]– ينظر: النّشر: 2/ 369، وقال الأزهريّ: (من قرأ (أسورة) فهو جمع سوار، ومن قـرأ (أسـاورة) ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون جمع (أسورة)، فيكون جمع الجمع، ويجوز أن يكـون (أسـاورة) جمـع إسوارة). ينظر: معاني القراءات وعلّلها: 2/ 366، إعراب القراءات السّبع وعلّلها: 2/ 300

[12]- ينظر: تفسير أبي السّعود: 8/ 54، وتفسير الألوسيّ: 13/ 97

[13] ينظر: مفردات الرّاغب: 383، ولسان العرب: 7/ 56.

[14] هذه المعلومات مستلة بتصرف من الحلقة التّلفزيونيّة، وعنوانها: برنامج في (رحاب سورة) مقدّمة في سورة الزّمر، ورابطها: https://www.youtube.com/watch?v=Ol7ZaE5PyFU

[15] المعلومات الواردة في هذا المطلب مسّتلة بتصرـف مـن الحلقـة التّلفزيونيّـة، وعنوانهـا: برنـامج (فيرحاب سورة) – مقدّمة عن سورة الزّخرف–، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=sin91SztV20

[16] المعلومات الواردة في هذا المثال مسّتلة بتصرف من الحلقـة التّلفزيونيّة، وعنوانهــا: برنــامج (في رحاب سورة) – مقدّمة عن سورة الزّخرف– ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=sin91SztV20

[17] المعلومات الواردة في هذا المثال مسّتلة بتصـرف من الحلقـة التّلفزيونيّـة، وعنوانهـا: (في رِحـاب سورة) – مقدّمة عن سورة الدّخان، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=Fg2yD139FAg

[18] هذا المطلب وما فيه من تعريفـات وأمثلـة مسّـتل مـن مقـال لشـيخنا المسـتغانمي –حفظـه الله– بعنوان: وقفة تدبريّة في اتّسـاق تـوالي الصّـفات في التّعبـير القـرآنيّ، نشـــره مجلـس اللسـان العـربي بموريتانيا، في مجلة اللسان، في عددها الأول: 135–148.

-19 ينظر: جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور: 24.

-20 هذا المثال أفادنيه الشّيخ- حفظه الله تعالى- عقب انتهائه من تسجيل حلقات سورة النّجم، ولم تكن بثّت وقت عند تدّوين هذه الصّفحات.

-21 ينظر: الأقوال جامع البيان: 22/ 495-597، وجامع القرطبي: 17/ 82-83.

22 - ينظر: مختصر قواعد التّرجيح عند المفسّرين: 135.

-23 تفسير أبي السّعود: 14/ 47.

24 - هذا المثال مسّتل بتصرف من الحلقة التّلفزيونيّة، وعنوانها: برنامج (في رِحاب سورة) تفسير سورة ق من الآية 23 إلى الآية 31، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=vHzUrYQypRU

-25 اللباب في علوم الكتاب: 18/ 29، وجامع القرطبي: 17/ 16.

-26 ينظر: الكشاف: 4/ 386.

27 - في كتابه عن البناء الهندسيّ للسّور القرآنية، وهو قيّد الإعداد، لم يطبع بعد.

28 - هذا المطلب مسّتل بتصرف من الحلقة التّلفزيونيّة، وعنوانها: برنامج (في رِحاب سورة) مقدّمة في سورة ﴿ق﴾ ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=XwjLumqefE4

29 - هذا المثال مسّتل من الحلقة التّلفزيونيّة، وعنوانها: برنامج (في رِحاب سورة) - تفسير سورة الحجرات من الآية 1 إلى الآية 2، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch? v=su7x-R9NCWE

[30] – هذا المثال مأخوذ بتصرف يسير من كتاب: جوهر الدُّرر في علم مقارنات السّور.

[31] - ينظر: جواهر الدُّرر: 35.

[32] – ينظر: جواهر الدُّرر: 39–40.

[33] – وقد أشار إليه الشّيخ– حفظه الله تعالى– في كتابه جواهر الدُّرر: 35.

[34] – ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 244–248، والاتّقان: 1/ 220–224.

[35] -ينظر: البرهان: 1/ 454، الاتّقان: 1/ 201.

[36] -ينظر: جمال القراء، 1/ 1، 89.

[37] - فضائل القرآن للقاسم بن سلام: 225.

[38] -الأبيات وما بعدها بتصرف من البرهان: 1/ 164–181، والإتقان: 3/ 361–363

[39] – وقد اعتمد الشّيخ على هذا التّقسيم في بناء فصول كتابه جواهر الـدُّرر: الفصـل الأوّل والثّـاني والثّالث.

ww.youtube.com/watch ?v=Ol7ZaE5PyFU

[40] - المعلومات الواردة في هذا المطلب مسّتلة بتصرف من

في هذا المطلب مستلة بتصرف من الحلقة التلفزيونية،

عنوانها: برنامج (في رِحاب سورة) مقدّمة عن سورة الزّخرف، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=sin91SztV20

[41] -المعلومات الواردة في هذا المثال مسّتلة بتصرف من

الحلقة التّلفزيونيّة، وعنوانها: برنامج (في رِحاب سورة) مقدّمة عن سورة الزّخرف، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=sin91SztV20

-42 المعلومات الواردة في هذا المثال مستلة بتصرف من

الحلقة التّلفزيونيّة، وعنوانها: (في رِحاب سورة) مقدّمة عن سورة الدّخان، ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=Fg2yD139FAg

43– هذا المطلب وما فيه من تعريفات وأمثلة مسّتل من مقال لشّيخنا المستغانمي –حفظه الله– بعنوان: وقفة تدبريّة في اتّساق توالي الصّفات في التّعبير القرآني، نشره مجلس اللسان العربيّ بموريتانيا، في مجلة اللسان، في عددها الأوّل: 135–148.

44 – ينظر: جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور: 24.

-45 هذا المثال أفادنيه الشّيخ– حفظه الله تعالى– عقب انتهائه من تسجيل حلقات سورة النّجم، ولم تكن بثّت وقت عند تدوّين هذه الصّفحات.

-46 ينظر: الأقوال: جامع البيان: 22/ 495–597، وجامع القرطبي: 17/ 82–83.

-47 ينظر: مختصر قواعد التّرجيح عند المفسّرين: 135..

-48 تفسير أبي السّعود: 14/ 47.

49 – هذا المثال مستل بتصرف من الحلقة التّلفزيونيّة، وعنوانها: برنامج (في رِحاب سورة) تفسير سورة ق من الآية 23 إلى الآية 31، ورابطها:

https://www.youtube.com/ watch?v=vHzUrYQypRU

-50 اللباب في علوم الكتاب: 18/ 29، وجامع القرطبيّ: 17/ 16.

-51 ينظر: الكشاف: 4/ 386.

-52 في كتابه عن البناء الهندسي للسّور القرآنيّة، وهو قيد الإعداد، لم يطبع بعد.

-53 هذا المطلب مستل بتصرف من الحلقة التّلفزيونية، وعنوانها: برنامج (في رِحاب سورة) مقدّمة في سورة ق، ورابطها:

https://www.youtube.c om/watch?v=XwjLumqefE4

[54]– هذا المثال مستل من الحلقة التّلفزيونيـة، وعنوانهـا: برنـامج (في رِحـاب سـورة) تفسـير سـورة الحجرات من الآية 1 إلى الآية 2 ورابطها:

https://www.youtube.com/watch?v=su7x-R9NCWE

[55] هذا المثال مأخوذ بتصرف يسير من كتاب: جوهر الدّرر في علم مقارنات السّور.

[56]- ينظر: جواهر الدُّرر: 35.

[57] - ينظر: جواهر الدُّرر: 39-40.

[58] - وقد أشار إليه الشّيخ- حفظه الله تعالى- في كتابه جواهر الدُّرر : 35.

[59] - ينظر: البرهان في علوم القرآن:

1/ 244-248، والإتقان: 1/ 220-224.

[60] - ينظر: البرهان: 1/ 454، الإتقان: 1/ 201.

[61] – ينظر: جمال القراء: 1/ 189.

[62]– فضائل القرآن للقاسم بن سلام: 225.

[63] - الأبيات وما بعدها بتصرف من البرهان: 1/ 164-181، والإتّقان: 3/ 361-363.

[64] – وقد اعتمد الشّيخ على هذا التّقسيم في بناء فصول كتابه جواهر الدُّرر: الفصول: الأوّل والثّـاني والثّالث.

والحمد لله ربّ العالمين.

مظاهر الحذف عند أمحمّد صافي المستغانمي

دراسة وصفيّة دلاليّة، من خلال برنامج
في رِحاب سورة النّمل

Manifestations of omission according to Muhammad Safi al-Mustaghanmi, a descriptive and semantic study, through a program in the Rehab of Surat al-Naml

د.سفيان رضوان صالح

أ. ميلود زلاع

ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم

الملخص: يتناول البحث مواطن الحذف التي أشار إليها الأستاذ أمحمّد صافي المستغانمي، فبعد تعريفنا بالحذف لغة واصطلاحا، أبرزنا مكانة الحذف عند المتقدمين والمتأخرين، وذكرنا أنواعه، والتي منها جاء المبحث الثّاني في ثلاثة مطالب، فبدأنا بحذف الحرف وأبرزنا مواطنه في سورة النّمل، مع ذكر دلالته سواء على لسان الأستاذ، أم من طرف الباحثين، ولم تتعد مواطن الحذف في الحرف ثلاثة مواضع، ثمّ تطرقنا إلى الحذف الحاصل في الكلمة، حيث ذكر الثّلاثة أقسام، حذف المسند إليه وأشار إليه في ثلاثة مواضع، وأمّا حذف المسند فذكره في آية واحدة، أمّا الفضلة فذُكرت في موضعين، ولم يُشر في أغلبها إلى دلالة الحذف، وختمنا المبحث الثّاني بذكر مواطن الخلاف فيما يخصّ الجمل حيث ذكر عشرة مواضع، ذكر دلالة الحذف

مصرحا بها أو مشيرا لها في خمسة مواضع، وأحجم عن الخمسة الباقيّة، وقد كان مجموع مواطن الحذف في هذه السّورة تسعة عشر موطنا، وكان الهدف من البحث الوقوف على منهج الأستاذ في تفسير الآيات وتقدير المحذوفات وإبراز دلالاتها معتمدين في ذلك على المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ.

الكلمات المفتاحيّة: سورة النّمل، أمحمّد صافي المستغانمي، كتب التّفسير الدّلالة، الحذف.

Abstract:

The research deals with the areas of deletion referred to by Professor Muhammad Safi Al-Mostaghanemi. After we defined the deletion in terms of language and terminology, we highlighted the position of deletion among the applicants and the latecomers, and mentioned its types, from which the second topic came in three demands. On the tongue of the professor, or on the part of researchers, and the deletion in the letter did not exceed three places, then we touched on the deletion in the word, where he mentioned the three sections, deleting the predicate to it and referring to it in three places, and deleting the predicate mentioned it in one verse, as for the virtue It was mentioned in two places, and most of it did not refer to the signification of deletion, and we concluded the second section by mentioning the points of contention with regard to the sentences, where ten places were mentioned, the signification of the deletion was declared or referred to in five places, and he refrained from the remaining five, and the total of the points of deletion in these was The surah has nineteen chapters, and the aim of the research was to identify the professor's approach to interpreting verses, assessing omissions, and highlighting their implications, relying on the descriptive and inductive method.

Keywords: Surah An-Naml, Muhammad Safi Al-Mostaghanemi, Interpretation books, delete.

مقدّمة:تنوّعت اهتمامات الجزائريين- قدماء ومحدثين- بدراسة علوم الشّريعة فاجتهدوا في مباحثها تأليفاً واستقصاءً، وغاصوا في مجالاتها تحقيقا وتوثيقا، ولقد نال التّفسير -كغيره من علوم الشّريعة- نصيبا من الاهتمام، وقد برعوا في جوانب-وهي كثيرة- دون أخرى، ومنها: قلّة العناية بالدّراسات البلاغيّة والمتتبع لهذا الشّأن لَيَجد أنّ هذا الصّنيع هو دأب المفسّرين المغاربة والأندلسيين عموما الذين عُهد عليهم عدم توسعهم في تفاسيرهم بالبلاغة والإعجاز، كما هو الشّأن في علوم اللغة الأخرى، ولعل السّبب في ذلك يرجع إلى أنّ هذه العلوم نشأت في المشرق، وتوفر المشارقة على درسها وشرحها والتّأليف فيها وهذا ما عبّر عنه ابن خلدون في مقدمته، حيث يقول: (وبالجملة فالمشارقة على هذا الفنّ (أي علم البيان) أقوم من المغاربة، وسببه، والله أعلم أنّه كمالي في العلوم اللسانيّة، والصّنائع الكماليّة توجد في وفور العمران، والمشرق أوفر عمراناً من المغرب كما ذكرناه، أو نقول لعناية العجم، وهم معظم أهل المشرق، كتفسير الزّمخشري، وهو كلّه مبني على هذا الفنّ وهو أصله) وفي الأزمنة المتأخرة تدارك المغاربة عموما والجزائريّون خاصّة هذا النّقص، فوجدنا من يتوسّع في ذكر المباحث البلاغيّة ويذكر دلالاتها وأسرارها ومواطن الجمال فيها وهذا ما نلمسه في جهود أمحمّد صافي المستغانمي أحد أبناء هذا الوطن الغاليّ الذي هاجر إلى دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، وتوسّع أيّما توسع في العناية بالأساليب البلاغيّة من خلال كتبه التي ألّفها، أو من خلال البرامج التي يُقدّمها.

وفي هذه البحث سنستخرج مواضع الحذف ودلالتها التي جاءت على لسان الأستاذ أمحمّد صافي المستغانمي في سورة النّمل، من خلال برنامج في (رِحاب سورة) الذي يُبَث على قناة الشّارقة الفضائيّة، إذ البحث في مجمله يهدف إلى الوقوف على منهج الأستاذ في تفسير الآيات وتقدير المحذوفات وإبراز دلالاتها وخصوصا معرفة أكان مكثرا من الإشارة إلى مواضع الحذف أم لا؟ وكذا الوقوف على جماليّات الحذف القرآنيّ، وتتمثّل إشكاليّة البحث، في استخراج مواطن الحذف التي ذكرها الأستاذ في سورة النّمل، مع ذكر دلالة هذا الحذف مرفقا بتعليق موجز ومختصر من كلامنا، معضودا بكلام أهل العلم في هذا الفنّ وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفيّ التّحليليّ، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائيّ في بعض الأحيان.

وقد جاء البحث في مقدّمة، ذكرنا فيها أهداف البحث وإشكاليّته، والمنهج المتبع في الدّراسة، ومبحثين، الأوّل نظريّ: يشمل في مجمله التّعريف بأهمّ المصطلحات التي تكون آلة ووسيلة وعونا للقارئ في فهم الجانب التّطبيقي والثّاني تطبيقيّ: جاء في ثلاثة مطالب: فكان الأوّل منها في الحذف الذي يعتري الحرف، وفي الثّاني ما يعتري الكلمة، أمّا المطلب الثّالث فكان في حذف الجمل وتمّ البحث بخاتمة تشتمل على أهمّ نتائجه، وأُرفق البحث في خاتمته بأهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

المبحث الأول: تعريف الحذف وذكر أنواعه ومكانته بين المتقدمين والمحدثين:

(1) تعريف الحذف:

لغة: يقول الخليل: (الحذف: قطف الشّيء من الطرف، كما يحذف طرف ذنب الشّاة)[1] ويكون القطف أو القطع كليا أو جزئا.

اصطلاحا: عُرّف الحذف بعدة تعريفات، أبرزها تعريف الزّركشي، حيث يقول: «إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل»[2] وقد عرّفه المحدثون بقولهم: «إسقاط جزء من الكلام لدليل، والمحذوف يُفهم بالقرينة اللفظيّة أو العقليّة أو من السّياق».[3]

وعليه نقول: إنّ الحذف من مظاهر التّركيب العربيّ، الذي يؤدي إلى إيجازه والتّخفيف من ثقله؛ ومن ثمّ التّخفيف من عياء الحديث، وفي الإيجاز تكمن البلاغة، ويسمو الكلام حتى يصل إلى قوّة السّحر في التّأثير.

(2) الحذف بين المتقدّمين وبين المحدثين: تُعتبر ظاهرة الحذف من الظّواهر اللغويّة التي تشترك فيها اللغات الإنسانيّة وتظهر مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحا، مثل لغتنا العربيّة، لما تتميّز به من الميل إلى الإيجاز والحذف.[4]

(ويتفق النّحاة واللغويون على أنّ الأصل في كلام العرب الذّكر، ولا يصح حذف شيء منه إلّا بدليل، سواء أكان هذا الدّليل صناعيا تقتضيه الصّناعة النّحويّة أم غير صناعي يقتضيه معنى الكلام خلافا للأصل، وإذا دار الأمر بين الحذف وعدمه، كان الحمل على عدمه أولى؛ لأنّ الأصل عدم التّغيير).[5]

وقد نبّه سيبويه إلى وقوع الحذف في اللغة سواء أكان متصلا بالصّيغ أم بالتّراكيب، وبيّن كيفية الاستدلال على المحذوف، فقال: (أعلم أنّهم مما يَحذفون الكلم وإن كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون، ويَستغنون بالشّيء عن الشّيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتّى يصير ساقطا)[6] وهو ما يُعرف بالأصليّة والفرعيّة، على أنّ الأصل في الكلام عدم الحذف، إذ يَعدّه عارضا يعرض في الكلام.

كما أشار عبد القاهر الجرجانيّ إلى أنّ الحذف في الكلام يُحقق غايات قد لا يُحققها الذّكر، من حسن القول وجماله وأُلفة النّفس له، حيث يقول: (فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثمّ أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلاّ وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النّفس أولى وآنس من النّطق به).[7]

(فالإيجاز إذن عنصر أصيل في لغة العرب... على اختلاف أنواعه وضروبه بل إنّه تعبير رفيع يخاطب به أهل العقول وأصحاب الحِجا، والحذف ضرب من الإيجاز، وقد أدخله ابن جني في خصائصه ضمن باب أسماه: (باب في شجاعة العربيّة) إشارة إلى ما في العربيّة من صفات ذاتيّة ومقدرة على استيعاب كلّ ما من شأنه مدّ جسور التّواصل مع المتلقي، وهذا ما يُمثله الحذف).[8]

أمّا الحذف عند المحدَثين فإنّه لا يختلف كثيرا ممّا هو عند المتقدمين، إذ قد وُصف بأنّه: انحراف عن المستوى التّعبيري العاديّ، وأنّه يستمد أهميّته من

حيث لا يورد المنتظر من الألفاظ، ومن ثمّ يُفجر في ذهن المتلقي شحنة توقظه وتجعله يُفكر فيها؛ بحيث يتحدد بأنّه علاقة تتم داخل النّص، كما أنّ معظم الأمثلة تُبين أنّ العنصر المحذوف موجود في النّص السّابق؛ بما أنّه يُنشأ علاقة قبليّة[9].فالحذف عموما عند المحدثين: (هو ظاهرة تتحول بمقتضاها الجملة من جملة أصليّة إلى تحويليّة، فالأصل في الكلام أن لا يُحذف شيء إلّا بدليل).[10]

(3) **أنواع الحذف:** يقول فاضل السّامرائي: (إنّ الحذف في العربيّة كثير، وقد توسعَت فيه توسعا كبيرا، وجرى فيها في كلّ نوع من أنواع الكلم التّالية: اسم فعل حرف)[11] وكذلك يجري الحذف في الجملة بمختلف أنواعها.

أوّلا: حذف الحرف: نقل ابن جني عن أبي علي الفارسيّ أنّ أبا بكر السرّاج قال: (حذف الحروف لا يسوغه القياس؛ لما فيه من الانتهاك والإجحاف)[12] فهو إذن لا يُجيز حذف الحروف، حيث يرى في ذلك تقصيرا في حقها؛ لأنّها في الأساس مختصرة، ولكنّه مع ذلك في موضع آخر يرى بجواز حذفها! حيث يقول: (ومع ذلك فقد حذفت تارة وزيدت أخرى)[13]، ويمكن الجمع بين القولين، فنقول: إنّ الواقع اللغويّ والطّبيعة البشريّة هي التي فرضت الحذف.

وحذف الحرف نوعان:

1-حذف حرف المبنى: كقوله تعالى:﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[14]، فقد حذف حرف التّاء من ﴿استطاعوا﴾ للتّخفيف كما ذهب إلى ذلك الزّمخشري.[15]

2-حذف حرف المعنى: كحذف حرف الجر قبل (أن) و(أنّ) المصدريتين مثل قوله تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾[16] التّقدير: بأن أسلموا.

ثانيا: حذف الكلمة: وحذف الكلمة يأتي على صوّر مختلفة، وهي: حذف المسند إليه، والمسند والفضلات.

1-**حذف المسند إليه:** وهو أحد ركنيّ الجملة، بل هو الرّكن الأعظم فيها وهو المبتدأ واسم كان واسم إنّ، والفاعل ونائبه، ولا يجوز حذفه إلّا بشرطين هما:

-وجود ما يدل على المحذوف من قرائن؛

-وجود السّياق الذي يترجح فيه الحذف على الذّكر.[17]

2-**حذف المسند:** وهو أحد ركنيّ الجملة، فهو إمّا الخبر أو خبر كان، أو خبر إنّ، أو الفعل.

3-**حذف الفضلات:** وهي ما سوى المسند والسّند إليه.

ثالثا: حذف الجمل: تَنتظِم الكلمات جُملا لتُؤدي معنى، وتنسبك في نظام معيّن لتُعطي دلالة، وقد يطرأ تغيّير على نظام الجمل فيُحذف شيء؛ لتؤدي الجملة إفادة جديدة، ما كانت لتكون لولا هذا الحذف، وبتأمل سياق الآيات يُدرَك سرُ الحذف ومزيته وحذف الجملة له صور مختلفة، وهذه الصّور تكّمن في حذف الشّرط وجوابه أو حذف القسم وجوابه، أو حذف الاستفهام وجوابه وغيرها، وتنقسم الجملة في العربيّة إلى اسميّة أو فعليّة.

المبحث الثاني: دراسة تحليليّة لمواضع الحذف في سورة النمل.

يقول الجرجانيّ: «فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثمّ أصيب بـه موضـعه وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلاّ وأنت تجد حذفـه هنـاك أحسـن مـن ذكره، وترى إضمار في النّفس أولى وآنس من النّطق به».[18]

فكلّ حذف في القرآن الكريم إنّما كان في الحالـة التـي ينبغـي أن يُحـذف فيهـا مطابقا لما تقتضيه البلاغـة في أعـلى درجاتهـا (وإذا كنـا نجـد في بعـض مواضـع الحذف، المحذوف مذكورا في آية مماثلة، فالحق أنّ المماثلة ليسـت مـن كـلّ وجـه وبشيء من التّدبر، نجد اختلافا بين الآيتين؛ مما يبرر الحذف هنا وهناك).[19]

فظاهرة الحذف شكّلت بوصفها صورة من صور البلاغة القرآنيّة، وسمة من سمات الله ﷻ إذ يتميّز القرآن الكريم بالتّركيز والتّكييف، والوصـول إلى جـوهر المعنى عبر القول الموجز والإشارة إليه، نستثني مـن ذلـك بعـض الآيـات التـي اقتضى البيان الإلهيّ أن تأتي بشكل مفصل، ولكنّه تفصيل لا يحمل التّركيب فوق ما يحمل المعنى ويقتضيه.

وفي هذه المبحث وانطلاقا ممّا تمّ تسـطيره في الجانـب النّظـري، سـنقف عـلى مواضع التي أشار إليها الأستاذ الـدّكتور أحمّـد صـافي المسـتغانمي[20]في سـورة النّمل[21]، من خلال برنامج في (رِحاب سورة) وسنقف على مظاهر الحذف التـي ذكرها الأستاذ، مع ذكر الغرض البلاغيّ الذي من أجله كان الحـذف وسـندعم ما ذهب إليه الأستاذ بأقوال تعضد قوله من كتب التّفسـير أو البلاغـة أو غيرهـا

وقد حاولنا أن نجتهد في وضع بعض الدّلالات التي لم يـذكرها الأسـتاذ وهـذا بالاطلاع على كتب التّفسير وغيرها.

(1) حذف الحرف:

سبق وأن ذكرنا في الجانب النّظري أنّ الحذف في العربيّة على أنـواع، وذكرنـا حذف الحرف بنوعيّه، وسنقف في هذا المطلب عـلى استخراج مـواطن الحـذف التي أشار إليها الأستاذ فيما يتعلق بالحرف، على ما جاء على لسـانه في برنـامج في رِحاب سورة النّمل.

1 –جاء في تفسير قولـه تعـالى:﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[22] على لسان الأستاذ قولـه: (جحـدوا بهـا، يجـوز في اللغـة العربيّـة جحد شيئا، فيتعدى الفعل مباشرة وقد يتعدى بالباء، فنقـول: جحـدوا بهـا، يعنـي بوجودها، جحدوا بإرسالها من الله، فهذا في اللغة العربيّة جائز، جحد بـــ أو جحـد مباشرة، والدّليل واستيقنتها أنفسهم، انعكس فهذه التّقنية، هنـا صرّح بالبـاء، وهنـا حذف الباء).[23] أشار الأستاذ في هذه الآية إلى وجود حذف حرف المعنى، المتمثّل في حرف الجر (بــ) في لفظة ﴿واسـتيقنتها﴾ إذ التّقـدير: واسـتيقنت بهـا، وقـد تفطـن الأستاذ لهذا الحذف بالفعل المعطوف عليه (جحد) الذي ذكر بأنّه تارة يتعدى بنفسه وتارة يتعدى بالباء، وفي حكمه المعطوف الفعل (استيقن) الذي تعدّى بنفسه، وهـذا ممّا تميّزت به العربيّة عن غيرها من اللغات الأخرى وقد أشار الأستاذ ضـمنا مـن أنّ دلالة هذا الحذف، سعة اللغة العربيّة في التّعبير حيث حذف في الفعـل الثّـاني مـا دل

الأوّل عليه، وهذا ما يدل على علو هذا القرآن على سائر الكلام، وممن أشار إلى هـذا الحذف الطّاهر بن عاشور حيث يقـول: (واسـتيقنتها بمعنـى أيّقنـت بهـا فحـذف حرف الجرّ وعدي الفعل إلى المجرور على التّوسع).[24]

2- جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [(25)] التّنصيص من الأستاذ على أنّ في الآية حذفا حيث يقول: (أنّ مؤكّدة ومصدريّة... وثمّة قراءات: وإذا وقع القول علـيهم أخرجنـا لهم دابة من الأرض تكلمهم إنّ النّـاس كـانوا، عـلى روايّـة ورش، وهـي جملـة استئنافيّة تؤكّد المضمون الآتي وتعلّـل، لمـاذا أخرجـت لهـم الدّابـة؟ فتقـول إنّ النّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وأنّ (بالفتح) تصب في نفس الغـرض، وإذا وقـع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم. تكلمهم بـأنّ النّـاس كـانوا بآياتنا لا يوقنون، والباء السّببية محذوفة، تفيد التّعليل أيضا».[26]

يعرض الأستاذ -في هذه الآية- قراءتين لــ حرف (أنّ)، فبعد أن بدأ بقراءة (إنّ) بالكسر، والتي تفيد أنّ الجملة مستأنفة، فتؤكد المضمون وتعلّله، دلـف إلى القراءة الأخرى (أنّ) بالفتح، وذكر من أنّها مسبوقة بباء السّببية المحذوف، التـي تفيد التّعليل أيضا، وممن ذهب إلى هذا الرّأي صاحب تفسير التّحرير والتّنوير.[27]

3-عنـد تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾[28] ذكـر الأستاذ أنّ: (ألق عصاك هذه معطوفة على البداية، (إذ التّقدير) أن بورك مـن في النّار، وأن ألق عصاك، لا يوجد (أن) قبل ألق عصـاك... ومـا بيـنهما اعـتراض

لتفخيم الموقف نودي أن بورك من في النّار، ونـودي أن ألـق عصـاك، فحـذفت (أنْ)؛ لأنّ القصّة بُنيت على الإيجاز).[29]

يُشير الأستاذ إلى أنّ في الآية حذفا لــ (أن) المعطوفة على أن بُورك المذكورة في أوّل الآية، إذ التّقـدير عـلى النّحـو التّـالي: (أن بـورك مـن في النّـار... وأن ألـق عصاك) والغرض من الحذف تفخيم الموقف، وكذا الإيجاز، وأيضا المقـام مقـام تكريم لموسى عليه السلام، كما عبّر عنه فاضل السّامرائي، حيث يقول: وقولـه: (وألـق عصاك) قول مباشر من ربّ العزة، وهو دال على التّكريم)[30] وأيضا للدّلالة على قرب المأّمور منه من الله عز وجل.[31] فهذه ثلاثة مواضـع ذكرهـا الأسـتاذ فـيما يخـصّ حذف الحرف، وكما نلاحظ فهي خاصّة بحروف المعنى، أمّا حروف المبنـى فلـم يتطرق إليها! وقد ذكر دلالة الحذف في موضع واحد فقط.

(2) **حذف الكلمة:** الكلمة إمّا المسند إليه أو المسـند أو الفضـلة، وسـنقف في هذا المطلب على استخراج مواطن الحذف التي أشار إليهـا الأسـتاذ فـيما يتعلّـق بالكلمة، على ما جاء على لسانه في برنامج: (**في رِحاب سورة**).

1 -ذكر الأستاذ الدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي في تفسير قوله تعـالى:﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[32] على أنّ في الآية حـذفا، حيـث يقـول: (المفسّــرون والنّحاة يقولون: في هذه القضيّة شيئان، تلك آيات القـرآن وكتـاب مبـين، هـي هدى وبشـرى، القرآن هو هدى وبشرى، خبر لمبتدإ محذوف).[33]

قدّر الأستاذ الرّفع في هذه الآية على إضمار مبتدإ (هدى)، إذ التّقدير: هي هدى وبشرى، ولم يذكر الغرض البلاغيّ من الحذف، وقد ذهب الألوسي إلى نفس هذا التّخريج، ولكن مع ذكر دلالة الحذف، حيث يقول: «خبر لمبتدإ محذوف أي: هي هدى وبشرى لِلْمُؤْمِنِينَ»[34]، وأمّا دلالة هذا الحذف فلإفادة العموم، وهو بمعنى الدّلالة والإرشاد، أي: هي هدى لجميع المكلفين وبشرى للمؤّمنين.[35]

2- ذكر الأستاذ في تفسير قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[36] بأنّ الآية مشتملة على حذف، حيث يقول: (فلمّا جاء الرّسولُ سليمان، وسليمان مفعول به).[37] يرى الأستاذ أنّ المسند إليه في الآية محذوف، وهو الفاعل، إذ قدّره بـ (الرّسول) أي رسول بلقيس، وقد دلّ عليه قول سليمان (ارجع) في الآية المواليّة، وهو ما ذهب إليه الفرّاء في معانيه[38] ولم يذكر الأستاذ دلالة الحذف ولعل المسوغ في حذف الفاعل، أنّه معلوم لدى السامع، وكذا قصدا للإيجاز.

3-جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[39] على لسان الأستاذ قوله: «إذ ظرفيّة، وأصلها وأذكر إذ... أو أذكر وقت أوحى الله».[40]

يرى الأستاذ أن (إذ) في الآية ظرف زمان، العامل فيها فعل محذوف قدّره بـ (أذكر)، ولم يذكر الأستاذ لماذا حُذف المسند، وقد ذهب إلى هذا الرّأي

الزّمخشري، حيث يقول: (إذ منصوب بمضمر، وهو: اذكر)[41] ودلالة حذف العامل في الآية للإيجاز، ولإعمال ذهن السّامع.

4-جاء على لسان الأستاذ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾[42] التّصريح بحذف الموصوف حيث يقول: (فمكث غير بعيد، فهي إمّا تُحمل على المكان أو على الزّمان، (فنقول) مكث زمانا غير بعيد، فكأنه مكث مكثا بسيطا أو قليلا... أو مكان غير بعيد منه، حتى يُخبره ذلك النبأ الذي جاء به).[43] فهنا ذكر الأستاذ أنّ غير بعيد نعت لموصوف محذوف، الذي يُحمل إمّا على ظرف المكان أو الزّمان، وكلاّ اللفظين عند الأستاذ مقبول، ولا تعارض بينهما ولم يذكر الأستاذ دلالة للحذف، وقد رجّح القرّاء حذف ظرف المكان[44] ورجّح الزّمخشري حذف ظرف الزّمان، حيث يقول: (غير بعيد غير زمان بعيدّ كقوله: (عن قريب) ووصف مكثه بقصر المدّة للدّلالة على إسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطّير مسخرا له).[45]

5-في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[46]، جاء على لسان الأستاذ التّصريح من أنّ الآية مشتملة على حذف، حيث يقول: (قالت لهم إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وهنا كلام محذوف، أي: إذا دخلوا قرية عنّوة وبشدّة وأثناء الحروب... فاستنبطت من التّاريخ بأنّ الحروب لا تأتي بخير... وهنا لا بد من تقدير الكلام وإلّا إنّ الملوك إذا دخلوا قرية يمكن يصلحونها فالكلام ليس عامّا، فثمّة من يُصلح ويبني

ويُعمّر، إذ ليس كلّ الملوك مقصودين هنا)[47] صرّح الأستاذ في هذه الآية إلى وجود حذف، المتمثّل في لفظة (عنّوة) وهذا لكي لا يُتوهم غير المراد من الآية فدلت لفظة (أفسدوها) على أنّ دخول الملوك إلى القرى عنّوة، سينجم عنه لا محالة إفساد، والأستاذ استنبط هذه الحذف من عند الزّمخشري، إذ يكاد كلامه موافقا لما قاله الزّمخشري، فقد جاء في الكشّاف ما نصه: (إنّ الملوك إذا دخلوا قريّة عنّوة وقهرا أفسدوها... وأذلوا أعزتها، وأهانوا أشرافها، وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثمّ قالت وكذلك يفعلون أرادت: وهذه عادتهم المستمرة الثّابتة التي لا تتغيّر)[48] ودلالة هذا الحذف الإيجاز، ولعلم المخاطب به.

6- جاء في تفسير قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾،[49] التّنصيص من الأستاذ على وجود حذف في الآية، حيث يقول: (... هذه جملة اسميّة قل أمري الحمد لله، أو حالي الحمد لله، مبتدأ وخبر، وجملة مقول القول في محل نصب مفعول به، ويجوز أن تكون لفظة سلام (في غير القرآن) مفعول مطلق لفعل محذوف، تقديره أسلم سلاما، وهنا لم يجب بالجملة الفعليّة وأجاب بالجملة الاسميّة؛ لأنّها أوكد وأدوم وأشمل).[50] يشير الدّكتور في هذه الآية إلى حذف المسند إليه (المبتدأ)، والذي فيه خلاف في تقديره: فإمّا (أمري) أو (حالي) وأجاب بالجملة الاسميّة؛ لأنّها تدل على الثّبوت والدّوام وكذا لأنّها أوكد وأشمل، ولم أجد في كتب التّفسير من أشار إلى هذا الحذف!

ذكر الأستاذ في حذف الكلمة، الثّلاثة أقسام، حذف المسند إليه وأشار إليه في ثلاثة مواضع، وأمّا حذف المسند فذكره في آية واحدة، أمّا الفضلة فذُكرت في موضعين، ولم يُشر في أغلبها إلى دلالة الحذف.

(3) **حذف الجملة:** بعد أن ذكرنا في المبحثين السّابقين كلا من حذف الحرف والكلمة، ها نحن نعرض مواطن حذف شبه الجملة والجملة بكلّ أنواعها، التي جاءت على لسان الأستاذ أمحمّد صافي المستغانمي.

1 -جاء في تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾[51] قول الدّكتور: (فلمّا رآها تهتز، هذه الفاء العاطفة الفصيحة، (إذ التّقدير): وألق عصاك، فألقاها، فاهتزت، فلمّا رآها تهتز كأنّها جان، وإلّا لا يستقيم الكلام: ألق عصاك فلما رآها)![52]

يشير الأستاذ في هذه الآية إلى وجود جملتين فعليتين محذوفتين، هما: (فألقاها) و(فاهتزت)، إذ لولا هذا الحذف ما استقام المعنى، فدلنا بالقرينة العقليّة على وجود حذف، ودلالة هذا الحذف الإيجاز، وللعلم به عند السّامع وكذا للدّلالة على السّرعة في الاستجابة، وقد ذهب إلى هذا الرّأي الألوسيّ حيث يقول: (والفاء في قوله تعالى: فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت، ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كأنّه قيل: فألقاها فانقلبت حيّة فلما أبصرها تتحرك بشدّة اضطرب).[53]

2- ذكر الأستاذ في تفسير قوله تعالى: «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ»[54]، أنّ في الآية حذفا، إذ تقدير الكلام: (ألق عصاك، وأدخل يدك في جيبك، في تسع آيات، كأنّه يقول: اِذهب إلى فرعون مرسلا بهاتين المعجزتين، ضمن تسع آيات فثمّة كلام محذوف يفهمه الذي يتدبر).[55]

يشير الدّكتور في هذه الآية إلى وجود جملة محذوفة، وهي: (اذهب إلى فرعون مرسلا بهاتين المعجزتين) وقد دلّنا على هذا الحذف السّياق، ودلالة هذا الحذف إعمال ذهن القارئ بالتّدبر في هاتين المعجزتين، وذلك من خلال الكلام السّابق واللاحق، وقد أشار إلى هذا الحذف الألوسيّ، حيث يقول: «قوله تعالى:(إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وعلى ما تقدم يتعلق بمحذوف وقع حالا أي مبعوثا أو مرسلا إلى فرعون).[56]

3-وذكر الأستاذ في قوله تعالى: «وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ»[57] حذفا آخر، حيث يقول: (أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء، أصلها: أدخل يدك تدخل وأخرجها تخرج، وهذا ما يُسمى الاحتباك).[58] [59].

ذكر الأستاذ في هذه الآية حذف الجملة الفعليّة المتكوّنة من الفعل والفاعل (تدخل)، وقد حُذفت لدلالة السّياق عليها، أي الحال، أو ما يُسميه الأستاذ بالاحتباك، وهذه العبارة التي ذكرها الأستاذ أشار إليها أكثر من واحد، ومنهم: أبو حيان الأندلسيّ، حيث يقول: (في الكلام حذف تقديره: وأدخل يدك في

جيبك تدخل، وأخرجها تخرج، فحذف من الأوّل ما أثّبت مقابله في الثّاني، ومن الثّاني ما أثّبت مقابله في الأوّل).[60] وهذا الحذف من بلاغة العربيّة، ومن شدّة إيجازها، إذ يرى فاضل السّامرائي أنّ قصّة موسىّ ﵇، ذكرت في سورة النّمل موجزة ومجملة، مقارنة بسورة القصص.[61]

4- ذكر الأستاذ الدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ»[62] على أنّ الآية تشمل على حذف حيث يقول: «هنا كلام مطويُ، كأنّه يقول: «ولقد آتينا دود وسليمان علما فعملا به، وعلّماه ونشراه وشكرا الله وقالا الحمد لله»[63]، ثمّ قال: «لأنّه لو قال آتيناهما علما فقالا، معناه فقط هذا الشّكر كان للعلم! لذا فثمّة كلام محذوف، ففي الإتيان بالواو هنا لربط بلاغة أكثر».[64]

يشير الأستاذ على أنّ الآية تشمل على حذف أربع جمل فعليّة، وهي الجملة عملا به، وعلّماه، ونشراه، وشكرا الله، وقد كان الأستاذ دقيقا في ترتيب هذه الجمل الفعليّة، إذ تأتي متتابعة في الاعتبار، فيُبدأ بالعلم ثمّ العمل ثمّ النّشر أو الدّعوة إليه، ثمّ الصّبر والشّكر، وقد بيّن أنّ الحذف هنا فيه بلاغة أكثر، وقد أشار إلى هذا المعنى الزّمخشري، حيث يقول: كأنّه قال: (ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النّعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا)[65] ويكثر هذا النّوع من الحذف في القصص القرآني؛ لفرض الإيجاز، والقرآن معجز بألفاظه ومعانيه.

5-ذكر الأستاذ في أثناء تفسيره لقوله تعالى: «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ»[66] أنّ الآية تشمل على قسم محذوف، إذ يقول: (... فوعده وعدا أو أوعده وعيدا، لَأُعذبنّه، واللام في لأُعذبنّه لام توكيد الموطئة لقسم محذوف (إذ التّقدير): والله لَأُعذبنّه).[67] في الآية حذف متمثّل في القسم (والله)، ولم يذكر الأستاذ دلالة هذا الحذف، ولعله لعلم السّامع به، وكذا زيادة في التّوكيد، إذ اللام في قوله (لَأُعذبنه) دالة على القسم المحذوف، وقد أشار الزّمخشري إلى هذا الحذف في تفسيره.[68]

6-جاء في تفسير قوله تعالى: «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ»[69] التّنصيص من الأستاذ على أنّ في الآية حذفا، إذ يقول: (لمّا بدأت تقرأ الرّسالة، قبل ذلك فيه كلام محذوف كثير، فذهب الهدهد، وقطع الصّحاري، ووصل إلى قصرها، ووجدها نائمة كما يقولون! وألقى إليها الكتاب، ثمّ قرأت الكتاب، ثمّ جلس، ثمّ تكلمت... وهذا الاقتطاع لإفادة السّرعة).[70] يشير الأستاذ في هذه الآية إلى حذف عدّة جمل، حيث طويت أخبار كثيرة دلّ عليها ما بين الخبرين المذكورين من اقتضاء عدة أحداث، وكلّ الجمل المحذوفة فعليّة، وذكر دلالة هذا الحذف؛ من أنّه لإفادة السّرعة في التّنفيذ، وقد أشار إلى هذا الحذف الزّمخشري،[71] يُضاف إلى ذلك أنّه ليس للنّص غرض من ذكرها، فهذه المعاني تُفهم بالقرينة العقليّة.

7-وجاء في تفسير الآية السّابقة في قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ»[72]، القول بأنّ في آخر الآية حذفا، حيث يقول: (يجعلون الأعزة أذلة، وكذلك يفعلون في المستقبل، وإنّي لا أنصحكم بهذا الرّأي، وأعطتهم رسالة أخرى مبطنة جميلة واستفادت من التّاريخ وما أحوجنا أن نقرأ التّاريخ).[73] يشير الأستاذ في الآية إلى حذف شبه الجملة (في المستقبل) بعد الفعل (يفعلون)، وهذا انطلاقا من معرفتها بالتّاريخ، ولم يشر الأستاذ إلى دلالة هذا الحذف، والأقرب في أنّه للإيجاز وللقرينة الحاليّة التي تدل عليه، ولم أجد من أشار إلى هذا الحذف غيرُه!

8-وذكر في تفسير الآية السّابقة في قوله تعالى: «بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ»،[74] التّنصيص على وجود حذف بقوله: (بل أنتم بهديتكم تفرحون لا أنا... وهذا أسلوب قصر عجيب، (فالتّقدير): بل أنتم بهديتكم تفرحون لا نحن، وتقديم المسند إليه في العربيّة يفيد الحصر والقصر).[75] في هذا الآية أشار الأستاذ إلى وجود حصر وقصر، الذي نتج عنه حذف حرف الاستثناء مع المستثنى، ولم يذكر دلالة هذا الحذف، وإلى هذا الحذف أشار الألوسيّ، وذكر أنّه للدّلالة على شدّة التّوبيخ لهم.[76]

9-ذكر الأستاذ في تفسير قوله تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ»[77]حذفا في الآية بقوله: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السّوء، يكشف المرض، يكشف البؤّس، يكشف الشّقاء عن المسوء، فهنا حذف جميل: أمن يجيب المضّطر إذا

دعاه، ويكشف السّوء عن المسوء إذا أصابه السّوء)،[78] وقال في موضع آخر: (ترك هذه الجملة للذّكاء والتّدبر البشريّ، فيفهم من السّياق، وكلّ ما يُفهم من السّياق وبالذّكاء البشريّ لا يُذكر).[79] يشير الدّكتور في هذه الآية إلى حذف ثلاث جمل فعليّة، ودلالة هذا الحذف إشغال ذهن السّامع للتّدبر في النّص القرآنيّ، ولم أجد من أشار إلى هذا الحذف في كتب المتقدمين.

10 -نبّه الأستاذ في تفسير قوله تعالى: «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»،[80] على وجود حذف في الآية حيث يقول: (مبصرا ليبصروا فيه، عدل عن ليسكنوا فيه إلى مبصرا، وهذا يُسمى الاحتباك، وأصل الكلام: جعلنا الليل مظلما؛ ليسكنوا فيه، وجعلنا النّهار مبصرا؛ لينتشروا فيه، فذكر في الأوّل ما حذف في الثّاني، وذكر في الثّاني ما حذف في الأوّل، وهذا الاحتباك، وهو شدّة الإيجاز في الجملة اللغويّة القرآنيّة).[81] سبق وأن ذكرنا في موضع سابق ظاهرة الاحتباك في الجملة العربيّة، وهو أن يُحذف من الجملة الأولى ما هو موجود في الثّانية، وأن يُحذف من الثّانية ما يوجد في الأولى، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور،[82] وأمّا دلالة هذا الحذف فللإيجاز، وهذه الظّاهرة –وهي الاحتباك- من إبداعات القرآن وعناصر إعجازه. فهذه عشرة مواضع أشار الأستاذ المستغانمي إلى وقوع حذف الجمل فيها، وقد ذكر دلالة الحذف مصرحا بها أو مشيرا لها في خمسة مواضع، وأحجم عن الخمسة الباقيّة.

الخاتمة: بعوّن الله وتوفّيقه توصلنا في نهاية هذا البحث إلى النّتائج الآتية:

-تبيّن أنّ دلالة مصطلح الحذف من النّاحية اللغويّة تتضمّن معاني الإسقاط والقطع والتّسوية، والتي تتآزر مع دلالته الاصطلاحيّة؛ ممّا يُؤكّد أصالته في الكلام العربيّ؛

-معظم النّحاة واللغويين يتّفقون على أنّ الأصل في الكلام هو الذّكر، ولا يكون حذف شيء منه إلاّ بدليل؛

-لا يكون الحذف عشوائيا، وإنّما يتقيّد بشروط وأدلة؛

-الحذف ظاهرة لغويّة، وضرب من ضروب الإيجاز، حيث لا يُمكن إلغاؤه ذلك أنّ القرآن يعتمد في فهم بعض آياته على تقدير المحذوفات؛

-كشف البحث أنّ الحذف في القرآن متنوّع الأصناف، فهناك حذف الحرف والكلمة والجملة، وأيضا متنوّع الدّلالة، وأغلبه يدور في فلك الإيجاز الذي لا ينفك عنه ألبتة؛

-قد نجد اختلافا في ذكر دلالة الحذف، وهذا راجع بالدّرجة الأولى إلى اجتهاد المفسر؛

-بُنيت سورة النّمل على الإيجاز، وهذا ما رأيناه في قصّة موسى عليه السلام مقارنة بباقي السّور التي ذُكرت فيها قصّة موسى عليه السلام؛

-لم يُصرّح الأستاذ في أغلب المواضع بدلالة الحذف؛

-بلغ مجموع مواطن الحذف في هذه السّورة تسعة عشر موطنا، ثلاث منها في الحرف، وستّة في الكلمة، وعشرة في الجمل؛

-قد يشوب عبارات الأستاذ بعض الغموض! وهذا لأنّنا استقينا مادته من خلال قوله، لا عن طريق الكتابة؛

- تُعتبر تفاسير الكشاف للزّمخشري، وروح المعاني للألوسيّ، والتّحرير والتّنوير لابن عاشور هي المصادر الأساسي للأستاذ أمحمّد صافي المستغانمي، في عرض مادته.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، روايّة حفص عن عاصم.

1- البحر المحيط في التّفسير: أبو حيان الأندلسيّ، تحقيق: صدقي محمّد جميل دار الفكّر، بيروت، الطّبعة 1420 هـ.

2- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدّين محمّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الأولى، 1376 هـ/ 1957م، دار المعرفة، بيروت.

3- برنامج (في رِحاب سورة)، حقوق البثّ لدى قناة الشّارقة الفضائيّة.

4- البلاغة العربيّة، مقدّمات وتطبيقات: بن عيسى باطاهر، دار الكتب الجديدة المتّحدة، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2008م.

5- التّحرير والتّنوير: محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسية للنّشر، تونس 1984هـ.

6- جماليّات الحذف وترك الجواب في ديوان ملحمة القدس: علي يوسف اليعقوبي، رسالة دكتوراه، الجامعة العربيّة، غزة.

7- الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السّامرائي، دار ابن حزم بيروت، الطّبعة الثّانية، 2000م.

8- الحذف البلاغيّ في القرآن: مصطفى عبد السّلام، مكتبة القرآن، القاهرة.

9- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة الرّابعة.

10-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، الطّبعة الثّالثة، 1413هـ/ 1992م.

11-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت الطّبعة الأولى، 1415هـ.

12-ظاهرة الحذف في الدّرس اللغويّ: طاهر سليمان حمودة، الدّار الجامعة المملكة العربيّة السّعودية، 2000م.

13-علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النّهضة، بيروت، الطّبعة الأولى 1430هـ/ 2009م.

14- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، الطّبعة الثّالثة، 1408هـ/ 1988م.

15-الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزّمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1407هـ.

16-لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل: فاضل صالح السّامرائي، دار عمّار بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1423هـ/ 2003م.

17-المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، الطّبعة الثّانية، 2010م.

18-معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النّجاتي ومحمّد علي النّجار وعبد الفتاح إسماعيل الشّلبي، دار المصريّة للتّأليف والتّرجمة مصر، الطّبعة الأولى.

19- معجم العين: أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الهوامش:

[1]- معجم العين: أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج3، ص201.

[2]- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدّين محمّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الأولى، 1376هـ/ 1957م، دار المعرفة، بيروت، ج3، ص102.

[3]- البلاغة العربيّة، مقدّمات وتطبيقات: بن عيسى باطاهر، دار الكتب الجديدة المتّحدة، بيروت الطّبعة الثّانية، 2008م، ص121.

[4]- يُنظر: ظاهرة الحذف في الدّرس اللغويّ: طاهر سليمان حمودة، الدّار الجامعة، المملكة العربيّة السّعودية، 2000م، ص19.

[5] - ظاهرة الحذف في الدّرس اللغويّ: طاهر سليمان حمودة، ص20.

[6]- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، الطّبعة الثّالثة، 1408هـ/ 1988م، ج1، ص24-25.

[7] - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، الطّبعة الثّالثة، 1413هـ/ 1992م، ج1، ص152.

[8]- جماليّات الحذف وترك الجواب في ديوان ملحمة القدس: علي يوسف اليعقوبي، رسالة دكتوراه الجامعة العربيّة، غزة، ص102.

[9] - يُنظر: المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، الطّبعة الثّانية، 2010م، ص106.

[10]- المرجع نفسه، ص106.

[11] - الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السّامرائي، دار ابن حزم، بيروت، الطّبعة الثّانية 2000م، ص95.

[12]– الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، الهيّأة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة الرّابعة، ج2 ص281.

[13] – المرجع نفسه، ج2، ص282.

[14] – سورة الكهف: الآية 97.

[15]– يُنظر: الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزّمخشري جار الله،، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1407هـ، ج2، ص748.

[16] – سورة الحجرات، الآية 17.

[17]– يُنظر: علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النّهضة، بيروت، الطّبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م ص122.

[18]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، ج1، ص152.

[19] – الحذف البلاغيّ في القرآن: مصطفى عبد السّلام، مكتبة القرآن، القاهرة، ص4.

[20]– لم أقف على ترجمة كاملة له، سوى أنّه الأمين العامّ لمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة، وله عدّة مؤلّفات، منها: منها: بلاغة النّظم في لغة الجسم في القرآن الكريم، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور، كيف تصبح فصيح اللسان... إلخ.

[21] –سورة النّمل هي سورة مكيّة، تحتل الرّقم السّابع والعشرين حسب التّرتيب المصحفيّ العثمانيّ عدد آياتها ثلاث وتسعون آية، نزلت بعد الشّعراء، عالجت أصول الدّين من التّوحيد والرّسالة والبعث، وسًميت بالنّمل، لأنّ الله تعالى ذكر فيها حديث النّملة وكلامها.

[22]– سورة النّمل، الآية 14.

[23]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الرّابع، الدّقيقة: 16:16إلى 16:46.

[24]– التّحرير والتّنوير: محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، 1984هـ، ج19 ص232.

[25]– سورة النّمل، الآية 82.

[26] – برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء العاشر، 36:35إلى 37:35.

[27] - يُنظر: التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ج20، ص39.

[28] – سورة النّمل، الآية 10.

[29]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الثّالث، الدّقيقة: 07: 37 إلى 33: 37.

[30]– لمسات بيانية في نصوص من التّنزيل: فاضل صالح السّامرائي، دار عمار، بيروت، الطّبعة الثّالثة 1423هـ/ 2003م، ص108.

[31] – المرجع نفسه، ص109.

[32] – سورة النّمل، الآية 2.

[33]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الثّاني، الدّقيقة: 34:57 إلى 35:15.

[34]– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسيّ، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى، 1415هـ ج10، ص153.

[35] – يُنظر: المرجع نفسه، ج10، ص153.

[36] – سورة النّمل، الآية 36.

[37] – برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء السّادس، الدّقيقة: 20:15إلى 20:20.

[38]– يُنظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النّجاتي ومحمّد علي النّجار وعبد الفتاح إسماعيل الشّلبي، دار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، مصر، الطّبعة الأولى، ج2 ص293.

[39]– سورة النّمل، الآية 7.

[40]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الثّالث، الدّقيقة: 10:52إلى 11:04.

[41]– الكشاف، الزّمخشري، ج3، ص349.

[42] – سورة النّمل، الآية 22.

[43]- برنامج (في رِحاب سورة النّمل): الجزء الخامس، الدّقيقة: 21:32 إلى 21:55.

[44]- يُنظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص289.

[45]- الكشاف، الزّمخشـري، ج3، ص359.

[46]- سورة النّمل، الآية 34.

[47]- برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء السّادس، الدّقيقة: 16:05إلى 16:45.

[48]- الكشاف، الزّمخشري، ج3، ص365.

[49]- سورة النّمل، الآية 59.

[50]- برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الثّامن، الدّقيقة: 27:21 إلى 27:58.

[51]- سورة النّمل، الآية 10.

[52]- برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الثّالث، الدّقيقة: 45: 40 إلى 10: 41.

[53]- روح المعانيّ، الألوسي، ج10، ص159.

[54]- سورة النّمل، الآية 12.

[55]- برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الرّابع، الدّقيقة: 7:58 إلى 16: 8.

[56]- روح المعانيّ، الألوسي، ج10، ص163.

[57]- سورة النّمل، الآية 12.

[58]- وقد عرّفه الأستاذ أمحمّد صافي المستغانمي بقوله: «هو أن يُحذف من الجملة الأولى ما هو موجود في الثّانية، وأن يُحذف من الثّانية ما يوجد في الأولى». برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الرّابع الدّقيقة8:45إلى 8:54.

[59]- برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الرّابع، الدّقيقة: 8:31إلى 8:40.

[60]- البحر المحيط في التّفسير: أبو حيان الأندلسيّ، تحقيق: صدقي محمّد جميل، دار الفكّر، بيروت الطّبعة 1420هـ، ج8، ص215.

[61]- يُنظر: لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل: فاضل صالح السّامرائي، ص92.

[62] – سورة النّمل، الآية 15.

[63] – برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الرّابع، الدّقيقة: 28:30 إلى 28:44.

[64]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الرّابع، الدّقيقة: 47 :28 إلى 56 :28.

[65]– الكشاف: الزّمخشـري، ج3، ص352.

[66] – سورة النّمل، الآية 21.

[67] – برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الخامس، الدّقيقة: 13:21 إلى 13:34.

[68] – الكشاف، الزّمخشري، ج3، ص358.

[69] – سورة النّمل، الآية 28.

[70] – برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء السّادس، الدّقيقة: 4:20 إلى4:50.

[71] – يُنظر: الكشاف، الزمخشـري، ج3، ص364.

[72] – سورة النّمل، الآية 34.

[73]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء السّادس، الدّقيقة: 17:12إلى 17:26.

[74]– سورة النّمل، الآية 36.

[75]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء السّادس، الدّقيقة: 21:28إلى 21:46.

[76] روح المعانيّ، الألوسي، ج10، ص195.

[77] – سورة النّمل، الآية 62.

[78]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الثّامن، الدّقيقة: 47:30إلى 47:48.

[79]– برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء التّاسع، الدّقيقة 13:20 إلى 13:30.

[80]– سورة النّمل، الآية 86.

[81] – برنامج (في رِحاب سورة النّمل)، الجزء الحادي عشر، الدّقيقة: 10:10 إلى 10:46.

[82]– التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، ج20، ص45.

مَجَالِسُ تَدَارُسِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَتَطْبِيقَاتُهَا الْعَمَلِيَّةُ عِنْدَ الشَّيْخِ أَمْحَمَّد صَافِي الْمُسْتَغَانِمِيِّ

- مِنْ خِلَال بَرْنَامَجِ فِي رِحَابِ سُورَةٍ-

د. عبد الرّحيم بوقطه

إمام أستاذ رئيسيّ بولايّة ورگلة

مقدمة: الحمد لله الذي نزَّل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا ، والصَّلاة على من بعثه ربه هاديًا ومبشّرًا ونذيرًا وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا أمَّا بعد:

فإنَّ الله شرَّف القرآن العظيم وجعله من كلامه الذي هو من صفاته العُلا وشرَّفه فجعله في كتاب مكنون في اللَّوح المحفوظ؛ وشرَّفه فجعله ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: 13 -16 وهم الملائكة كتبةٌ ينسخونها من اللَّوح المحفوظ؛[1] وشرَّفه فأنزله من اللَّوح المحفوظ إلي بيت العزة في السّماء الدُّنيا واختار له أشرف رسله من الملائكة وهو جبريل عليه السلام فأنزله على أشرف أنبيائه ورُسُله وهو سيدنا محّمد ﷺ وعلى أشرف عضو في جسده الشَّريف وهو قلبه ﷺ بأشرف لغة وهي اللُّغة العربيَّة؛ واختار له شرف المكان وهو مكةُ المكرَّمة، وشرف الزَّمان فأنزله في شهر رمضان وفي أشرف لياليه وهي ليلة القدر.

فالقرآن الكريم نعمة عُظمى ومنّة كُبرى امتن الله بها على هذه الأمّة، اصطفاه لها واصطفاها له ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:57]؛ قال ابن عباس ﷺ وجماعة من السَّلف (فَضْلُ الله) الإسلام (ورحمته)القرآن. [2] والعمل بالقرآن شرف لا يدانيه شرف ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾[الزُّخرُف:44].

وإنَّ حاجـة العَـالَمَ أجمـع إلى نـور القـرآن وهديّـه لا تفوقهـا حاجـة، وضرورة الاسترشاد بمنهجه فوق كلّ الضّرورات؛ ومن هنا تأتي أهميّة العمل العلمـيّ الجـاد لتقديم منهج القرآن وهديّه بما يحقّق سعادة هذا العالم وأمنه وتقدّمه. [3]

فسبحان من سـلكه ينـابيع في القلـوب؛ وصرفـه بأبـدع معنـى وأبلـغ أسـلوب فالسَّعيد من صرف همّته إليه؛ ووقـف فِكْـرَهُ وعزمـه عليـه؛ والموفّـق مـن وفّقـه الله لتدبره؛ واصطفاه للتّذكير بـه وتـذكره؛ فهـو يرتـع منـه في ريـاض؛ ويكـرع منـه في حياض.

أنـدى عـلى الأكبـاد مـن قطـر النَّـدى   وألـــذ في الأجفـــان مـــن سِـــنَةِ

يملأ القلوب بشراً؛ ويبعث القرائح عبيراً ونشراً؛ يُحيي القلـوب بـأوراده؛ ولهـذا سمَّاه الله روحاً فقال:

﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾[غافر:15] ؛ فسماه روحاً لأنَّـه يـؤدي إلى حياة الأبد؛ ولولا الرُّوح لمات الجسد؛ فجعـل هـذا الـرَّوح سـببا للاقتـدار؛ وَعَلَـمًا

للاعتبار.[5] وأولى الأولويات وأعظم الضّرورات بيان دور القرآن في التَّزكية وأثره الفاعل في الإصلاح. من المقطوع به عند الموافقين، والمنصف من المخالفين أنّ القرآن الكريم قام بأكبر تغيّير شهدته البشريّة وأنَّ سيدنا محمدًا ﷺ قَادَ أعظم عمليَّة إصلاح عرفها التّاريخ قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة:2] فهذه وظيفته ﷺ ملخصة في تلاوة الآيات وتعليم السّنة والكتاب، وتطهيرهم وتربيتهم على التَّوحيد والعبادة ومحاسن الأخلاق.

وتتجلى هدايات القرآن الكريم في تَدَارُسِهِ انطلاقا من قول النَّبي ﷺ: ﴿ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلاّ نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم الرّحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده﴾[6] فتَدَارُسُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ يُحَقِّقُ تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا لِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ فِي تَعَلُّمِ وَتَعْلِيم كِتَابِ الله تَعَالَى.

ومُدارسة القرآن الكريم عِبَارَةٌ عَنْ مشروع قرآنيّ علميّ يهدف إلى إِنْشَاءِ مَجَالِسَ ثَابِتَةٍ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَدارس القرآنيّة ووسائل الإعلام وغيرها لنَشْرِ ثَقَافَةِ مَجَالِسِ التَّدَارُسِ للقرآن الكريم بَيْنَ النَّاسِ؛ والتّدارس يُجَدِّدُ فِي الْأُمَّةِ هَذَا الْمَنْهَجَ الرَّبَانِيَّ وَيَقُودُ النَّاسَ إِلَى تَرْجَمَةِ هَدْيِ الْقُرآنِ وَتَعَالِيمِهِ فِي حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ.

المبحث الأول: مفهوم تدارس القرآن الكريم وأدلته.

المطلب الأوّل: تعريف التَّدارس والفرق بينه وبين التَّفسير والتَّدبر.

أوّلا: تعريف التَّدارس:

أ: في اللغة : (تَدَارَسَ) جاءت بصيغة (تفاعل) ومنه قوله تعالى:﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ [الأنعام:105] .

قرأ ابن كثير[7] وأبو عمرو[8] (دَارَسْتَ) بِأَلْفٍ بَعْدَ الدَّال؛[9] أراد قارأت وذاكرت غيرك فاستفدت.[10]

وتدارس الكتاب درسه وتعهده بالقراءة والحفظ لئلا ينساه و تدارس الطّلبة الكتاب درسه كلّ منهم على الآخر؛[11] وهذا يبين أنَّ التّدارس بين اثنين فأكثر.

وتأتي بمعنى كثرة القراءة والنَّظر وبمعنى التَّرويض والتّذليل: جاء في اللِّسان: الدُّرْسَةُ الرِّياضَةُ، وَمِنْهُ دَرَسْتُ السّورةَ أَي حَفظتها؛ وَيُقَالُ: سُمِّيَ إِدْرِيس عليه السلام لِكَثْرَةِ دِراسَتِه كتابَ اللَّهَّ تَعَالَى، ودَرَسْتُ الصَّعْبَ حَتَّى رُضْتُه.[12]

والـمُدَارَسةُ مُفَاعَلَةٌ من (دَارَسَ) ومن المتقرّر في علم الصَّرف أنَّه إذا كان الفعل على وزن فاعَلَ جاء مصدره على وزن فِعَال أو مُفَاعلة نحو: شَارَكَ مُشاركة، دَارَسَ مُدَارَسَةً. تقول دَارَسْتُهُ الكتاب مُدَارَسَةً وتدارسوه حتى حفظوه؛[13] ومنه قول الشَّاعر :

فـلا تصـحب سِـوى الأخيـار واصرف

حياتـك في مدارسـة العلـوم.[14]

ب: تعريف التَّدارس في الاصطلاح: من خلال المعنى اللغويّ نجد أن لفظ التّدارس يشتمل على عدّة أمور:

أوّلا: القراءة : بعرض أحد المتدارسين قراءته على الآخر.

ثانيا: النَّظر في الآيات مرَّة بعد مرَّة: بتداول الحديث والنّقاش لاستخلاص الدّلالات والهدايات .

ثالثا: ترويضُ النَّفس بأخلاق القرآن وآدابه وتزكيتُها وتطهيرُها من الجهل والطّباع السّيئة.

وعليه يكون المعنى الاصطلاحي للتَّدارس هو: تناول آيات القرآن من مجموعة من المُتدارسين، لتصحيح القراءة، والنَّظر والتّأمل في الآيات وتحليلها، باستخراج ما تضمّنته من المعانيّ والدّلالات والهدايات، وترويض النّفس وتزكيّتها بهدايات القرآن وأخلاقه.[15]

ثانيا: الفرق بين التَّدارس والتَّفسير والتَّدبر: يُعرّف التّفسير بأنّه: من الفَسْرِ وهو: الكشف والبيان؛[16] ولذلك سمي بيان كتاب الله تفسيراً؛ لأنّه شرحُ القرآنِ وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّه أو إشارَتِهِ؛[17] فالتَّفسير يكشف اللثام عن معاني القرآن الكريم اللغويّة والشّرعية باستعمال قواعد التَّفسير المعروفة عند أهله.

أمَّا التَّدبر فهو: النّظر إلى دُبُرِ الشّيء، أي التّأمل في دَوَابِرِ الأمور المتوقّعة، بمعنى النَّظر إلى عاقبتها، وما يمكن أن تؤول إليه؛[18] فهو عمل قلبي شخصيّ، ونظر نفسيّ واتعاظ بالمعنى واعتبار به.[19]

والتَّدارس يجمع التّفسير والمدارسة ويزيد عليهما بتصحيح التّلاوة وترويض النّفس على التّزكية والعمل؛ وهو عبادة جَماعيّة فيجتمع قوم ممن عرفوا المعنى والتّفسير أو يُعَلِّمُ بعضهم بعضا؛ وهو تبادل للاستنباط والفوائد وأمَّا التّفسير والتّدبر فهما عبادة فرديّة.

المطلب الثاني: أدلة التدارس من الكتاب والسنة.

الدّليل من القرآن الكريم: قال الله تعالى﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾[آل عمران:79].

جاء في أنوار التّنزيل:﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ والرّباني منسوب إلى الرَّب بزيادة الألف والنّون كاللحياني والرّقباني وهو الكامل في العلم والعمل ؛ ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ بسبب كوّنكم معلمين الكتاب وبسبب كوّنكم دارسين له فإنَّ فائدة التّعليم والتّعلم معرفة الحقّ والخير للاعتقاد والعمل، وقرئ «تَدْرُسُونَ» من التَّدريس وتدرسون من أدرس بمعنى دَرَّسَ كأكرم وكرَّم، ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على النّاس.[20]

وجاء في تيسير الكريم الرّحمن: (يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للنّاس ومربين لهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتّعليم التي هي مدار السّعادة.[21] ومن محاسن تأّويل قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾: أي بسبب مثابرتكم على تعليم النّاس الكتاب ودراسته، أي قراءته؛ فإنّ ذلك يجركم إلى الله تعالى بالإخلاص في

عبادته.[22] فهذه الآية تدل على مشروعيّة تدارس القرآن ومجالسه من وجوه :

أوَّلا: الآية دالة على صفات معلّم المجالس بكوّنه ربَّانياً، وهو القدّوة الذي يجمع بين العلم والعمل، **ثانيا**: في الآية فضل من يُعَلِّمُ القرآن، في وصفه بالرَّبانية. **ثالثا**: الآية جمعت بين التَّعليم وهو ما يبينه المعلِّم مما يحتاج إلى بيان كتعليم القراءة وهذا يستلزم وجود مجلس يجتمعون فيه، والتَّدريس يدخل فيها وراء ذلك مما فيه من فقه وتربيّة وتزكيّة.[23]

الدَّليل من السّنَّة النّبويّة وآثار السَّلف الصّالح:

أوّلا: الدَّليل من السّنة النّبوية: أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلاّ نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم الرّحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده﴾.[24]

فقوله: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى: أي مسجد؛ وأُلحق به نحو مَدْرَسَةٍ وَرِبَاطٍ (يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم) أي يشتركون في قراءة بعضهم على بعض و يتعهدونه خوف النّسيان ﴿إلاّ نزلت عليهم السّكينة﴾ فَعِيلَةٌ من السّكون للمبالغة والمراد هنا الوقار أو الرّحمة أو الطّمأنينة ﴿وغشيتهم الرّحمة وحفتهم الملائكة﴾ أي أحاطت بهم ملائكة الرَّحمة ﴿وذكرهم الله﴾ أثنى عليهم أو أثابهم (فيمن عنده) من الأنبياء وكرام الملائكة.[25] وقوله: (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم) يعني: يَقرءُون كتاب الله، سواءٌ كانت هذه القراءة بأن يقوم شخص ويقرأ

ويفسر أو غيرُه يفسر، أم أنّهم يجتمعون بحيث يقرأ واحـد مـنهم مقـداراً مـن القـرآن ويستمع الباقون، ويكون هناك شخص يُصوب قراءته ويبين ما عليه مـن ملاحظـات كلّ ذلك يدخل تحت التّدارس، وكذلك تأملُ ومعرفةُ وتدبرُ ما فيه.[26]

فيتدارسونه شـامل لجميـع مـا يتعلـق بـالقرآن مـن الـتَّعلم والتّعليـم والتّفسـير والاستكشاف عن دقائق معانيه.[27]

فالحديث من أدلِّ الأدلة وأصرحِها على مجالس تدارس القرآن الكريم؛ ولـذا فهـو العمدة في المجالس وقد تضمّن هذا الحديث أعمالاً أربعة، ورتب عليها أربعـة أجـور: فأمَّا الأعمال فهي :اجتماع، وفي بيت من بيوت الله ، وتلاوة القرآن، وتدارس الآيات.

أمَّا الأجور فهي : نزول السّكينة، وغشيان الرّحمة، وحضور الملائكـة ، وذكـر الله تعالى للمتدارسين في الملأ الأعلى وهذا يدل على أنَّ الجزاء من جنس العمل.[28]

دلالات ألفاظ الحديث:

(**ما اجتمع**): يدل على مشروعيّة الاجتماع لتدارس القرآن، وأفضله التَّحلق فهـو يورّث الألفة.

(**قوم**): يدل على أنّ المجالس موجهة لعامَّة النّاس؛ ويـدخل فيهـا كـلّ الفئـات.

(**في بيت من بيوت الله**): يدلُّ على أنّ المساجد أفضل الأماكن للمدارسة لما فيهـا مـن صفاء الذّهن وحضور القلب وذكر بيوت الله هنا لا يفيـد الحصـــر وإنَّـما الأفضـليّة ودليله ما جاء في الرّواية الأخرى(ما اجتمع قوم يتلون كتـاب الله) ولـذلك تشـــرع في أماكن العلم والمعاهد ودور القرآن والأُسَرِ في البيوت.[29]

(**يتلون**): تدل على مشروعيّة ابتداء المجلس بالتّلاوة والغرض منها تصحيح قراءة الحاضرين، كما أنّها تهيئ النّفوس للتّدارس، ولذلك عبر بالتّلاوة دون القراءة مما ينبغي أن تكون التّلاوة بترتيل وخشوع يبعث على حضور القلب وتهيئته. (ويتدارسونه): تدل على تفاعل أعضاء المجلس كلّهم بتدبرهم ومشاركتهم بحسب علومهم.[30]

أخرج البخاري عن ابن عباس ﵄ قال: (كان رسول الله ﷺ أجود النّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كلّ ليلة في رمضان فيُدارسه القرآن، فكان رسول الله ﷺ إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الرِّيح المرسلة).[31]

قوله فيُدارسه القرآن قيل الحكمة فيه أنّ مدارسة القرآن تجدّد له العهد بمزيد غنى النّفس والغنى سبب الجود والجود في الشّرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي وهو أعمّ من الصّدقة، وأيضا فرمضان موسم الخيّرات لأنّ نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره فكان النّبي ﷺ يؤّثر متابعة سنة الله في عباده فبمجموع ما ذُكر من الوقت والمنزول به والنّازل والمذاكرة حصل المزيد في الجود والعلم.[32]

فالحديث يدلّ على أنَّ المجالس سنة نبويّة، وكفى مجالس التّدارس فضلاً أنَّ النّبي ﷺ قد فعلها، والأعظم فضلاً أنّه داوم عليها في رمضان؛ ويدل على أن أفضل الأزمنة للتَّدارس ليالي رمضان، لما يتهيأ في هذه الليالي من النَّفحات الإلهيّة بعد صيام

النّهار، وهي سنة رمضانيّة غائبة؛ وقوله: أجود بالخير من الـرّيح المرسـلة تـدل عـلى عظم أثر مجالس القرآن، بكوّنها تزيد أصحابها جوداً وخيرا.[33]

الدَّليل من آثار السّلف الصّالح: ومن أعظم ما يُستند إليه في إقامة مجالس التَّدارس أنّها سنة مُتبعة عند السّلف، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته خير أسوّة وقدوّة: فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ رضي الله عنهم فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ فَقَالَ إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ قَالَ فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ [النّصر:01-02] حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نَدْرِي أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ قُلْتُ لَا قَالَ فَمَا تَقُولُ قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾[النّصر:3] قَالَ عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ).[34]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: (كانَ الرَّجل مِنَّا إذا تعلَّـم عَشْـــر آيـاتٍ لم يجـاوزهُنّ حتى يعرف معانِيَهُنَّ، والعملَ بهنَّ)؛[35] فهذا يدل على طريقة السَّلف الصّـالح رضي الله عنهم في التَّدارس وجمعهم العمل مع العلم.

وعن أبي عبد الرّحمن السّلميّ ﵁: قال: (حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنّهم كانوا يستقرِئون من النّبي ﷺ ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا.[36]

وعن ابن زيد قال: كان عمر بن الخطاب ﵁ إذا صلى السُّبْحَةَ –يعني الضّحى– وفرغ، دخل مِرْبَدًا له، فأرسل إلى فِتْيَانٍ قد قرؤوا القرآن، منهم ابن عباس وابن أخي عيينة قال: (فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرف)؛[37] وعن مسروقٍ، قال: (كان عبدُ الله ﵁ يقرأ علينا السُّورة، ثمّ يحدِّثنا فيها ويفسِّرها عامَّةَ النّهار).[38]

المبحث الثاني: مناهج مجالِسِ التّدارُس؛ وضوابطها العمليّة:

المطلب الأوّل: مناهج مَجَالِسِ التَّدَارُسِ – بشكل عامّ– : منهجيّة مجالس التّدارس تكون بحسب أنواع المجالس: فهناك مجالس عامّة وأخرى خاصّة.

أولا: المجالس العامَّة: هي مجالس عامّة في بيوت الله يحضرها عامَّة النّاس وهدفها: التّذكير والوعظ بالقرآن، وهي من أعظم الوسائل لربط النّاس بالقرآن.

ومنهجها: تركز على جانب التَّذكير والوعظ من خلال تدارس سور أو آيات قرآنيَّة ، وتعتمد على بيان الشّيخ وإلقائه، وهذه يمكن اعتبارها من باب التّدارس في حال اشتمالها على طرح الأسئلة على الحضور، وإن لم يجيبوا. من أدلتها ما أخرجه البخاري عن عكرمة، عن ابن عباس ﵄ قال: ﴿حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾.[39]

ثانيا: المجالس الخاصّة:

مجالس قرآنيّة في وسائل الإعلام والتَّواصل الاجتماعيّ: وهي عبـارة عـن مجلـس قرآنيّ إيمانيّ عامّ، يقام في القنوات الفضائيّة عبر برامج تستضيف بعض المتخصّصـين والمهتمين بذلك مع طرح تساؤلات تدبريّة من المشاهدين يكون لها الأثـر الكبـير في معالجة قضايا علميّة ويقدم البرنامج رسائل تربويّة للمشاهدين والمستمعين.[40]

أمـا وسـائل التّواصـل الاجتماعـيّ: فتـتم فيهـا المجـالس بفـتح صـفحات أو مجموعات خاصّة لمجلس التّدارس والتّدبر وأن يتولى الإشراف عليهـا طلبـة العلـم المتخصّصون.

ومجالس التّدارس ينبغي أن تبدأ بمنهجيّة تعليميّة مرحليَّة، بحيـث تبـدأ تأسيسـاً بالـْمُفَصَّلِ،[41] ثمّ بما بعده، ولو تتبعنا منهج السّلف لكـان هـذا ظـاهراً؛ وممّـا يشـهد لذلك:

قول ابن عبـاس رضي الله عنهما: (جَمعـتُ المحكـم في عهـد رسـول الله ﷺ فقلـت لـه: ومـا المحكم؟ قال: المفصل).[42]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿إنّما نزل أوّل ما نزل سورة من المفصل، فيهـا ذكر الجنّة والنّار حتى إذا ثاب النّاس نزل الحلال والحرام﴾.[43]

والسّـر في التّركيز على المفصل لأنّه: يركز على ترسيخ الإيمان بالله واليـوم الآخـر والأمر بمكارم الأخلاق، ولذلك كان أوّل ما نزل من القرآن ليبني الأسـاس الـذي يقوم عليه الدّين.[44]

أمَّا مجالس طلبة العلم فيمكن تقسيمها بحسب أغراضها:

أوّلا: تدارس العرض والإقراء: وهو تدارس بين الشّيخ وطالب أو أكثر عرضاً للقرآن، تصحيحاً وإجازة؛ وهدفها تلقي القرآن مدارسة ومعارضة من شيخ.

ثانيا: تدارس المعانيّ لكامل القرآن حسب السّور: وهو تدارس القرآن بين شيخ وطالب أو أكثر بغرض معرفة تفسيره، ونزوله، وتدبر آياته؛ وهدفها تلقي معاني القرآن وفهمه من شيخ متخصّص.

ثالثا: تدارس مقاصد السّور وأحوال نزولها واستخلاص هداياتها من خلال المقاصد: وهو تدارس بين الشّيخ وطالب أو طلاب، لمعرفة أحوال نزول السّور ومناسباتها ومقاصدها. وهدفه معرفة أحوال نزول الآيات ومقاصدها ومناسباتها ليتمكن الطّالب من ربط القرآن بالواقع.

رابعا: تدارس موضوعيّ بحسب مضمون الآيات، أو فضلها، أو أخذ موضوع واستقراء الآيات الواردة فيه ثمّ مدارستها: والمراد به تدارس آيات معيّنة لها فضل خاصّ، أو موضوع مهم يحتاج إليه المتدارسون لحل الإشكالات الواردة عند الطّلاب في فهم الآية؛ وهدفه تصحيح الفهم لدى المتدارسين وإزالة الإشكالات في نفوسهم ورفع الخلاف بينهم؛ وترسيخ هذه الآيات في نفوسهم، أو النّظر لفقههم فيها.[45]

المطلب الثاني: الضّوابط العمليّة لمجالس التدارس.

أوّلا: الضّوابط العمليَّة العامّة: يجمعها قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

[الجمعة:2] ويؤكّد هذه الأسّس: حديث أبي هريرة ﷺ السّابق (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم).

والأسّس التَّفصيلية التي تتضمّنها منهجيّة المجالس ست وتعـرف بـــ (التّـاءات السِّتُّ) وهي:

أوّلاً: التَّمهيد: وهـو المـدخل الإيـمانيّ للتّـدارس، بهـدف التّهيئـة لهـا والتّفاعـل والمعايشة، ويتم من خلال التّذكير بفضل المجالس واستحضار النّية فيها، أو التّذكير بعظمة القرآن وأثره في حياتنا. فمن حق القرآن علينا أنّه يجب علينا أن نتخذ الآيـات المنبّهة عليه فواتح في المدارسة وأن تتجاوب أصـداؤها في جوانـب نفوسـنا حتـى لا ندخل حَرَمَهُ إلاّ بعد أن نكون قد عرفنا حقه.[46]

ثانيا: التّلاوة : وتتحقّق بالإقراء تصحيحاً، والتّرتيل تهيئة، ولكي تكـون الـتِّلاوة مؤثّرة فلا بدّ من تلاوتها بقراءة خاشعة وتلقِّيها بحضور قلب وخشوع.

ثالثا: التَّعريف: ويتحقّق بتناول التّعريف بالسّورة، أو الآيـة: ويشـمل (فضـائلها سبب نزولها، وأسماؤها، ومقصد السّورة أو الآية ودلائلها في موضوعات)؛ ولا بـدّ في هذا من الرّجوع لكلام المفسّرين .

رابعا: التّفسير: ويكون ببيان المعنى الإجماليّ، مـن خـلال قـراءة تفسـير مختصـر كالمختصر في التّفسير، أو تفسير الجلالـين أو التّفسـير الميّســر أو زبـدة التّفسـير؛ أو غيرها من التّفاسير المختصرة ليستوعب المتدارسون معنى الآيات قبل تدبرها.

خامسا: التّدبر: ويتم ذلك من خلال طرح أسئلة موضوعيّة حول موضوع الآية ممّا يدل عليه القرآن والسّنة، أو ممّا يمكن استخراجه من الآيات، ومدارسة إيمانيّة وعمليّة، من خلال استخراج هدايات ورسائل تدبريّة وعمليّة وبيان أثر الآيات في حياتنا وواقعنا. وكذا الأسئلة العلميَّة: من خلال طرح أسئلة في المسائل اللغويّة والرّوابط المتعلقة بالآيات، ويمكن تكليف الطّلاب باستخلاصها من التَّفاسير(وهذه خاصّة بالمتقدمين).

سادسا: التَّزكية: وتتحقّق بالتّواصي والتّعاهد والتّقويم والتّصحيح في المجلس وبعده، والتّزكية هي تطهير النّفس وتخليصها من الشَّوائب، وتنميّتها بالإخلاص والأخلاق؛ وتحصل التَّزكية بتعاهد الشّيخ لطلابه أو المتدارسين فيما بينهم بالعمل بما تعلّموه، والنَّظر في سبيل التّخلق بها في الآيات، وتقويم سلوكهم.[47]

المبحث الثاني: التّطبيقُ العمَليُّ لِمَجالِسِ التدارس عند الشّيخ أمحمَّد صافي المستغانمي: من خلال برنامج (في رِحاب سورة).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: التَّعريف بالشّيخ أمحمّد صافي المستغانمي: هو الشّيخ أمحمّد صافي المستغانمي الجزائريّ ولد بمدينة مستغانم عروس الغرب الجزائريّ سنة: 1965م في أسرة كريمة محبة للعلم وأهله، وقد فقد الشّيخ أمحمّد والده وهو في سنّ مبكرة لتتولى أمه الفاضلة تربيته وتعليمه فحفظ القرآن الكريم وتدرَّج في مدارس التَّعليم النِّظاميّ، ليتحصل على الثَّانوية العامَّة سنة 1984م ليلتحق بعدها

بكليَّة اللُّغة والأدب العربي بجامعة وهران ويتخرّج منها سنة 1988م بتقدير امتيـاز ثمّ اشتغل بعد تخرّجه أستاذا في المرحلة الثَّانوية بمستغانم بين عاميّ 1988 و1992 ليرتحل منها إلى سوريا مُستزيدا من العلوم الشَّرعيّة واللُّغويّة فجالس في بـلاد الشّـام جملة من العلماء الكبار ونهل من معينهم حيث أُجيز في روايّة ورش عـن نـافع ثـمّ في القراءات العشـر (في الرّبع الأوّل من القرآن الكريم) بدمشق على يدي الشّيخ محمّـد شقرون حفظـه الله، ثـمّ انتقـل سـنة 1997 إلى الإمـارات العربيّـة المتّحـدة ليعمـل مُدرسا للّغة العربيّة بمدرسـة الحكمـة الخاصّـة بإمـارة عجـمان حتـى سـنة 2003 ومُنسقا للأنشطة الفنيَّة والشِّعريّة والثّقافية ورئيسا للجان التَّصحيح فيها ثمَّ مسـاعدا للمدير بقسم البنين إلى سنة 2007، وانتسب في هذه الفترة لقسم الدِّراسات العليّـا بكليّة العلوم والآداب بجامعة الشَّارقة ليتحصل على شهادة الماجستير بتقدير امتيـاز سـنة 2009 وكـان الأوَّل في دفعتـه، وكـان عنـوان دراسـته (تصـريف القـول في القصص القرآنيّ– دراسة بلاغيّة تحليليّة لقصَّة موسى ﵇) كما عمل في هذه الفترة محاضرا متعاونـا بجامعـة الشّـارقة ثـمّ انتسـب بعـد إلى قسـم الـدّكتوراه بالجامعـة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا ليتحصل على شهادة الدّكتوراه في تخصّص البلاغة بعنـوان (بلاغة النَّظم في لغة الجسم في القرآن الكريم) سنة 2014 وقد طُبعت لـدى جـائزة دبيّ للقرآن الكريم، ثمّ عمل بعد ذلك مديرا للمدرسة الأمريكيّـة للإبـداع العلمـيِّ سنة 2015 ليقع عليه الاختيار بعد عامّ من قِبل حاكم الشّارقة سمو الأمير سـلطان

القاسميّ فعينه أمينًا عامًّا لمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة سنة 2016، ومـازال الشّـيخ قائما على هذا المجمع العلميّ الرَّائد وبرامجه العلميَّة النَّافعة.

ومع تقلُّده لهاته المناصب والوظـائف فقـد انتُخِـب الشَّـيخ لعضـويّات جهـات علميَّة وأكاديميّة منها عضويّة اتّحاد المجامع اللُّغويّة العلميَّة العربيَّة، وعضويَّة مجمـع اللُّغة العربيّة في القاهرة، وعضويّة المجلـس الاستشـاريّ للغـة العربيَّـة لـدى وزارة الثّقافة وتنميّة المعرفـة والمجلـس الاستشـاريِّ في كُلِّيَتَـي الآداب بجامعـة الشَّـارقة وجامعة عجمان وعضويَّة مجلس أمناء الجامعة القاسميّة بالشّـارقة. والشّـيخ أمحمّـد صافي يعدّ من المدربين العـالميّين المتخصّصـين في إعطـاء دورات تربويّـة وعلميّـة في مجالات متنوّعة (كالتّنمية البشريّة والإرشاد الاسريّ والتّربويّ والنّفســيّ وتطـوير الـذّات). وهـو شـاعر أيضـا فحـل نظـم كثـيرا مـن القصـائد في شـتى المجـالات والمناسبات الدّينية والوطنيّة والإقليميّة والتَّعليميّة، ومُجيد لعـدّة لغـات مـع إجادتـه للّغة العربيّة الأمّ. وهو مؤلّف تحرير وكاتب كبير أَلَّـف عـدّة مصـنّفات في مجـالات متنوّعة أيضا منها:

- كيف تصبح فصيح اللسان؛
- الخطيب النّاجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع؛
- تصـريف القول في القصص القرآنيّ؛
-مفاتيح النّجاح وسنن السّعادة؛
- مشارق الانوار في صحيح الأذكار؛

- بلاغة النّظم في لغة الجسم في القرآن الكريم؛
- جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور؛
- ديباج القرآن وعرائس الفرقان (وقفات تدبريّة في سور آلــ حم)؛
- هندسة السّورة القرآنية؛
- درر البيان في توجيه متشابه القرآن؛
- الموسوعة القرآنيّة الجامعة؛
- من روائع البيان القرآنيّ؛
- الأساور المرصَّعة في فواتح السّور والأحرف المقطعة.

كما أن للشّيخ الكثير من البحوث العلميّة المحكّمة والمقالات المنشورة في الملتقيّات الدّولية والوطنيّة والمجلات العلميّة. كما شارك في كثير من التّظاهرات الشّعريّة داخل الإمارات وخارجها.

وهو قائم على مشروع عظيم من مشاريع خدمة اللغة العربيّة ألاّ وهو مشروع المعجم التّاريخي للّغة العربيّة الذي يؤّرخ لكلّ لفظة عربيّة قالتها العرب فالشّيخ أمحمّد هو نائب المدير التّنفيذي لهذا المشروع العلميّ الضّخم وهذا الإنجاز التّاريخي الفخم مع كوكبة من علماء اللغة العربيّة وخُدَّامها في مشارق الأرض ومغاربها.

ويقوم الشّيخ أمحمّد أيضا، بتكريم خدَّام اللغة العربيّة في المحافل الدّولية السّنوية من خلال تنسيق جائزة الألكسو للدّراسات اللغويّة والمعجميّة بالشّارقة.

وقد شارك الشّيخ في كثير من البرامج والمداخلات التّلفزيونيّة منها برنـامج لغـة الجسم في القرآن الكريم في تلفزيون الشّارقة، وبرنامج الأمثال في القـرآن الكـريم في قناة المجد العلميّة وبرنامج البيان القرآني بقناة المجد العلميّة في مائة وعشـر حلقـات وبرنامج مع القرآن بتلفزيون الشّارقة.[48]

وبرنامج في رِحاب سورة وهو أشهر برنامج تميّـز فيـه الشّـيخ وتـألّق في عرضـه وتقديمه للمشاهدين ولايـزال عـبر 340 حلقـة وفي مـا يـلي تعريـف مـوجز بهـذا البرنامج.

المطلب الثّاني: التّعريـف ببرنـامج (في رِحـاب سـورة): برنـامج (في رِحـاب سورة) برنامج قرآني تدارسيّ بامتياز وهو برنامج من البرامج الدّينيـة المتميّـزة التـي يبثها تلفزيون الشّارقة، التّابع لهيئة الشّارقة للإذاعة والتّلفزيـون، يجمـع بـين الثّقافـة الأصيلة، والبناء الفكريّ والنّفسي والمجتمعيّ على أسّس معرفيّة متينة، وقد انطلقت حلقات البرنامج لتشـكل رافـداً علميـاً معرفيـاً جديـداً في خدمـة القـرآن الكـريم بأسلوب جديد يقوم على تقديم المعلومـة المهمـة في ضـوء قواعـد التّفسـير العلميّـة العريقة، وبأسلوب مبسط جذاب.[49]

يؤسّس البرنامج، الذي يقدمه الإعلاميّ الإماراتيّ الكبـير محمّـد حسـن خلـف ويحاور فيه ضيفه الدّائم الشّيخ الدّكتور أحمّـد صـافي المسـتغانمي، ويخرجـه ماجـد شومن، على استعراض شامل للسّور القرآنيّة، ينطلق من أسّس ثلاثة تقوم عـلى: مـا تتميّز به السّورة، والأطر العامّة لهـا، وعـرض قـدر مـن التّفاسـير المتعـدّد للسّـورة

وذلك لتكوين فكرة كاملة عن السّور بشكل يعزّز حضور القـرآن الكـريم في حيـاة الجمهور؛ يضفي المزيد من الفهم للسّورة القرآنيّة بأسلوب معاصـر يمكنـه محاكـاة المستويات المعرفيّة للجمهور كافة.

وأكّد مدير الإذاعة والتّلفزيون السّيد محمّد خلف، أنّ برنامج (في رِحاب سورة) هو سلسلة متصلة يتمّ خلالها التّركيز على فهم جديد واسع للقرآن الكريم، وبشـكل يصب في خدمة كتاب الله سبحانه، ويرفع مستوى الجمهور المعرفيّ في التَّعَـرُّف عـلى كنوزه وأسراره، وما يتميّز به من نواحٍ لغويّـة، وتفسـيريّة، وقـدر مـن سـير الأنبيـاء والصّحابة والعلماء، وقد حفز البرنامج في بدايات ظهوره الكثير مـن الجمهـور عـلى المتابعة والاستفسار والقراءة لزيادة المعلومات.[50]

ويُعـرض البرنـامج مسـاء كـلّ يـوم أحـد في السّـاعة العـاشرة مسـاءً بتوقيـت الإمارات، ويُعاد بثه منتصف نهار يوم الاثنين، ثمّ يعاد مرة ثانيّـة يـوم الجمعـة عـلى السَّاعة الحاديّة عشرة صباحا.

ومن شدّة اهتمام الباحثين وطلاب العلم وإعجـابهم بهـذا البرنـامج ومنهجيّتـه ومادته العلميّة الغزيرة قام بعضهم بتفريغ قدر صالح من هذه الحلقات.[51]

وقد كانت فكرة البرنامج موجودةً في ذهن الشّيخ صافي منذ أكثر من سبع عشرة سنة مذّ كان الشّيخ فاضل السّامرائي يُقدِّم برنامجه الماتع النّافع لمسات بيانيّة ويختلـف برنامج لمسات بيانية مع برنامج (في رِحاب سـورة) في كـون برنـامج لمسـات بيانيّـة يُعالج المتشابه اللّفظي في القـرآن الكـريم ولا يتعلـق بالسُّـور وهـو برنـامج لغـويّ

بلاغيّ على وجه الخصوص أمَّا برنامج (في رِحاب سورة) فهو برنامج تدارسيّ يتناول نواحيّ عدّة متعلقة بالقرآن الكريم من تفسير وتدبّر وتزكيّة ومناسبات ومقارنات و... إلخ.

وهذا البرنامج كان من جملة الأهداف التي رسمها الشّيخ أحمّد صافي وكتب خطوطه العريضة وأهدافه حتي يستصحب حضوره الذّهني ويراه المرّة بعد المرّة وكان قبل ذلك قد جمع قدرا صالحا من موضوعات هذا البرنامج في رسالة الماجستير والدّكتوراه فتبلّورت فكرة برنامج تلفزيونيّ أطلق عليه الشّيخ حينها اسم (المعجزة الخالدة) إلى أن كانت الفرصة الطّيبة سنة 2014م، بعرض فكرة البرنامج على الشّيخ الدّكتور عزيز فرحان العنزيّ فأُعجب بالفكرة أيّما إعجاب إلى أن اجتمع مع مدير تلفزيون الشّارقة الأستاذ محمّد خلف وقد كان الأستاذ محمّد خلف من قبل هذا يبحث عن برنامج يُعوض برنامج لمسات بيانيّة الذي توقف سنة 2012م.

فاقترح الشَّيخ عزيز فرحان أن يكون برنامج الشّيخ صافي هو البديل المناسب لهذا البرنامج فكان النّداء من الأستاذ محمّد خلف للدّكتور صافي واجتمعوا مع بعض العاملين بتلفزيون الشّارقة وبسط الشّيخ صافي موضوع البرنامج وكانت الفكرة الأولى في دراسة خصائص كلّ سورة قرآنيّة على انفراد من حيث موضوعها عنوانها، ايقاعها الصّوتي، بناءها، خصائصها الأسلوبيّة، اللفظيّة، المعنويّة، مناسباتها لما قبلها وما بعدها.

وقد اشترط الشّيخ شرطا صعبا في كون المذيع المُناقش لابد أن يكون ملمًّا بعلوم اللغة وعلوم القرآن فتطوَّع الأستاذ محمّد خلف لذلك وكان أهلا لهذا الشَّأن، وقد كتب الله لهذا البرنامج القبول بين النّاس.

وكان ابتداء هذا البرنامج سنة 2015م بسورة الرَّحمان لكونها سهلة التّتناول في حلقة واحدة تكون مُقدّمة لفهم النّاس لهذا البرنامج؛ ثمّ أتبعها بسورة الكهف لكثرة تردّدها في اسماع النّاس، ثمّ جاءت السّور تباعا ﴿مريم، طه، الأنبياء﴾ وكانت كلّ سورة تأّخذ من ثلاث حلقات إلى أربع فطالب المستمعون وعلى رأسهم صاحب السّمو الشّيخ سلطان القاسمي حفظه الله بزيادة التّفصيل في الوجوه التّفسيرية والنَّحوية للسُّور فبدأ الشّيخ تفصيل كلّ ذلك من ﴿سورة الحج﴾ وقد وصل البرنامج بحمد الله إلى لحظة كتابة هذه الكلمات إلى ﴿سورة النّجم﴾ طيلة ستّ سنوات من عمر هذا البرنامج الرّائد ليكون ختم كتاب الله بهذه الدّراسة الشّاملة الموسوعيّة بعد ستّ أو سبع سنوات أخرى بإذن الله تعالى.[52]

وقد بذل الشّيخ أمحمّد صافي الوسع في الرّجوع إلى مصادر ومراجع كثيرة في التّفسير وعلوم القرآن واللغة. والمشاهد لهذا البرنامج يلحظ ذلك فالمادَّة العلميّة المعروضة في البرنامج غزيرة جدا تقتضي الرّجوع إلى كمٍّ هائل من المصادر والمراجع فهو بحق من الجهود العظيمة الجبارة التي يقلُّ نظيرها في هذا الزّمان.

المطلب الثّالث: المنهج العمليّ لتدارس ﴿سورة الذّاريات﴾: اخترت في هذا المقام ﴿سورة الذّاريات﴾ لأنّها آخر سورة قام الشّيخ بتدارسها في هذا البرنامج وقد

أفاض الشّيخ فيها وأجاد في خمس حلقات كاملة وقد أطال الشّيخ أمحمّد صافي النّفس فيها وتفاعل معها الجمهور كثيرا؛ وهذا راجع إلى مُكنة الشّيخ ودربته طيلة هذه المدّة في التّعامل مع هذا البرنامج وطريقة التّحضير الجيّد للمواد العلميّة التي تعرض فيه.

المجلس الأوّل:[53]

أوّلا: التّمهيد: حيث أطلَّ الإعلاميّ الكبير محمّد حسن خلف بإطلالته البهيّة الشّارقة وابتسامته الزّكية البارقة فافتتح الحصّة بحمد الله تعالى والصّلاة والسّلام على رسول الله ﷺ ثمّ ثنَّى بالسّلام والدّعاء للمشاهدين مرحبا بهم في رِحاب رياض سور القرآن الكريم ثم ثلَّث بالتَّحية والإكرام للشّيخ الهمام وعروس المقام الشّيخ الدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي متوجها إليه بإعطاء مقدّمة عامَّة بين يدي السّورة ومناسبتها للسّورة التي قبلها والتي بعدها وأسباب نزولها وترتيبها في النُّزول ليُفيض بعدها الشّيخ بمحياه البشوش ليجيب عن كلّ ذلك وزيادة فبيَّن أنّها سورة مكّية نزلت بعد سورة الأحقاف ونزلت بعدها سورة الغاشيّة في التّنزيل؛ منبها على مسألة المناسبة بينها وبين سورة الغاشية في ذكر يوم الحساب وأهواله مشيرا إلى التّناسق والانسجام في أسلوب القرآن وبيَّن المسألة المهمّة المتعلّقة بترتيب السّور في المصحف ومسألة التَّوقيف فيها، والتي أثارها الأستاذ محمّد خلف، ثمّ تكلَّم الشّيخ محمّد على موضوع ﴿سورة ق﴾ وأنّها تتكلّم عن إثبات البعث وهذا هو الحال مع سورة الذّاريات والطّور وبيَّن مسألة الإيمان باليوم الآخر وأهميّته في علم الاعتقاد

وأصول الإيمان وكيف ذُكر هذا اليوم في القرآن الكريم بشكل كبير مشيرا إلى مسألة التّكرار والإضافات التي تذكر عند تكّرار مواضيع القرآن وهو عين الاعجاز القرآني في مواضيعه فمع تكّرار ذكرها لا يجد القارئ مللا من تكّرارها.

ثمّ شرع يبين المحور العامّ في سورة الذّاريات وهو الحديث عن يوم البعث وإثبات الجزاء به.

والذي يخدم هذا المحور من موضوعات تتعلّق بيوم البعث كالقسم العظيم الذي افتتحت به هذه السّورة الكريمة مُبينا عظم الكون المُقسم به وعدد أجرامه التي وصل إليها العلم الحديث، ثمّ بيَّن مواضع إكرام الله للإنسان بهذا القرآن بين كلّ هذه الكائنات العظيمة، مشيرا إلى أدلة البعث التي ستذكر في هذه السّورة الكريمة وبيان ذكر الأقوام السّابقين وما فعل الله بهم.

فكلّ هذه الأدلة ذكرتها السّورة الكريمة وهذه هي المواضيع التي تخدم الموضوع العامّ للسّورة، فالقرآن يمثل لحمة واحدة.

وعقد الشّيخ صافي مقارنة بين سورتي ﴿ق والذّاريات﴾ في افتتاحهما بالقسم والمقسم عليه وهو إثبات البعث والجزاء وبين خاتمة سورة ق ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق:32] وفي سورة الذّاريات ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ [الذاريات:5]، ثمّ عرَّج على ذكر السَّموات والأرض في كلّ من السُّورتين وكذا جاء في سورة ﴿ق﴾ ذكر جملة من الأقوام السَّابقين ثمّ فصَّل أنواع العقاب النَّازل بهم في سورة ﴿الذّاريات﴾ مبينا الغاية العظمى في ذكر القصص القرآني وهو العبرة والإيمان ثمّ ذكر مشاهد

الجنَّة في السّورتين ومقارنة لطيفة بين أعمال المتقين في سورة ﴿ق﴾ التي ركّزت على الأعمال القلبيَّة وسورة ﴿الذَّاريات﴾ التي ركزت على الجانب العمليّ وتوجيه النّبي ﷺ إلى الصَّبر على أذى المشركين في سورة ﴿ق﴾ والأعراض عن جهلهم في سورة ﴿الذَّاريات﴾ مع بيان من تنفعه الذّكرى من النّاس في خاتمة السّورتين وصفة النّذارة وتأكيدها في حق النبي ﷺ.الحديث عن النّار في السّورتين ومناسبة كلّ منها لحال المشركين .

ثمّ أفاض الشّيخ في بناء السّورة ذاتها وهيكلها العامّ ليسبح بالقارئ في تناسق الآيات في السّورة بعضها مع بعض فذكر وصف فرعون ب (المُليم) ونفى وصف اللَّوم عن النّبي الكريم ﷺ، وثنَّى بذكر الرّيح العقيم ومناسبتها لذكر زوج إبراهيم عليه السلام؛ العقيم التي لاتلد؛ وفي ذكر السّماء والأرض في مفتّتح السّورة وختامها وذكر الرّزق في أوّل السّورة وختامها أيضا، وذكر الآيات الكونيّة وعلاقتها بالآيات التي تدلُّ على منازل وقصص المكذبين، ثمّ بين خصائص بعض كلمات هذه السّورة التي لم توجد في غيرها (الذّاريات، الحاملات، الحبك الخراصون صَرَّة، صكت يهجعون، ذَنُوب ...)؛ وأتبعها بالأنساق التَّعبيرية المميّزة (قُتل الخراصون) (يؤفك عنه من أفك)،(وفي السّماء رزقكم)،(والسّماء بنيناها بأييد).

ثمّ أشار إلى أنَّ الذّاريات سورة من مجموعة وهي أسرة المتوافقات في مطالع الانساق التَّعبيرية ﴿الصّافات، المرسلات، النّازعات، العاديّات﴾. وخاصّة سورة ﴿الصَّافات﴾.

المجلس الثَّاني:[54] **الآيات من (01 إلى 06)**: قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الذّاريات:01-06].

التَّفسير: شرع الشّيخ أمحمّد صافي في تفسير مطلع هذه السّورة وأنَّ الله سبحانه وتعالى أقسم بالرّياح التي تذروا التُّراب فبين معنى الذّرو وأنَّه النَّشر والبثّ في فضاء واسع وذكر معناها اللُّغوي مشيرا إشارة لطيفة إلى تعريف الرّياح فيزيائيا، كما أقسم الله تعالى بالسُّحب التي تحمل الأمطار الّثقيلة، وبالسّفن التي تجري في البحر بسهولة ويسر، وبالملائكة التي تقسم أمر الله تعالى؛ أنَّ ما يعدكم ربكم به من الحساب والجزاء لحَقٌّ لا مريّة فيه وأن حساب العباد لَوَاقِع يوم القيامة لامحالة. وأشار في هذا المقام إلى قوليّ المفسرين في هذه الذَّوات المقسم بها فمنهم من قال أنّها ذوات مختلفة فالذّريات هي الرّياح والحاملات هي السّحب الثّقال والجاريات السّفن فالمقسمات هي الملائكة التي تقسم أمر الله وهذا هو التّفسير المشهور عن كثير من الصّحابة الكرام والمفسرين الأعلام. والمعنى الثَّاني أنّها مُسميات لمسمى واحد بأوصاف مختلفة وهي الرّياح فهو ترتيب وتعقيب لأعمال الرّياح. وهذا التّفسير يُقدَّم للمتدبرين لآيات الله سَواء على الرّأي الأوّل أو الثَّاني دون حجر على المعنى الأوّل فقط.

التَّدبر والتّزكية: يسأل المحاورُ الشّيخَ: لماذا يقسم الله تعالى بهذه الأشياء.

فيجيبه الشّيخ بما يجلِّي حقيقة القسم وأنَّ الله سبحانه وتعالى غنيّ عن القسم ولكنه يقسم تنبيها لهذا المُقْسَم به لأنّ المُقْسَمَ به يدل على الله وتأكيدا على المُقْسَم عليه

فيرتبط القلب بالسّماء ثمّ أفاض الشّيخ في ذكر جملة من آيات الله التي أقسم الله بها تنبيها عليها ثمّ يرسل من خلالها رسالة التّزكية في التّفكّر فيما خلق الله حولنا فمخلوقاته شاهدة على وحدانيته داعية إلى عبادته.

ومن رسائل التّدبر التي تُوحي بها طبيعة هذه الأشياء المُقْسَم بها أنّ هذه الخلائق لم تخلق عبثا ولا مصادفة ولا جُزافا بل هي بتقدير خالق عظيم وربّ كريم، ومن رسائل التَّزكية في هذا المقام أن نتأمل في هذه الخلائق وما أودع الله فيها من حكم وأسرار لنصل إلى اليقين القاطع الموجب للعمل بأنّ الله حق ولقاؤه حق، كما أنّ القسم يُفيد السّامع انتباها وتأكيدا واستصغاءً يوحي للقلب بأنَّ وعد الله لابدّ صادق وأنَّ حسابه لابد واقع.

ومن رسائل التَّدبر في هذا المقام أيضا ما أشار إليه الرَّازي في أنَّ كثرة القسم عند العرب تُخرب الدّيار فالذي يكثر القسم ولا يكون مُحقًّا يخرب الله بيته وهم يرون محمّد ﷺ في القرآن يذكر أقسامًا وأقسامًا وهو يزداد بركة وخيرا ونماء وسعادة فهو دليل على صدقه.

في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾[الذّاريات:5]: وصف المصدر المُؤول (الإيعاد) لصادق في إشارة إلى أن المُخْبِر أصدق، فهو دليل على صدقه ﷺ فرسالة التَّزكية هنا أن نوقن بصدق هذا النَّبي الصّادق المصدوق ﷺ وأنَّ ما أخبر به صدق محضٌ. ثمّ ترقى في القسم فذكر السّماء وأقسم الله تعالى بالسّماء ذات الحُبُكِ فبين معنى الحبك الخلق الحسن، والاستواء، والطّرائق، والإحكام؛ وكلّها ترجع إلى الحُسْنِ والبهاء.

المجلس الثَّالث:[55] **الآيات من (07 إلى 16):** قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذَّاريات:07-16].

التَّفسير:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: يُقسم الله بالسّماء الحَسَنة الخلق ذات الطُّرق.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: إنّكم – يا أهل مكَّة – لفي قول متناقض متضارب، تارة تقولون: القرآن سحر، وتارة شعر، وتقولون: محمّد ساحر تارة، وتارة شاعر.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: يُصْرف عن الإيمان بالقرآن وبالنبي ﷺ من صُرِف عنه في علم الله لعلمه أنّه لا يؤّمن، فلا يوفق للهدايّة.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: لُعِنَ هؤلاء الكذابون الذين قالوا في القرآن وفي نبيهم ما قالوا.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾: الذين هم في جهل غافلون عن الدَّار الآخرة، لا يُبالون بها.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: يسألون: متى يوم الجزاء؟ وهم لا يعملون له.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: فيجيبهم الله عن سؤالهم: يوم هم على النّار يعذبون.

﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: يُقال لهم: ذوقوا عذابكم، هذا هو الـذي كنـتم تسألون تعجيله عندما تُنْذَرُون به، استهزاء.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: إن المتّقين لربهم بامتثال أوامـره، واجتنـاب نواهيـه يـوم القيامة في بساتين وعيون جارية.

﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾: آخذين ما أعطاهم ربُّهم من الجزاء الكريم، إنّهم كانوا قبل هذا الجزاء الكريم مُحسنين في الدُّنيا.

التّدبر والتّزكية: افتتح الشَّيخ هذا المجلس بذكر معاني الحُبُكِ في علم الفيزياء وأنّه الجاذبية التي بها نظام الكواكب والمجرات.

قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴾ لك أن تتدَّبر في **المؤكّدات في هذه الآيات**، ومن التَّدبر في **المناسبة بين القَسم بالسّماء ذات الحبك أي الطّرائق وقول الكافرين المختلف طَرائق قددا** ما أشار إليه العلامة البيضاوي في تفسيره، **والتَّقابل بينهما فبقدر ما في السّماء من حُبُكٍ وإحكام بقدر ما في أقوالكم من اختلاف وتهافت واضطراب**. وهذا علم عظيم في المناسبة بين القَسَمِ والمُقْسَمِ عليه وأشار الشَّيخ إلى عناية ابن القيّم بهذا العلم.

سؤال تدبريٌّ من المحاور: من هذا الذي يؤّفك وعن ماذا يؤّفك؟

الأَفك: هو صرف الشَّيء عن شيء، **والإفك**: **خديعة بالكذب**؛ وذكر الشّيخ معاني قوله تعالى (يُؤّفك عنه من أفك) وأنَّ لها ثلاثة معاني عند المفسرين:

الأوّل: يُصرف عن القرآن والحقّ من صُرف عن الخير والصَّارف له هو أقوال الملحدين والمشكّكين.

الثَّاني: يُصرف عنه من صرفه الله عن ذلك فلم يكتب له الهداية.

الثّالث: يؤّفك بسبب اقوالكم المختلفة من أفك، وقد كان المشركون يصرفون بأقوالهم من كان ضعيف القلب والعلم.

ونتزكى بهذه الآية: أن نَحْذَر شبهات الطّاعنين ولنحصن أنفسنا بالإيمان والعلم.

﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾: من لعنه الله كان بمنزلة المقتول الهالك واستعمل قُتل بدل لُعن للتّحذير من القول في العقيدة بالظّن وهي من رسائل التّزكية وذلك أن لا يقول الانسان في دين الله بالظّن، واستعمل لفظة الخراص لكثرة تَقَلُّبِ كلامه في الحكم عن الشّيء وهذا هو حال الكافرين في اضطراب أقوالهم.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾: جواب على سؤال تدبري: من هم الخراصون؟ أيّ الذين هم في أعماق من العمى والضّلال؛ وهم الجُهَّال الغارقون في سكرهم وجهلهم الذي غمرهم ولذلك فهم مضطربون.

والتّزكية هنا: شتَّان بين من يخوض غمار الضَّلال ومن هو على هدى وصراط مُستقيم.

﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾: أيّان اسم استفهام زماني يُستفهم به على الأمور العظيمة.

﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ما علاقة هذا الجواب بما سبقه؟

هذا أسلوب الحكيم فهم يسألون عن يوم الجزاء تَهكُّما واستهزاء فيجيبهم بأنّه سيكون هذا اليوم وتعذبون فيه تعجيلا لهم بالمُسَاءة.

وقوله ﴿يُفتَنُونَ﴾: الأصل أنّ الفَتْنَ يكون للمعادن وهو الصَّهر يقولون: يَفْتِنُ الذّهب ليتأكد من خالصه ثمّ انتقلت إلى كلّ اختبار ومن رسائل التّزكية في هذا أنّ الاختبار يدلّ على أصل الانسان ومعدنه.

﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾: كأنّه نقلهم الى المشهد فهم يرون جهنّم عيانا ويـذوقون الفتّنـة وهى الاختبار الأعظم في الآخرة على شفير جهنّم؛ ونتزكى بهذه الآية أن نحذر مـن تشكيك المشـككين وأن لا ننسـاق في سـبل المُضـلِّين الفـاتنين حتـى لا نكـون مـن المفتونين والمعذبين.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾: هذا انتقال من مشهد الكافرين وفتنتهم إلى ذكـر حال المتقين المتبعين للحق وذكر جزاءهم فالمُتَّقى مـن يجعـل بينـه وبـين النَّـار وقايـة بامتثال الأوامر واجتناب النَّواهي.

وفي عيون أي في خلالها منعمين بالنّظر والاسـتمتاع بهـا، (آخِـذِينَ) راضـين بـما اعطي لهم فكل ما يعطى له شي يأخذه فهو يدل على الرّضى والقبول من كـلّ أنـواع النّعيم (ما آتاهم) أي أعطاهم الله فالأخذ كان بفضل من الله وعطـاء والتّزكيـة هنـا: أنّ ما يحصل من عطاء للمؤمن فهو من الله فلتنطلق ألسنتنا بشـكّره سـبحانه وتعـالى والثَّناء عليه.

المجلس الرَّابع:[56] (من الأية 17-23): قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذّاريات: 17-23].

التَّفسير:

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾: إنَّهم كانوا قبل هذا الجزاء الكـريم مُحسـنين في الدّنيا.

﴿كَانُواْ قَلِيلا مِّنَ ٱلَّيلِ مَا يَهجَعُونَ ١٧﴾: كانوا يصلّون من اللَّيـل، لا ينـامون إلاّ زمنًا قليلًا.

﴿وَبِالأَسحَارِ هُم يَستَغفِرُونَ ١٨﴾: وفي وقت الأسحار يطلبـون المغفـرة مـن الله لذنوبهم.

﴿وَفِيٓ أَموٰلِهِم حَقّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلمَحـرُومِ ١٩﴾: وفي أمـوالهم حـق - يتطوّعـون بـه - للسَّائل من النَّاس، وللذي لا يسألهم، ممن حُرم الرِّزق لأيّ سبب كان.

﴿وَفِي ٱلأَرضِ ءَايَٰت لِّلمُوقِنِينَ ٢٠﴾: وفي الأرض وما وضع الله فيهـا مـن جبـال وبحار وأنهار وأشجار ونبات وحيوان، دلالات على قدرة الله للمـوقنين أنَّ الله هـو الخالق المُصَوّر.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُم أَفَلَا تُبصِرُـونَ ٢١﴾: وفي أنفسـكم دلالات عـلى قـدرة الله، أفـلا تبصرون لتعتبروا؟!

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾: رزقكـم الـدّنيوي والـدّيني، وفيهـا مـا توعدون من خير أو شرّ.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرضِ إِنَّهُ لَحَقّ مِّثلَ مَـآ أَنَّكُـم تَنطِقُـونَ ٢٣﴾: فـورب السّـماء والأرض إنَّ البعث لحقٌّ لا شكّ فيه، كما أنَّه لا شكّ في نطقكم حين تنطقون.

التّدبر والتّزكية:

﴿إِنَّهُم كَانُواْ قَبلَ ذَٰلِكَ مُحسِنِينَ﴾ جملة استئنافيّة تعليليَّة تبين الأعـمال التـي يـدخل بها المتقون الجنّة.

﴿مُحۡسِنِينَ﴾: الاحسان أعلى درجات الإيمان ومن أعظم الإحسان في عبادة الله صلاة الليل الدَّالة على إخلاصهم وتواطؤ القلب واللِّسان في ذاك الوقت المخصّص للرّاحة فهم يقضون الليل في العبادة ويهجعون هجوعا قليلا؛ والهجوع هو النَّوم الخفيف؛ وهي صفة مدح عظيمة لهؤلاء المتقين المحسنين.

ورسالة التّزكية هنا أن لا نغفل عن صلاة الليل وأن نحيي ليلنا في بيوتنا ما بين صلاة وذكر ودعاء وتضرُّع.

﴿ وَبِالۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾: مع عبادتهم يشتغلون في الأسحار بالاستغفار استغفارا من التَّقصير.

والباء هنا في (وبالأسحار) المقصود بها هنا الإلصاق أي لا يكادون الانفكاك عن الاستغفار وقت السّحر.

وفي قوله (هم) دفعٌ لوهم قد يطرأ على الذِّهن في كونهم يستغفرون بالأسحار قليلا.ثمّ ذكر الشّيخ أمحمّد صافي أبياتا لابن الرُّومي[57] في هذا المعنى تحرك القلوب والألباب وتزيد المتدبّر لهذه الآية تدبّرا.

قال ابن الرّومي (ت:283هـ)

تتجافى جنوبُهم عن وَطِيءِ المضاجعِ
كلُّهم بين خائفٍ مستجير وطامعِ
تركوا لذة الكَرَى للعيون الهواجع
ورعوا أنجم الدُّجى طالعاً بعد طالع

لــــو تــــراهم إذا هــــمُ خطــــروا بالأصــــابع
وإذا هــــم تــــأوَّهوا عنــــد مــــرِّ القــــوارع
وإذا بــــاشروا الثَّــــرى بالخــــدود الضّــــوارع
واســــتهلَّت عيــــونهم فائضــــاتِ المــــدامع
ودعــــوا يــــا مليكنــــا يــــا جميــــل الصّــــنائع
أعــــف عنــــا ذنوبنــــا للوجــــوه الخواشــــع
أعــــف عنــــا ذنوبنــــا للعيــــون الــــدّوامع
أنــــت إن لم يكــــن لنــــا شــــافعٌ خــــيرُ شــــافع
فــــأُجيبوا إجابــــة لم تقــــع في المســــامع
لــــيس مــــا تصــــنعونه أوليــــائي بضــــائع
تَــــاجِرُوني بطــــاعتي تربحــــوا في البضــــائع
وابــــذلوا لي نفوســــكم إنّهــــا في ودائعــــي

قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾: لِبَيَانِ أنّهم جمعوا بين صلاح النّفوس في السرّ والعلن وصلاح المجتمع في التَّعاون والتَّكافل.

وفي قوله ﴿حَقٌّ﴾ أَي كأنّهم أوجبوا على أنفسهم هذا الحق؛ فهو قدر زائد على الحق المعلوم المذكور في سورة المعارج وهو الزّكاة الواجبة؛ فالمتقون أكثر حرصا على الصّلاة والصّدقة من غيرهم.

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ وهنا سؤال تدبريّ: ما الفرق بين السّائل والمحروم؟

السَّائل الذي يتعرَّض للسّؤال، وأمّا المحروم هو المحتاج المتعفّف فيحرمه النّاس من صدقاتهم لعدم سؤاله. وقُدم السّائل على المحروم لظهور حاجة السّائل فحال المتقين أنّهم يعطون السّائل فإن لم يجدوا سائلا بحثوا عن المحروم.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾: هذا انتقال لطيف إلى ذكر دلائل الخلق وعظمة الخالق وهذه العَظَمة تتجلى للموقنين من عباد الله وفيه مدح لهم ونتزكى بهذا أن ننزع ثوب الغفلة عن أعيننا ونتفكّر في آيات الله الدّالة عليه.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾: استفهام توبيخيّ يوقظ الضّمير، وينكر عليهم عدم الابصار للآيات فينبغي لنا أن لا نغفل عن آيات الله في أنفسنا التي بين جنبينا.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾: لما في السّماء من آية المطر الذي بسببه تنبت الأرض نباتها ومن معانيها كلّ أمر مُقدَّر من عند الله فهو مقدر عند الله في السّماء في اللَّوح المحفوظ، وهذا يدعونا لخشية الله تعالى أن يُنزل علينا عذابا من السَّماء.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: بعدما أقسم الله تعالى في أوّل السّورة، ترَقَّى هنا في القسم بخالق السّماء والأرض سبحانه وتعالى ﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ إنّ هذا القرآن حق كما أنّكم تنطقون كما لا تشكون في نطقكم بألسنتكم.

فهذا يدعونا أيضا للتّفكر في آية النُّطق عند الانسان.

المجلس الخامس[58] (من الأية 24–30): قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨

فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الذّاريات:24-30].

التّفسير:

﴿هَل أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيفِ إِبرَٰهِيمَ ٱلمُكرَمِينَ ٢٤﴾: هـل أتـاك - أيّهـا الرَّسـول - حديث ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الّذين أكرمهم ؟

﴿إِذ دَخَلُوا۟ عَلَيهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰما قَالَ سَلَٰم قَوم مُّنكَرُونَ ٢٥﴾: حين دخلوا عليه فقـالوا له: سلامًا، قال إبراهيم ردًّا عليهم: سلام، وقال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجل سَمِين ٢٦﴾: فمال إلى أهله خفيّة، فجـاء مـن عنـدِهم بعجل كامل سمين، ظنًّا منه أنّهم بشر.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيهِم قَالَ أَلَا تَأكُلُونَ ٢٧﴾: فقرّب العجـل إلـيهم، وخـاطبهم برفـق: ألاّ تأكلون ما قُدِّم لكم من طعام؟

﴿فَأَوجَسَ مِنهُم خِيفَة قَالُوا۟ لَا تَخَف وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيم ٢٨﴾: فلما لم يـأكلوا أضـمر في نفسه الخوف منهم ففطنوا له، فقالوا مطمئنين إياه: لا تخفْ، إنَّا رسـل مـن عنـد الله وأخبروه بما يسرّه من أنَّه يولد له غلام له علم كثير، والمُبَشَّر به هو إسحاق عليه السلام.

﴿فَأَقبَلَتِ ٱمرَأَتُهُۥ فِي صَرَّة فَصَكَّت وَجهَهَا وَقَالَت عَجُوزٌ عَقِيم ٢٩﴾: فلما سـمعت امرأته البشارة أقبلت تصيح من الفـرح، فلطمـت وجههـا، وقالـت مُتعجبـة: أتلـد عجوز، وهي في الأصل عقيم!

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلحَكِيمُ ٱلعَلِيمُ ٣٠﴾ قال لها الملائكة: ما أخبرناكِ به قاله ربكِ، وما قاله لا رادّ له، إنَّه هو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بخلقه وما يصلح لهم.

التَّدبر والتَّزكية:

﴿هَل أَتَىٰكَ﴾: لما تحدث عن المحسنين ناسب أن يذكر أحد أعظم المحسنين وهو إبراهيم عليه السلام.

ومناسبة قصّة إبراهيم وقصّة لوط في السِّياق يوضح التّقابل بين الإحسان للضّيف المُتمثِّل في إكرام إبراهيم للضّيف؛ والإساءة للضّيف المُتَمثِّل في قوم لوط عندما أرادوا سوءا برسل الله؛ والضّيف يوصف به المفرد والجمع والمثنى والمؤنّث ووصفهم بالمكرمين أي من قبل إبراهيم وهم مكرمون من عند الله قبل ذلك وفيه إشارة لوجوب إِكرام الضّيف والمسارعة في إكرامه.

﴿إِذ دَخَلُواْ عَلَيهِ﴾: أي حين دخلوا عليه فقالوا أي بادروا فينبغي للضّيف إذا دخل عند المُضِيف ان يبادر للسّلام عليه؛ وردَّ إبراهيم بأحسن من تحيتهم واكمل فقال (سلام) لإفادة الثُّبوت أي شأني وديدني سلام؛ فلا تفزعوا فبيتي مُهيئ لكم فكلوا واشربوا.

﴿قَوم مُّنكَرُونَ﴾ قال بعضهم أنَّه قال لهم أنتم قوم منكرون لا أعرفكم، ومنهم من قال أنّه قالها في نفسه أني لا أعرفكم ولكن سأكرمكم وهذا الأليق بكرم الضّيافة.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجل سَمِين﴾: الرّوغان هو الذَّهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضّيف وهو من كرم ربّ البيت وقوله (فجاء) دليل على سرعة المجيئ الدَّالة على جاهزيّة إبراهيم دومًا للضّيافة.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ﴾: وهذا أبلغ ما يكون في الكرم أن يُقرِّب الطّعام للضّيف وف ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾: فيه عرض وَتَلَّطُفُ؛ وفي جميع هذا آداب للضّيافة ينبغي للمؤّمن أن يأخذ بها.

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ﴾: لما رآهم لا يأّكلون؛ فبادرَ الأضياف لتأمين إبراهيم فطمأنوا قلبه بقولهم لا تخف ثمّ أتبعوا ذلك بالبشرى وهذا أدب رفيع من الضّيف أن يردّ الإكرام بالإكرام.

﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾: وفيه بيان لطبيعة الفطرة البشريّة عند حدوث أمرٍ عظيم، فردت عليها الملائكة جوابا حكيما رشيدا فالله لا يمنع عبدا بُخلا وإنّما لحكمة يعلمها الله فينبغي للإنسان أن لا يَمَلَّ من دعاء ربِّه.

المجلس السَّادس:[59] (من الآية 31-46) قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٣٧ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ

ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الذّاريات: 30-46].

التّفسير:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ٣١﴾: قال إبراهيم عليه السلام للملائكة: ما شأنكم؟ وما الذي تقصدونه؟

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٣٢﴾: قالت الملائكة جوابًا له: إنّا بعثنا الله إلى قوم مجرمين يرتكبون قبائح الذّنوب.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ٣٣﴾: لنبعث عليهم حجارة من طين متصلّب.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤﴾: معلَّمة عند ربّك - يا إبراهيم- تُبْعَثُ على المتجاوزين لحدود الله المبالغين في الكفر والمعاصي.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٣٥﴾: فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين حتى لا يصيبهم ما يصيب المجرمين من العذاب.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٦﴾: فما وجدنا في قريتهم هذه غير بيت واحد من المسلمين، هم أهل بيت لوط عليه السلام.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٣٧﴾: وتركنا في قرية قوم لوط من آثار العذاب ما يدلُّ على وقوع العذاب عليهم ليعتبر به من يخاف العذاب الموجع الذي أصابهم، فلا يعمل بعملهم لينجو منه.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾: وفي موسى حين بعثناه إلى فرعون بالحجج الواضحة، آيةً لمن يخاف العذاب الموجع.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩﴾: فأعرض فرعون معتدًّا بقوته وجنده عن الحق، وقال عن موسى ؛ هو ساحر يسحر النّاس، أو مجنون يقول ما لا يعقله.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾: فأخذناه هو وجنوده كلُّهم فطرحناهم في البحر، فغرقوا وهلكوا، وفرعونُ آتٍ بما يلام عليه من التّكذيب وادعاء أنَّه إله.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾: وفي عاد قوم هود آية لمن يخاف العذاب الموجع حين بعثنا عليهم الرّيح التي لا تحمل مطرًا ولا تُلقح شجرًا، ولا بركة فيها.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾: ما تترك من نفس أو مال أو غيرهما أتت عليه إلاّ دمَّرته، وتركته كالبالي المتفتِّت.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣﴾: وفي ثمود قوم صالح آية لمن يخاف العذاب الموجع حين قيل لهم: استمتعوا بحياتكم قبل انقضاء آجالكم.

﴿فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤﴾: فتكبروا عن أمر ربهم وعلوا استكبارًا على الإيمان والطَّاعة، فأخذتهم صاعقة العذاب وهم ينتظرون نزوله، إذ كانوا وُعدوا بالعذاب قبل نزوله بثلاثة أيام.

﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥﴾: فما استطاعوا أن يدفعوا عنهم ما نزل بهم من العذاب، ولم تكن لهم قوّة يمتنعون بها.

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٤٦﴾: وقد أهلكنا قوم نوح بالغرق من قبل هؤلاء المذكورين، إنَّهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله، فاستحقوا عقابه.

التَّدبر والتَّزكية:

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾ الخطب يستعمل للشَّأن العظيم وفي ردّ الملائكة ﴿إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ لاستحقاقهم العذاب على جرمهم.

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣﴾: الإرسال في هذا المقام بمعنى العذاب.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾: أي مُعَلَّمَةً لكلّ مجرم منه نصيبه المعلوم منها.

﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾: الاسراف ومجاوزة الحدّ سبب في عقوبة الله العاجلة فعلى العبد الحذر من الاستهانة بالمعاصي والذّنوب لكي لا تجره الى الاسراف فيها فيحلَّ عليه عذاب الله.

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥﴾ الإيمان سبب النّجاة في الدّنيا والأخرة وهو سبب الأمن من عذاب الله.

﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾: أي عبرة لمن يعتبر من المؤّمنين الذين يخافون عذاب الله تعالى.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾: أي جعلنا في قصّة موسى مع فرعون آية، أو عطف على (وفي الأرض).

سؤال تدبريّ: ما هو السُّلطان المبين؟

السّلطان المبين: هو الحجج القاطعة والبراهين السَّاطعة والبيّنات الرَّائعة التي رزق الله بها نبيّه موسى عليه السلام.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ فتولى فرعون وأعرض بركنه أي بجنبه، أو بأنصاره وجنوده وأعوانه. وقال ساحر لأنّ السِّحر كان منتشرا في ذلك الزّمان أو مجنون به شي من الجنون.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾ لأنّ القصّة مسوقة لضرب العبرة؛ والأخذ هنا هو الانتقام الشّديد؛ وفي قوله (وجنوده): أي الرّكن الذي التجأ إليه؛ ﴿فَنَبَذۡنَٰهُمۡ﴾ القيناهم مع احتقار وإهانة لأنّ فرعون تعزز بركنه المهزوز الذي ظنّ أنّه سيحميه؛ فعلينا أن نلتجئ إلى الرُّكن الشّديد وهو الله سبحانه وتعالى.

﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ أي أتى ما يُلام عليه فتجنب يا عبد الله كلّ فعل تلام عليه حتى لا تحتقر وتعذب.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ سؤال تدبريّ: لمَ وصف الرّيح بالعقيم؟ لأنّها ليست ريحا طيّبة فليست من الذّاريات المذكورة في أوّل السّورة.

(المجلس السَّابع:[60] من الآية 47-54):

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴾[الذاريات:47-54].

التَّفسير:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾: والسّماء بنيناها، وأتقنّا بناءها بقوة وإنّا لموسعون لأطرافها.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨﴾: والأرض جعلناها ممهدة للسّاكنين عليها كالفراش لهم، فنعم الماهدون نحن إذ مهدناها لهم.

﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾: ومن كلّ شيء خلقنا صنفين، كالذّكر والأنثى، والسّماء والأرض، والبرّ والبحر، لعلكم تتذكرون وحدانيّة الله الذي خلق من كلّ شيء صنفين، وتتذكرون قدرته.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾: ففروا من عقاب الله إلى ثوابه بطاعته وعدم معصيته، إني لكم -أيّها النّاس- نذير من عقابه بيّن النّذارة.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾: ولا تجعلوا مع الله معبودًا آخر تعبدونه من دونه، إني لكم نذير منه بيّن النّذارة.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَو مَجنُونٌ ٥٢﴾: مثل ذلك التّكذيب الذي كذب به أهل مكّة كذبت الأمّم السّابقة، فما جاءهم من رسول من عند الله إلاّ قالوا عنه: هو ساحر، أو مجنون.

﴿أَتَوَاصَواْ بِهِۦۚ بَل هُم قَوم طَاغُونَ ٥٣﴾: أتواصى المتقدمون من الكفار والمتأخّرون منهم على تكذيب الرّسل؟! لا، بل جمعهم على هذا طغيانهم.

﴿فَتَوَلَّ عَنهُم فَمَآ أَنتَ بِمَلُوم ٥٤﴾: فأعرض -أيّها الرّسول- عن هؤلاء المكذبين فما أنت بملوم، فقد بلغتهم ما أرسلت به إليّهم.

التّدبر والتّزكية:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَينَٰهَا بِأَييْد﴾: هذا أسلوب الاشتغال في تقديم المفعول به لتأكيد المعنى وجاءت﴿بَنَينَٰهَا﴾ بصيغة الجمع للتَّعظيم، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: إتمام لمعنى الانفجار الذي يذكره الفيزيائيون، وكلّ هذه الآيات تدل على عظمة الخالق سبحانه المقتضيّة لتعظيمه وتعظيم أمره ونهيّه.

﴿وَٱلأَرضَ فَرَشنَٰهَا فَنِعمَ ٱلمَٰهِدُونَ﴾ روعيّ في فرش الأرض وصف التَّمهيد فالله سبحانه هو الذي هيأها وهيئ لها كلّ أسباب الرّاحة والاستقرار. ورسالة التّزكية هنا أن الله تعالى يُعلِّمنا كيف نثني عليه.

﴿وَمِن كُلِّ شَيءٍ خَلَقنَا زَوجَينِ﴾: ذِكر لفظة (شيء) لأنَّها أعمُّ كلمة في اللُّغة فالزّوجية ظاهرة عامّة في كلّ خلق ولا تفرد إلاّ للخالق سبحانه وتعالى فالله سبحانه

وتعالى وترٌ؛ فلنحذر من جعل النِّد له سبحانه وتعالى. كما أنَّ التَّقديم والتّأخير في قوله ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا﴾ للاهتمام بمخلوقات الله تعالى والتّفكر فيها.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بعد ذكر دلائل القدرة والإحاطة بكلّ شيء فروا إليه، وذِكر الفرار هنا لأنَّ الهلاك محيط بالإنسان من كلّ ناحيّة فأنتم مُحتاجون على الفرار إليه سبحانه وتعالى؛ فلنبادر بالتّوبة النَّصوح إلى الله فلا منجى ولا ملجأ من الله إلاّ إليه.

﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾: هذه الآية جمعت بين الْمُرْسِلِ والمرسَل إليه والرَّسول وهذا **يدل على أنَّ النّبي** ﷺ لم يأت بالرِّسالة من عند نفسه بل من عند الله، وفيها تقديم وتأخير للاهتمام بشأّن المنذرين وهذا من رحمة الله أن بيَّن لنا ولم يتركنا تائهين.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وهُنا جاء بالنَّهي بعد الأمر بالفرار إليه ففيه جمع بين الأمر والنَّهي وهو معنى لا إله إلاّ الله التي جمعت بين النَّفي والإثبات؛ وفائدة التّكرار هنا لتوكيد الدَّعوة إلى الفرار من مواقع الأخطار وتحقيقا للإنذار بعد تأديته الوظائف السَّابقة من تبليغ وبيان وإقناع وتبشير.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾: لفظة (كذلك) من أساليب الفصل وتقتضي التّشبيه ففيه تسليةٌ للنّبي ﷺ معناه أنَّ هذا هو خُلُقُ الكافرين الذي اجتمعوا عليه وأنهم فعلوا مع الرّسل قبلك مثل ما فعلوا معك فلتكن لنا أسوّة بالأنبياء في الصّبر على المدعوّين.

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ﴾: توقيف وتعجب في توارد نفوس الكفرة على الطُّغيان في تكذيب الأنبياء مع تفرق الزّمن واختلافه.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾: فيه بيان شِدَّة حرص النّبي ﷺ على هدايتهم فالله سُبحانه وتعالى يسلِّي نبيَّه الكريم؛ والمعنى لست بملوم؛ فَلَمْ ولن تُلَام فما قصَّرت في الدَّعوة أبدا.

(المجلس الثَّامن:[61] من الآية 55-60): ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾[الذّاريات:55-60].

التّفسير:

﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾: ولا يمنعك إعراضك عنهم من وعظهم وتذكيرهم، فعظهم وذكّرهم، فإنَّ التّذكير ينفع أهل الإيمان بالله.

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾: وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ لعبادتي وحدي، ما خلقتهم ليجعلوا لي شريكًا.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾: ما أريد منهم رزقًا، ولا أريد منهم أن يطعموني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾: إنَّ الله هو الرّزاق لعباده فالجميع محتاجون إلى رزقه ذو القوّة المتين الذي لا يغلبه شيء وجميع الجنِّ والإنس خاضعون لقوّته سبحانه.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩﴾: فإنَّ للذين ظلموا أنفسهم بتكذيبك - أيُّها الرَّسول - نصيبًا من العذاب مثل نصيب أصحابهم السّابقين، له أجل محدد، فلا يطلبوا مني تعجيله قبل أجله.

﴿فَوَيۡل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾: فهلاك وخسار للذين كفروا بالله، وكذَّبوا رَسُولهم من يوم القيامة الذي يُوعدون فيه بإنزال العذاب عليهم.

التّدبر والتّزكية:

﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: فيه إظهار عناية بالمؤّمنين لأنَّ التَّذكيرَ ينفعهم فعلى الدَّاعية أن يُذكِّرَ النَّاس لهدايّة النَّاس فإنَّ منهم قُلوبا شارفت الإيمان وستنتفع به.

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾: الغايّة التي خلق الله من أجلها الجنّ والإنس هي توحيد الله تعالى وعبادتُه فهم مستعدون للعبادة بما وهبهم الله من وسائل الإدراك لمعرفة الله وتوحيده، فمن أطاع أثيب ومن عصى عُوقب.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡق﴾: أي ما خلقتهم لمصلحتي بل لمصلحتهم فالله غني عن خلقه أجمعين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾: تعليل لعدم طلب الرَّزق؛ فالله هو الرّزاق الذي يرزقكم على الحقيقة فاطلبوا الرّزق منه سبحانه وحده.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا﴾: أي نصيبا يُصَبُّ عليهم كما يُصَبُّ الماء؛ فإذا اتضحت هذه الحقائق العقديّة ولم يؤّمنوا فإنّ لهم نصيبا من العذاب الدّنيوي والأخرويّ.

﴿فَوَيۡل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَومِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾: وضع الموصول موضع الضَّمير تسجيلا عليهم بما في حيِّز الصِّلة من الكفر واشعار بعلّة الحكم.

خاتمة المجالس:

ثمّ ختم الشّيخ أمحمّد صافي في ختام المجالس بذكر المناسبة بين نهاية السّورة ومطلعها في أسلوب بديع في اثبات المحور العامّ للسّورة وهو يوم البعث والنّشور.

كما تألّق الأستاذ محمّد حسن خلف في بيان ما نتواصى به من أهميّة الفوائد الإيمانية والوعظيّة وهي المقصد العظيم من هذا البرنامج مشيرا إلى قوله تعالى ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وأجابه الشّيخ ببيان معاني العبادة في تحقيق الخوف من الله والاشفاق على المخلوقين، مبينا حالة الانسان بين جوانب التّكليف والتّشريف وبيان جوانب توفيق الله لعباده المؤّمنين.

خاتمة:

أوّلا: النّتائج:

المجالس القرآنيّة: هي مجالس تُقام في بيوت الله تعالى أو غيّرها، يحضـــرها عـدد من اثنين فأكثر، بغـرض تـدارس القـرآن تـلاوة وتفهـماً وتـدبراً لتحقيـق الاهتـداء والتَّزكية بالقرآن، وهي من أفضل السّـبل لـربط النّـاس بكتـاب الله، والعـيش معـه وتذوّق معانيه، واستحضار هداياته، فهي مَدْرَسَةُ القرآن التـي يتربـى بهـا الإنسـان أحسن تربيّة حتى يكون خُلُقُهُ القرآن وحياته القرآن ؛

-أنَّ مجالس تدارس القرآن مدرسة ربانية ومنهج نبويّ، تخرَّج منه أجيال السَّلف الأول، ومنه يجب أن يتخرَّج أجيال الأمّة كلّها؛

-أنّ مجالس تدارس القرآن خير طريق للبناء التَّربوي الصّحيح وتحقيق الأهداف بأيّسر وأسّرع طريق؛

-أنّ برنامج (في رِحاب سورة) مشروع تجديدي يُحقِّق للأمّة ما تصبوا إليـه مـن بناء جيل قرآني؛

-أنّ هذا البرنامج يحقّق أبعاداً تربوية عميقـة مـن توثيـق الصِّـلة بـين المسـلمين وتعزيز القيّم في نفوسهم وتحقيق الشّخصيَّة المسلمة الفاعلة ؛

-أنَّ هذا البرنامج يواجه الانحرافات الفكريّة والسُّلوكيّة ويُحقق التَّوازن والمنهج المعتدل لدى المسلم.

ثانيا: التَّوصيات:

- توجيه عناية مراكز الدِّراسات البحثيّة كالكراسي القرآنية والجمعيّات العلميَّة لرسم المنهجية الصّحيحة لهذا المشروع ؛

- تبني مشروع التّدارس من قبل المؤسّسات الدّينيّة والإعلاميّة والتَّعليميّة والتّربويّة والجمعيّات التي تعنى بتحفيظ القرآن الكريم؛

- توجيه عناية المتخصّصين للمشاركة وتفعيل هذه المشاريع التّدارسيّة خصوصا في وسائل الإعلام؛

- العناية بعلماء الأمّة الإسلاميّة وعلماء الجزائر على وجه الخصوص بعقد مثل هذه الملتقيات العلميّة والنّدوات التّعريفيّة لربط طلاب العلم بهم على وجه الخصوص ولتعريف عامّة النّاس بهم، وجعل هذه الملتقيّات سُنة سنويّة تُعرِّف برموز الأمّة وأعلامها.

هذا والعلم عند الله وصلى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحابته أجمعين؛

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع:

أوّلا: القرآن الكريم:

ثانيا:

01. إتحاف فضلاء البشر ، أحمد بن محمّد الدّمياطي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت لبنان ط:01، سنة: 1419هـ .

02. آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، ط:01،سنة: 1997م.

03. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، ياقوت بن عبد الله الحموي المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط: 01،سنة: 1414 هـ.

04. أساس البلاغة، محمود بن عمر الزّمخشريّ، المحقق: محمود شاكر، مطبعة المدنيّ القاهرة، مصر، دط، سنة: 1991م .

05. الأعلام ، خير الدّين بن محمود الزّركلي، دار العلم للملايين، ط: 15، سنة: 2002 م.

06. (أفلا يتدبّرون القرآن) ناصر بن سليمان العمر، دار الحضارة، الرّياض السّعودية ط:01،سنة:1432هـ.

07. أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي ، المحقّق: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، دار إحياء التّراث العربيّ ، بيروت ، لبنان ، ط: 01 ،سنة: 1418 هـ .

08. أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائريّ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النّبوية، السّعودية ، ط:05،سنة: 1424هـ .

09. البرهان في علوم القرآن، بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركـشي، المحقّـق: محمّـد أبو الفضل إبراهيم، ط: 01 ، دار إحياء الكتب العربيّة ، القاهرة ، مصر، سنة: 1376هـ.

10. التّربية بـالقرآن الكـريم (منـاهج وتجـارب) جامعـة أم القـرى، مكّـة المكرمـة السّعودية سنة:1436هـ .

11. التّسهيل لعلوم التّنزيل، محمّد بن أحمد؛ ابن جزي الغرناطي، المحقّـق: عبـد الله الخالدي؛ دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط: 01،سنة: 1416 هـ.

12. تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، عبـد الـرّحمن بـن نـاصر السّـعدي المحقّق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، مؤسّسة الرّسالة، ط:01،سنة: 1420هـ .

13. التّيسير بشرح الجامع الصّغير، عبد الرّؤوف المنـاوي، مكتبـة الإمـام الشّـافعي الرّياض، السّعودية، دط، سنة: 1408هـ .

14. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير أبو جعفر الطّـبري المحقّـق: الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التّركي، دار هجر، الطّائف، السّـعودية، ط: 01،سـنة: 1422 هـ .

15. حاشيّة السّندي على سنن ابن ماجه، محمّد بن عبد الهادي السّـندي، دار الجيـل بيروت، لبنان، دط، دت.

16. الحجة في القراءات السّبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، دار الشّـروق ، بـيروت لبنان ، ط:04 ،سنة: 1401ه.

17. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النّيسابوري، المحقّق: محمّد فؤاد عبـد البـاقي دار إحياء التّراث العربيّ بيروت، لبنان، دط، دت.

18. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان، دط، سنة: 1379هـ.

19. القرآن العظيم وأثره في السّلوك القويم، محمّد بن أحمد البدور، مركز النّبأ العظيم مكّة المكرمة، السّعودية، ط: 01، سنة: 1438هـ.

20. لسان العرب، محمّد بن مكرم ابن منظور الأنصاريّ، دار صادر، بيروت، لبنان ط: 03، سنة: 1414ه.

21. نفح الأزهار في منتخبات الأشعار، شاكر البتلوني المحقّق: إبراهيم اليازجي المطبعة الأدبيّة، بيروت، لبنان، ط: 03، سنة: 1886 م.

22. مجالس تدارس القرآن دراسة تأصيلية منهجيّة، محمّد بن عبد الله الرّبيعة، مركز النّبأ العظيم، مكّة المكرمة، السّعودية، دط، سنة: 1437هـ.

23. مجالس التّدارس القرآنية وأثرها التّربوي، محمّد بن عبد الله الرّبيعة.

24. محاسن التّأويل، محمّد جمال الدّين القاسمي، محمّد عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: 01، 1418 هـ.

25. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدّعوة، القاهرة، مصر، دط دت

26. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني المحقّق: عبد السّلام محمّد هارون دار الفكر، دمشق سوريا، دط، سنة: 1399هـ.

27. معرفة القراء الكبار على الطّبقات والأعصار، محمّد بن أحمد الـذّهبي مؤسّسة الرّسالة، المحقق: بشار عواد معروف، وآخرون بـيروت، لبنـان، الطّبعـة الأولى، سـنة: 1404هـ.

28. مفهوم التّفسير والتّأويل والاستنباط والتّـدبر والمفسـر، مساعد بـن سـليمان الطّيار دار ابن الجوزي، الرّياض، السّعودية، ط: الثّانية، سنة: 1427ه.

29. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بـن شرف النّـووي، دار إحيـاء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط:02، سنة: 1392هـ .

30. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، شمس الدّين أحمـد بـن محمّـد ابـن خلكـان البرمكي، المحقّق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط ، سنة1900م.

المواقع الإلكترونيّة:

31. مقال: بعنوان (الفرق بين التّفسـير والتّـدبر) لفريـد الأنصـاري بموقـع مركـز تفسير:

http://www.tafsir.net/article

32. شرح سـنن أبي داود، للشّـيخ عبـد المحسـن العبـاد بموقـع شـبكة مشـكاة الإسلاميّة:

http://www.almeshkat.net

33. برنامج (**في رِحاب سورة**) مع د. أمحمّد صافي المستغانمي: موقـع ملتقـى أهـل التّفسير: https://vb.tafsir.net/forum

34. مقال بعنوان: (**تلفزيون الشّارقة يعرض برنامجا جديدا لتفسير القـرآن الكـريم**) بموقع صوت الإمارات: https//emiratesvoice.com

35. حلقات برنامج (في رِحاب سورة الذّاريات) على موقع اليوتيوب:

01– https://www.youtube.com/watch?v=rnJ4nXAtpns

https://www.youtube.com/watch?v=JoUGi8iEz9802-
https://www.youtube.com/watch?v=HILusfli-ZE03-
https://www.youtube.com/watch?v=FlOxwr68v20&t=225s04-
https://www.youtube.com/watch?v=nygqlB8W4bo05-
https://www.youtube.com/watch?v=eG0RtF2l52E06-
https://www.youtube.com/watch?v=KwcLaOgPfrw07-
: 08-https://www.youtube.com/watch?v=NS6wxJbC4sO

الهوامش:

[1]- أيسر التَّفاسير لكلام العليّ الكبير، جابر بن موسى أبو بكـر الجزائـريّ، مكتبـة العلـوم والحكـم، المدينـة النّبوية السّعودية، ط:05، سنة: 1424هـ(05/ 517).

[2]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمّد بن جرير أبو جعفر الطّبري المحقـق: الـدّكتور عبـد الله بـن عبـد المحسن التّركي، دار هجر، الطّائف، السّعودية، ط: 01،سنة: 1422 هـ(02/ 58).

[3]- ينظر: التّربية بالقرآن الكريم (مناهج وتجارب)، مجموعة باحثين، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة السّعودية سنة:1436هـ(01/ 05).

[4]- البيت لأبي بكر بن عمَّار: ينظر: نفـح الأزهـار في منتخبـات الأشـعار، شـاكر البتلـوني المحقّـق: إبـراهيم اليازجي المطبعة الأدبيّة، بيروت ، لبنان ، ط: 03،سنة: 1886 م (43).

[5]- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشي، المحقّق: محمّد أبـو الفضـل إبـراهيم، ط: 01 دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، مصر، سنة: 1376هـ(01/ 04-05).

[6]- الحديث من رواية أبي هريرة ﷺ رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذّكر برقم (2699) .

[7]- ابن كثير(45 - 120 ه) عبد الله بن كثير بن المطلب الإمام أبو مَعْبَدٍ مولى عمرو بن علقمة الكناني الـدّاري المكي إمام المكيين في القراءة تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكّة في ضبط القرآن.ينظر: معرفـة القـراء الكبـار على الطّبقات والأعصار، محمّد بن أحمد الذّهبي مؤسّسة الرّسالة، المحقـق: بشَّـار عـواد معـروف، وآخـرون بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، سنة: 1404هـ(01/ 86) والأعلام، خير الدّين بن محمود الزِّرِكلي، دار العلم للملايين، ط: 15 ،سنة: 2002 م(04/ 115).

[8]- أبو عمرو(70 - 154 ه) بن العلاء بن عمار بن العريان، التّميمي ثمّ المازنيّ، المقـرئ النّحـوي البصـــري الإمام مقرئ أهل البصرة إليه انتهت الإمامـة في القـراءة بالبصـــرة. ينظـر: معرفـة القـراء الكبـار بتصـــرّف (01/ 100)، والأعلام للزِّرِكلي(03/ 41).

[9]- إتحاف فضلاء البشر، أحمد بن محمّد الدّمياطي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط:01،سنة: 1419هـ(381).

[10]- الحجة في القراءات السّبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه، دار الشـــّروق، بـيروت، لبنـان، ط:04، سـنة: 1401(ص: 147).

[11]– المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدّعوة مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، مصر، دط، دت (01/ 280).

[12]– لسان العرب ، محمّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: 03، سنة: 1414هـ (06/ 79) .

[13]– أساس البلاغة، محمود بن عمر الزّمخشري ، المحقّق: محمود شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة ، مصر، دط سنة: 1991م (01/ 258).

[14]– البيت لمحمّد بن محمّد رشيد الدِّين المعروف بالوطواط الأديب الكاتب، ينظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) ياقوت بن عبد الله الحموي المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت لبنان، ط: 01، سنة: 1414 هـ (06/ 2631) .

[15]– ينظر : مجالس تدارس القرآن دراسة تأصيليّة منهجيّة، محمّد بن عبد الله الرّبيعة، مركز النّبأ العظيم، مكّة المكرمة، السّعودية، دط، سنة:1437هـ (14).

[16]– ينظر: معجم مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارس القزويني المحقق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر دمشق سوريا، دط، سنة: 1399هـ (04/ 504). ولسان العرب (17/ 106).

[17]– ينظر: التّسهيل لعلوم التّنزيل، محمّد بن أحمد؛ ابن جزي الغرناطي، المحقّق: عبد الله الخالدي؛ دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ، لبنان، ط: 01، سنة: 1416 هـ (01/ 15).

[18]– مفهوم التّفسير والتّأويل والاستنباط والتّدبر والمفسر، مساعد بن سليمان الطّيار، دار ابن الجوزي الرّياض السّعودية، ط: الثّانية، سنة: 1427ه(185).

[19]– يُنظر: مقال :بعنوان (الفرق بين التّفسير والتّدبر) لفريد الأنصاري بموقع مركز تفسير: 5015
http://www.tafsir.net/article/
وكتاب(أفلا يتدبّرون القرآن) ناصر بن سليمان العمر، دار الحضارة، الرّياض، السّعودية ط:01،سنة:1432هـ(113) .

[20]– أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقّق: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.لبنان ، ط: 01 ،سنة: 1418 هـ (02/ 25).

[21]- تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرَّحمان بن ناصر السّعدي، المحقّق: عبد الرّحمن بن معلا اللويحق، مؤسّسة الرّسالة، ط:01،سنة: 1420هـ (136).

[22]- محاسن التّأويل، محمّد جمال الدّين القاسميّ، محمّد عيون السّـود، دار الكتـب العلميّـة، بـيروت، ط:01 1418 هـ (02/ 340).

[23]- مجالس تدارس القرآن (17).

[24]- سبق تخريجه ص(2).

[25]- التّيسير بشرح الجامع الصّغير ،عبد الرّؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشّـافعي، الرّيـاض، السّـعودية، دط سنة: 1408هـ (2/ 655).

[26]- من شرح سنن أبي داود، للشّيخ عبد المحسن العباد بموقع شبكة مشكاة الإسلاميّة:

http://www.almeshkat.net

[27]-حاشيّة السّندي على سنن ابن ماجه. محمّـد بـن عبـد الهـادي السّـندي، دار الجيـل، بـيروت، لبنـان ، دط دت(01/ 223).

[28]- مجالس تدارس القرآن (29).

[29]- قال الإمام النّووي: ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجـتماع في مدرسـة وربـاط ونحوهمـا إنّ شاء الله تعالى. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجـاج، يحيـى بـن شرف النّـووي، دار إحيـاء الـتّراث العربيّ بيروت، لبنان، ط:02،سنة: 1392هـ (17/ 22).

[30]- مجالس تدارس القرآن (31-36) بتصرّف.

[31]- أخرجه البخاري في صحيحه باب كيف بدأ الوحيّ على رسول الله ﷺ، برقم(06).

[32]- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، بـيروت، لبنـان دط سنة:1379هـ(01/ 31).

[33]- مجالس تدارس القرآن (39-40) بتصرف.

[34]- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي ، بَاب مَنْزِلِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ برقم (4294).

[35]- الحديث رواه ابن جرير قال أحمد شاكر هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنّما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ. فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النّبوي المنير. ينظر: تفسير الطّبري الحديث برقم (81) (01/ 80)

[36]- الحديث رواه ابن جرير قال أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل، أبو عبد الرّحمن: هو السُلَمي، واسمه عبد الله بن حبيب، وهو من كبار التّابعين؛ وقد صرح بأنّه حدثه الذين كانوا يقرئونه، وأنّهم كـانوا يستقرئون من النبي ﷺ"، فهم الصحابة. وإبهام الصّحابي لا يضر، بل يكون حديثه مسندًا مُتصلا، ينظر: تفسير الطّبري الحديث برقم (82) (01/ 80)

[37]- ينظر: تفسير الطبري الحديث برقم (3999) (04/ 245).

[38]- ينظر: المصدر نفسه: برقم (84) (01/ 81).

[39]- رواه البخاري، كتاب الدّعوات، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ، برقم (6337).

[40]- مثل برنامج (في رِحاب سورة) وهو عبارة عن لقاء تدبريّ لغويّ حواريّ عبر قناة الشّارقة وقد لقي هـذا البرنامج انتشارا واسعا وشغف النّاس به شغفا كبيرا.

[41]- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: أوّل المفصل من ق إلى آخر القرآن على الصّحيح، وسمي مفصـلا لكثـرة الفصل بين سوره بالبسملة على الصّحيح. ينظر: فتح الباري(02/ 259).

[42]- رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَاب تَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ الْقُرْآنَ، برقم(5036).

[43]- رواه البخاري باب تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ، كتاب فضائل القرآن برقم (5035).

[44]- مجالس تدارس القرآن (132).بتصرّف.

[45]- المرجع نفسه (91-95).بتصرّف.

[46]- آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلاميّ، تـونس، ط:01 سنة: 1997م (01/ 323).

[47]-مجالس تدارس القرآن (141-171) بتصرف، وينظر أيضا: القرآن العظيم وأثره في السّلوك القويم محمّد بن أحمد البدور، مركز النّبأ العظيم، مكّة المكرمة، السّعودية، ط:01،سنة: 1438هـ (13-25) بتصرف.

[48]- أخذت هذه السّيرة العطرة للشّيخ من خلال نموذج لسيرته الذّاتية أتحفني به الشّيخ خلال إعداديّ لهذا البحث.

[49]- برنامج (في رِحاب سورة) مع د. أمحمّد صافي المستغانمي: موقع ملتقى أهل التّفسير:
https://vb.tafsir.net/forum

[50]- ينظر: مقال بعنوان: تلفزيون الشّارقة يعـرض برنامجـا جديـدا لتفسـير القـرآن الكـريم بموقـع صـوت الإمارات:https//emiratesvoice.com

[51]– كما فعلت الباحثة سمر الأرناؤوط المشاركة بملتقى أهل التّفسير والمشرفة على موقع إسلاميّات، ينظر: موقع: ملتقى أهل التفسير: https://vb.tafsir.net/forum

[52]– هذا التّقرير مأخوذ من تسجيل صوتيّ للدّكتور أمحمّد صوتي يُعرف من خلاله بفكرة المشروع وبداياته.

[53]- بُثت هذه الحلقة يوم الأحد 23/ 05/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=rnJ4nXAtpns

[54]–ُثت هذه الحلقة يوم الأحد 30/ 05/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=JoUGi8iEz98

[55]– بُثت هذه الحلقة يوم الأحد 06/ 06/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=HILusfli-ZE

[56]– بُثت هذه الحلقة يوم الأحد 13/ 06/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=FlOxwr68v20&t=225s

[57] ابن الرّومي(221هـ – 283هـ): أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، وقيل جورجيس، المعروف بابن الرّومي، شاعر عباسي كبير، من طبقة بشّار والمتنبي، رومي الأصل، ينظر: الأعلام، خير الدّين بن محمود الزّركلي الدّمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 15 ، سنة: 2002 م (02/ 297).

قال ابن خلكان في وصفه: (الشّاعر المشهور صاحب النّظم العجيب والتّوليد الغريب، يغوص على المعاني النّادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى أخره ولا يبقي فيه بقية). ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، شمس الدّين أحمد بن محمّد ابن خلكان البرمكي، المحقّق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، سنة1900م، (03/ 358).

[58]– بُثت هذه الحلقة يوم الأحد 20/ 06/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=nygqlB8W4bo

[59]- بُثت هذه الحلقة يوم الأحد 27/ 06/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=eG0RtF2l52E

[60]– بُثت هذه الحلقة يوم الأحد 04/ 07/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=KwcLaOgPfrw

[61] بُثت هذه الحلقة يوم الأحد 11/ 07/ 2021 وهي موجودة على هذا الرّابط :
https://www.youtube.com/watch?v=NS6wxJbC4Os

دور الإعلام في توجيه البحوث الجامعيّة
دراسة لآليّات الحجاج والإقناع
الحلقة 02 من حصّة

(في رِحاب سورة للعلامة أمحمّد صافي المستغانمي
-سورة الرّحمن- أنموذجا)

أ.د. هارون مجيد
ج. حسيبة بن بوعلي، الشّلف

توطئة: إنّ ما أختتمت بها الحلقة المذكورة أعلاه نصيحة لكلّ طالب تائه في بحثه في مرحلة ما من بحثه: (الشّواهد على ذلك كثيرة ... وهذه دعوة للإخوة والأخوات المشاهدين بأنّ يستزيدوا أكثر من هذا العلم عبر الاطلاع وعبر البحث وعبر القراءة لأنّ هذا العلم ليس جديدا) يؤديّ الإعلام دورا توجيهيا مهمّا، إذ يتدخل في مفاصل السّياسة والاقتصاد والاجتماع والثّقافة، فغالبيّة الوقت الذي يقضيه الباحثون عموما يكون ضمن الوسائل التّواصلية الحديثة خاصّة على غرار الفايسبوك واليوتيوب، لذا نجد الإعلام الحديث يركز كثيرا على هتين الوسيلتين خاصّة فيديوهات اليوتيوب هنا يأتي الدّور على الحصّة الرّاقية (في رِحاب سورة) أين ركّز أصحابها على الشّق الأكاديميّ التّوجيهيّ بطريقة غير مباشرة عن طريق تسييرها بطريقة تفاعليّة مع العلامة الشّيخ المستغانمي الذي نحسبه موجها فاعلا وفعالا

للفكّـر العـربيّ المعاصـــر مـن خـلال ملامسـة القلـوب وإيقـاظ العقـول بـاعتماد إستراتيجيّات متنوّعة للإقناع وآليات متعـددة للحجـاج، أيـن نلفيـه يـؤثّر في توجيـه البحوث الجامعيّة المعاصـرة بطريقة علميّة أكاديميّة ضمن كلّ الأطوار الجامعيّة فمـا لا شكّ فيه أنّ الاتّجاه العلميّ خطوات يهتدي إليها الباحث في بحثه ومهـما يكـن مـن أمر فإنّ خطوات البحث العلميّ مهما بدت متمايزة مستقلّة فإنّ طبيعة المشكلة قـد تمـلي بعض التّغييرات في ترتيب خطوات البحث وعندما يفكـر الباحـث في نـوع المشـكلة التي سيبحثها قد يفكر أيضا في إمكانية حلّها وفيما يمكن أن يعتمـد عليـه مـن وسـائل وأدوات وعموما تمرّ خطوات البحث العلميّ بمرحلـة مهمّـة جـدّا في أوّل وهلـة ألاّ وهي: اختيّار موضوع البحث والتّخطيط له. هنا يتجلى الدّور المهم الذي لعبته حصـة (في رِحاب سورة) عن طريق العلامة المستغانمي في توجيه عناوين البحوث الجامعيّـة وسنأخذ على سبيل المثال لا الحصر الحلقة الثّانية والمتعلّقة بـــ ﴿سورة الرّحمن﴾.

فيعدّ اختيار موضوع البحث جزءا رئيسا في البحث العلميّ، وليس بالأمر الهـين إذ لابد للباحث من: الثّقافة الواسعة والميول الشّخصي (الـذّاتي) و العلميّ(لاحقـا) كي يهتدي إلى بحث علمي دقيق ، وهذا يكون بعد الاقتناع بفكرة ما أين يكـون قـد سبقتها آلية حجاجيّة وفق محاور محدّدة سلفا من قبـل صـاحب الخطـاب، وهـذا مـا يسوقنا إلى الخوض في المعايير الواجب توفرها في أي خطاب تواصـليّ ومـن ثمّـة في الإستراتيجيّات الإقناعيّة والآليات الحجاجيّـة ومـدى توظيفهـا مـن قبـل العلامـة الأستاذ الدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي كالآتي:

01- آلية الاستشهاد: وتتضمّن:

- الشّاهد القرآنيّ؛
- الشّاهد النّبويّ؛

02- آلية الأسلوبيّة: وتقوم هي الأخرى على:

- التّبئير؛
- المؤكدات؛
- البنى الإفراديّة؛
- بلاغة الصّورة –البيان والبديع–؛
- حسن الابتداء ومسك الختام.

03- آليّة المنطقيّة:

- الهندسة التّدريجية؛
- السّببية والعليّة والقياس؛
- الحجة البرهانية بالحقائق.

*ومن هنا أردنا أن نعلمن بحثنا بطريقة إحصائيّة تقابليّة انطلاقا من مدى توظيف صاحب الخطاب للآليات، التي تتطلب زادا معرفيا ضمن التّخصص المطلوب وحسن توظيفه حجاجيا مرورا بآليات متنوّعة ارتأينا أن نفصل في مدى توافرها في جدول توضيحيّ كالآتي:

<table>
<tr><td colspan="2">01 .آليّة الاستشهاد: وتتضمّن:</td></tr>
<tr><td>الشّاهد القرآنيّ.</td><td>قوله تعالى في سورة الأحقاف، الآية 29:
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾(29).
قوله تعالى في سورة الجنّ، الآية 01:
﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾.
قوله تعالى في سورة النّحل، الآية 01:
﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.
قوله تعالى في سورة الفرقان، الآية 60:
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾.
قوله تعالى في سورة الحجر، الآيتين 94.95:
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾.
قوله تعالى في سورة الفرقان، الآية 30:
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾.
قوله تعالى في سورة الرّعد، الآية 14 والأية 15:
﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾.</td></tr>
</table>

	قوله تعالى في سورة الحديد، الآية 25: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. قوله تعالى في سورة الغاشيّة، الآية 14: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾. قوله تعالى في سورة الحجر،الآية 26، الآية 27: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾.
الشاهد النّبويّ.	• عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صحابي جليل، له فضائل عديدة ومناقب كثيرة منها: أوّل من جهر بالقرآن الكريم بمكّة كان ابن مسعود رضي الله عنه شجاعاً في قول الحقّ، لا يخشى في الله لومة لائم ويكفيه شرفاً أنّه كان أوّل من جهر بالقرآن الكريم بمكّة المكرمة بعد رسولنا ﷺ كما ذكر صاحب كتاب أسد الغابة في معرفة الصّحابة، قال: (عن محمّد بن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة بن الزّبير، عن أبيه قال: كان أوّل من جهر بالقرآن بمكّة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سَمِعت قريش هذا القرآن يُجْهَرُ لَهَا به قط، فمن رجلٌ يُسْمِعُهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا فقالوا: إنّا نخشاهم عليك، إنّما نريد رجلاً له عشيرةٌ تمنعه من القوم إنّ أرادوه، فقال: دَعُوني، فإنّ الله سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضُّحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام

فقال رافعاً صوته: بِسْمِ اللهّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (الـرَّحْمَنُ * عَلَّـمَ الْقُـرْآنَ) «سورة الرّحمن، الآية 1 – 2»، فاستقبلها فقـرأ بهـا، فتـأملوا فجعلـوا يقولون: ما يقول ابن أُمّ عبد؟ ثمّ قالوا: إنه ليتلـو بعـض مـا جـاء بـه محمد فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثمّ انصرف إلى أصحابه وقـد أثّـروا بوجهـه فقـالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداءُ الله قطّ أهونَ عـليَّ مـنهم الآن، ولئن شئتم غَادَيْتُهم بمثلها غداً؟ قالوا: حَسْبُك، قـد أسـمعتهم ما يكرهون»، (أسد الغابة في معرفة الصّحابة 3/ 355؛ • عن عبدالله بن مسـعود ﷺ عنـه أنـه كـان يجتنـي سـواكاً مـن الأراك، وكان دقيـق السّـاقين، فجعلـت الـرّيح تكفـؤه، فضـحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ (ممّ تضحكون؟) ، قالوا: يا نبـيّ الله من دقّة ساقيّه، فقال: (والذي نفسي بيده لهـما أثقـل في الميـزان مـن أُحُد) رواه أحمد؛ • وفي روايّة أخرى: (فنظر أصحابه إلى حموشة سـاقيّه فضـحكوا فقال النّبيﷺ: (ما يُضحككم؟ لَرِجْل عبد الله في الميزان أثّقـل مـن أُحُد) رواه الطّبرانيّ.	
02. آلية الأسلوبيّة: وتقوم هي الأخرى على:	
اللاّزمة: فبأي آلاء ربكما تكـذبان... 31 مـرّة... اسـتفهام إنكـاريّ... يهز الوجدان للثّقلين. ظاهرة التّناظر أوالمقابلة: مثل الثّنائية اللفظيّة والمشـهديّة: العـالم العلـويّ والعالم السّفليّ.	التّبئير.

المؤكدات.	■ ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾: استفهام إنكاري تنبيهي تحذيري؟ ■ ﴿الميزان﴾: 03 مرات الخلق مبني بالميزان وعلى ميزان فلا بد من العمل بعدل وميزان وفي سياق واحد، فالميزان ميزان القرآن وميزان العدل؛ ■ ﴿ربّ المشرقين وربّ المغربين﴾ تأكيد لوحدانيّة الرّبوبية في مشارق الأرض ومغاربها.
البنى الإفراديّة.	- الآلاء ... -ألي و إلي- ... -نعمة ورحمة – فشخصيّة السّورة مبنيّة على النّعم؛ - بحسبان وبعض القراءات بحساب، فالحسبان تفيد الدّقة والزّيادة والمبالغة مثل خسر خسران؛ - النّجم فيه مدلولان: نجم السّماء ونجم الأرض وهو نبات بدون ساق؛ - رفع ووضع: استعمال وضع في القرآن في الأشياء الجميلة (أكواب موضوعة) وصف للجنّة.
بلاغة الصّورة –البيان والبديع-.	التّرتيب عجيب وطريقة العرض أعجب: أجمل ما في اللغة العربيّة وهو الأضداد. البيان: صور بيانيّة عديدة مثل الحب ذو العصف والرّيحان دليل ورمز على الزّرع بالخضرة الزّاهية بالعصف والرّيحان بلوّنه الزّاهي والرّائحة الجميلة.

	المقابلات: - الصّورة التّقابلية بـين: جرمـان علويـان نباتـان سـفليان الشّـمس والقمر بحسبان/ النّجم والشّجر يسجدان؛ - الصّورة الثّانية: والسّماء رفعهـا ووضـع الميـزان والأرض وضـعها للأنام مقابلة بين صورة رفع السّماء ووضع الأرض وما بينهما من ميـزان وعدل وتوازن... إلخ؛ - النّخل ذات الأكـمام وجنتـان ذواتـا أفنـان صـورة متدليـة لزيـادة الجمال؛ - ربّ المشرقين وربّ المغربين. والطّباق: - النّجم نبات بدون ساق والشّجر نبات بساق؛ - رفع السّماء ووضع الميزان (بين الرّفع والوضع).
حسن الابتداء ومسكّ الختام.	ابتدأ بقوله: يكفيها شرفا أنّ الله أعطاها هذا الاسم ﴿الرّحمن﴾. على عكس ما نجده في سورة فاطر وسورة غـافر كـان اسـم الله تعـالى ضمن السّياق على عكس الرّحمن هي بمفردها آية. ختمها بقوله: هي سـورة عـروس، ومـن قرأهـا يعـيش في الرّحمـات والآلاء التي بسطها الله ﷻ.
03.آليّة المنطقيّة:	
الهندسة التّدريجيّة.	التّرتيب عجيب: وطريقة العرض أعجب؛ الرّحمن... ثمّ خلق القرآن... ثمّ خلق الانسان... ثمّ علمه البيان؛ • الجانب الهرميّ للسّورة:

	- الرّحمن ...01؛ - خلق الانسان/ علمه البيان ... 02؛ - الشّمس والقمر بحسبان/ والنّجم والشّجر يسجدان ... 03. مثال: الأرض وضعها للأنام ثمّ يصف محتواها (فاكهة والنّخل ذات الأكمام و الحب ذو العصف والرّيحان).
السّببية والعليّة والقياس.	*سبب كونها مكّية: الرّاجح أنّ السّورة مكّية بحكم الآتي: القالب لغتها، إيقاعها الصّوتي، ومعانيها المبنيّة على التّوحيد الآلاء، الرّحمات خلق الإنسان... وصف الجنان... إلخ، كما أنّها نزلت إجابة على ما ورد في سورة الفرقان وهي مكّية، وما الرّحمن إضافة إلى حادثة عبد الله بن مسعود عن جهره بها في مكّة ... *بين العلّة والمعلول: في التّفسير يقال قدّم العلّة على هنا على المعلول إذ علّم القرآن ثمّ خلق الإنسان ثمّ علمه البيان لتدبر القرآن. * تبدأ لأوّل مرّة اللازمة في الآية 13: ما قبلها عامّ وكلّ خلق قبل خلق الإنسان: ثمّ يبدأ ليفصل من جديد كالآتي: **خلق الانسان من صلصال كالفخار: لأنّ كلّ شيء مسخّر للإنسان كما أنّه وصف الإنسان بأبهة حلّة نهائيّة ألاّ وهي الفخار وهي أجمل الأطوار المستعمل للزّينة ويكون عمليا ووظيفيا، حيث سابقا كان ترابا ثمّ طين لازب أي يلتصق (تراب و ماء) ثمّ من صلصال من حمأ مسنون (به رائحة كريهة) فكلّها أطوار للخلق؛

	**ثمّ خلق الجان من مارج من نار: والمـارج هـو اللهـب البرتقـاليّ (أجمل ما في النّـار) فسـورة الـرّحمن عـروس القـرآن تصـطحبها ألفـاظ تناسب العروس، على عكس ما نجده في سورة الحجر (الجـان مـن نـار السّموم) نار مسمومة سوداء كالحة...
الحجة البرهانيّة بالحقائق.	نماذج حجاجيّة: • سـورة النّحـل فيهـا الـنعم مـن البدايـة إلى النّهايـة/ عـدّدها بالتّفصيل/ في حوالي حزب ونصف بما يعادل 15 صفحة؛ • سورة الرّحمن فيها الآلاء من البداية إلى النّهايـة/ صـورة مـوجزة ومن أهمّ الأمثلة: - تنوّيع الآلاء لأنّها أعظم من النّعم ... ؛ - ربّ المشرقين وربّ المغربين: إذا رأينا إلى كرويّـة الأرض ونظرنـا نجد مشـرقان ومغربـان فالشــّروق عنـدنا هـو غـروب عنـد غيرنـا والعكـس، والـبعض يقـول أنّ الشــّروق والغـروب في ذاتـيهما لهـما زاويتين مختلفتين ... إلخ.

خاتمة: إنّ تحديد الأهداف يساعد لبلوغ المرام، ولقد حرصت لأن تكون الغايّة من البحث خدمة اللّسان العربيّ على العموم وكتاب الله ﷻ على وجه الخصوص لذلك أعملت الفكّر على رصد المعارف البانيّة للغرض من الخطاب الإعلاميّ عموما وحصّة (في رِحاب سورة) خاصّة عن طريق العلامة الشّيخ أمحمّد صافي المستغانمي، ممّثلة في توجيه وتنوير العامّة عموما والباحثين خصوصا العاملين منهم في حقل القرآن الكريم، فعملت على مطابقة مدى توافر الإستراتيجيّات الإقناعيّة والآليات الحجاجيّة لهذه الحصّة الإعلاميّة وصولا إلى توجيه علميّ دينيّ، ثقافيّ واجتماعيّ، فاختبرت بعض الفرضيّات قصد التأكّد من صلاحيّتها وخلصت إلى مجموعة من النّتائج عن طريق البحث والتّنقيب أهمّها:

- سورة الرّحمن عروس القرآن مزينة بألفاظها ومعانيها، وردت في أبهى حلّة تناسب العروس فهي عروس فيما انتقت؛
- التّرتيب الهرميّ للآيات هو ترتيب لصور الخلق من قرآن، ثمّ سماء، ثمّ أرض، ثمّ انسان، ثمّ جان... إلخ، له حكمة لا يعلمها إلاّ الله ﷻ؛
- كلّ ما ورد في القرآن من تعابير ورد في سورة الرّحمن قمّة، وجاء على أجمل ما يكون و مخصصا بما يتناسب وعروس القرآن مثال في سورة فاطر : 3 "هو الذي سخر لكم البحر لتركبوه حليّة تلبسونها، وفي سورة الرّحمن: (اللؤلؤ والمرجان) تبيينا لأيّ نوع من الحليّة فهذا يليق بعروس القرآن، وفي قوله في سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾برزخا

بمعنى حاجزا وحجرا محجورا كأن أحـدهما يتعـوذ مـن الثّـاني وفي الـرّحمن ﴿مـرج البحرين يلتقيان﴾ يتصافحان ولا يبغي أحدهما على الآخر؛

- الإيقاع الصّوتي فكلّ سورة لها قالبها الصّوتي المناسب والمنسجم مـع مناسـبة والغرض من السّورة الكريمة؛
- سورة الرّحمن مبنيّة عـلى الانتقائيّـة العجيبـة للألفـاظ والمقـابلات الصّـورية والمشهديّة، حيث استعمل أجملها وأليقها، فكلّ لفظة منتقاة بحكّمة إلهيّـة لا يعلمهـا إلاّ الله ووقعها بالغ الأثر على نفس متلقيها مثل: الأنام، الأفنان، مرجان، نضـاختان مدهامتان، ياقوت صورة لها ثيابها اللفظيّ، وكلّ تعبـير ورد في سـورة الـرّحمن ورد مخففا وجميلا وألطف مثل: وصف الحور العـين: ﴿قـاصرات الطّـرف أتـراب﴾ أي متساويات السّن، ﴿قاصرات الطّرف عين كأنّهن بيض مكنون﴾ وفي سورة الـرّحمن: ﴿لم يطمثهن قبل إنـس ولا جـان﴾ ... ﴿كـأنّهن اليـاقوت والمرجـان﴾، فـأيّها أليـق بالعروس البيض المكنون أم الياقوت والمرجان؟
- حتى المعانيّ التي فيها شدة نلفيها في سورة الرّحمن بطريقة لينة خفيفة تناسـب الجو العامّ للسّورة الكريمة ففي بعض السّور نجد وفق جهنّم والعيـاذ بـالله، (هـذه جهنّم التي كنتم توعدون فاصلوها اليوم) وقوله تعالى: ﴿يسحبون في الحمـيم ثـمّ في النّار يسجرون﴾ أما في سورة الرّحمن: ﴿يطوفون بينهـا وبـين حمـيم آن﴾، فـالطّواف يكون في وصف الجنان؛

- إنّ تأثير الإعلام الهادف –الأكاديميّ– في نفوس المتلقين من طلبة يوجه لا ريب البحوث العلميّة وينير لها الطّريق من بعد تيهان، ولكن هذا ليس مزاجيا بل هو بعد حجّة وإقناع فاقتناع؛
- في الإعلام، إنّ اللغة البسيطة الهادفة والمعرفة الثّابتة تسوقنا دوما لنتائج صائبة؛
- اُختتمت حلقة البرنامج بقول الإعلاميّ: (الشّواهد على ذلك كثيرة ... وهذه دعوة للإخوة والأخوان المشاهدين بأنّ يستزيدوا أكثر من هذا العلم عبر الاطلاع وعبر البحث وعبر القراءة لأنّ هذا العلم ليس جديدا).

الجهود البلاغيّة لـ أمحمّد صافي المستغانمي
في تفسيره للقرآن الكريم
-من برنامج في رِحاب سورة-

(سور الطّواسين نموذجا)

أ.د. محمّد سعيد حسين مرعي
كلية التّربية للبنات، ج. تكريت، العراق

1- **ملخص**: شاع عند كثير من الدّارسين قديما وحديثا، بأنّ البلاغة ؛ (علم لم ينضج ولم يحترق)، ووصموها بالتّعقيد والغموض، أو بالجمود والعقم، أو الوهن والجفاف وإلى غير ذلك من أقوال، جعلت من الدّرس البلاغيّ درسا بعيدا عن النّفوس تنفر منه الأذواق، ولم يلق قبولا عندهم، حتى حدا الأمر ببعضهم إلى أنّ يدعو إلى حذف البلاغة القديمة ... وأن تحل محلها الأسلوبيّة أو النّقد الأدبي أو الألسنيّة.

وتحدّث بعضهم الآخر عن أهميّة علم البلاغة ومدى ارتباطه بالقرآن الكريم من خلال الدّراسات التي دارت حوله على نحو ما نجد في التّفاسير والإعجاز البلاغيّ، وقد أدرك المفسّرون – القدماء والمحدثون– أهميّة ذلك، وهذا ما يتضح جليا في مقدّمات تفاسيرهم أو في متونها، حتى أنّ معرفته صارت ركنا من أركان التّفسير، وشرطا يجب توافره في كلّ من ينهض لتفسير القرآن الكريم.

ويلاحظ على عموم الدّراسات التي تناولت العلاقة بين البلاغة والتّفسير أو الإعجاز، أنّها أكدت على أهميّة البلاغة في فهم القرآن وتفسيره من جهة، وإدراك إعجازه من جهة أخرى، وبالتّالي لا بد من حضورها عند تفسير الآيات القرآنيّة ومعرفة فنونها المتنوّعة وتوظيفها توظيفا دقيقا لتسهم في إبانة المعاني والكشف عن الإعجاز البلاغي للقرآن (المعجز ببلاغته)، من هنا تحاول هذه الدّراسة الكشف عن الجهود البلاغيّة للشّيخ أمحمّد صافي المستغانمي في تفسيره للقرآن الكريم وبراعته في اكتشاف تلك الفنّون البلاغيّة المتنوّعة، وكيف أفصحت عن المعاني الدّقيقة التي انطوت عليها لتؤدي ما جاءت من أجله مراعاة لمقتضى الحال ومتطلبات السّياق، ومما زاد من أهميّة الدّراسة، أنّ السّيد المستغانمي يمتلك كثيرا من المؤهّلات العلميّة والفكريّة والدّينية والاجتماعيّة، التي وسمت نتاجه بالجدّة والتّجدد مراعاة لواقع الحال المعاش، حيث التّطور الهائل في مختلف مناحي الحياة فضلا عن باعه الطّويل في مضمار التّأليف والدّعوة والإعلام وتمكنه في البلاغة واللغة والتّفسير، ممّا أضاف له نورا على النّور الذي هو فيه، ذلك بأنّ من يواصل العمل ويديم النّظر في كتابه العزيز، جلّ وقته إنّه لفي خير عميم، وبعد النّظر والسّماع لبرنامج (في رِحاب سورة) ولحلقات كثيرة منه، فضلا عن مؤلّفاته الأخرى اقتضت طبيعة المادة أن أحدده في سور الطّواسين؛ (سورة الشّعراء وسورة النّمل، وسورة القصص)، وذلك لضخامة المادة البلاغيّة التي عرضها الشّيخ المستغانمي في تفسيره للقرآن الكريم من خلال برنامج (في رِحاب سورة)

الذي تبثه قناة الشّارقة ممّا تعذر استيعابها في بحث مثل هذا، محدّد بصفحات معينة حتى إنّه لضاق بسور الطّواسين ولكني بحمد الله استطعت أن أعرض لأبرز الفنّون البلاغيّة التي انطوت عليها، ممّا كان لها أهميّة في تفسيره مؤثّرا الإيجاز والتّقليل من الشّواهد ما استطعت إلى ذلك سبيلا، علما أنّ ما موجود من فنّون بلاغيّة معينة دون سواها في هذا البحث فرضته طبيعة المادة الموجودة في سور الطّواسين فقسّمته على ثلاثة مباحث :

المبحث الأوّل: جهوده في علم المعاني، وقفت عند أبرز الفنّون البلاغيّة التي أشار إليها الشّيخ المستغانمي ومن ذلك؛ الخبر، والإنشاء، والتّقديم والتّأخير والإيجاز والأطناب وإذا ما ذُكرت أساليب بلاغيّة أخرى أشرت لها في ثنايا ذلك.

المبحث الثّاني: جهوده في علم البيان: وقفت عند الأساليب البلاغيّة التي ذكرها المستغانمي من مثل: التّشبيه، والمجاز؛ الاستعارة، والمجاز العقلي، ثمّ الكناية.

المبحث الثّالث: جهوده في علم البديع ووقفت عند أبرز الفنّون البديعيّة التي أشار إليها الشّيخ المستغانمي: وقسمته إلى؛ المحسنات المعنويّة وشملت: الإدماج والمذهب الكلاميّ، والمبالغة، والمحسنات اللفظيّة: وشملت ؛الجناس والفواصل ورد العجز على الصّدر.

وبعد الانتهاء من هذه المباحث جاءت أهمّ النّتائج التي توصل إليها البحث والتّوصيات.

2 – المبحث الأوّل: علم المعانيّ:

2 – 1 –الخبر: يقسـم الكـلام عـادة عنـد البلاغيـين عـلى خـبر وإنشـاء، ولعـل القزويني كان من أوّل من أهتمّ به وقد ميّز بينهما، ويعرّف الخبر بأنّـه الكـلام الـذي يحتمل الصّدق والكذب لذاته، بصرف النّظر عن قائلة وذلك مـن أجـل أنّ يشـمل التّعريف كلّ كلام يقال دون النّظر إلى صـدق قائلـه الموصـوف بالصّـدق مطلقـاً أو الكذب مطلقاً، والمراد بالصّدق مطابقته للواقع، وبكذبه عدم مطابقته لـه،[1] ويلقـى الخبر في الأصل لأحد غرضيين إمّا لفائدة المخاطب الحكـم الـذي تضـمّنته الجملـة عندما يكون جاهلاً به ويسمى (فائدة الخبر)، وإمّا إفادة المخاطـب أنّ المـتكلّم عـالم بالحكم الذي يعلمه المخاطب ويسـمى (لازم فائـدة الخـبر)،[2] وقـد يخـرج إلى غـير هذين الغرضين، وهذا ما يحدّده سياق الكلام وتدل عليه القرائن، وما يهمنا ــ هنـا ــ في موضوع الخبر تلك الأغراض البلاغية (المجازيّة)التـي وقـف عنـدها الشّـيخ المستغانمي في تفسيره لسور الطّواسـيم، ولا يسـعنا الوقـوف عنـدها جميعـاً لضـيق المقام، وإنّما نقف عند أبرزها لنبين من خلالها كيف أنّه وظفها في إبانة المعنى القـرآنيّ وإعجازه ومن أبرز تلك الأغراض:

1 ـ التّحقير: ورد ذلك في تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ الشّعراء [53 – 56]

فبعد أن بيّن أنّ فرعون قد أخرج جميع جنده وحشدهم وكان عددهم يقدر بأكثر من مليون ونصف بينما خرج موسى بـستمائة ألف من بني اسرائيل، وكـأنّهم كـانوا

في يوم الحشر طالباً من جنده أن يشيعوا في المدائن (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرذِمَة قَلِيلُونَ) وهو أيضاً قالها، يقول المستغانمي في ذلك «هؤلاء ؛ تحقير، (شرذمة)؛ طائفة قليلة نحن لدينا العدد والقوّة والعتاد، قليلون، صغّرهم واحتقرهم بثلاثة أشياء ؛ هؤلاء للتّحقير، شرذمة ؛ هي الطّائفة القليلة وزاد فوصفها بجمع قلّة (قليلون) ﴿وَإِنَّهُم لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ أي اغضبونا كثيراً ... ».[3]

ويلاحظ أنّ فرعون قد أكّد قوله بأكثر من مؤكّد خشية أنّ أحداً ينكر عليه ذلك فمن أجل أنّ يقطع الطّريق على كلّ ناكر لقوله جاء بهذه المؤكّدات والمتمثّلة بـ (إنّ) واللام، فضلاً عن الجملة الأسميّة.

2ـ **التّأنيس والتّلطيف**: ورد هذا في قصّة موسى وفي قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ النّمل [8]

قال الشّيخ المستغانمي: «نودي أن بورك من في النّار، موسى عليه السلام، هذا في أرجح الأقوال، ومن حولها الملائكة، الذين كانوا حولها والعلماء يستنبطون لكثرة نزول الوحيّ في هذه البلاد العظيمة، بلاد الشّام، بلاد القدس وما حولها، بارك الله فيها للعالمين ... الكلام قدس من في النّار وبورك ثناء وتعجيل للمسرة لموسى عليه السلام ... هذا من باب التّلطيف، لأنّه مشهد صعب، تخيّل رجل من البشر يأتي إلى بقعة يناديه الله مشهد عجيب، فنودي أن بورك من في النّار، هذا تلطيف وتأنيس لقلب موسى».[4]

فليس الغرض كما يبـدو هـو إعـلام المخـاطبين بـذلك وإنّـما لغـرض التّلطـف بموسى عليه السلام وهو في هذا المشهد الصّعب العجيـب، وتـأنيس لـهُ فهـو أمـام الله وفي بقعة مباركة، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور مضيفاً أن يكون هذا من بـاب البشـارة ببركة النّبوة.[5]

وقد يكـون ذلـك مـن بـاب التّحيـة والتّكـريم، كـما ذهـب إلى ذلـك القنـوجي بقوله:»وهذا تحيّة من الله تعالى لموسى عليه السلام وتكرمة له».[6]

3ــ **التّهكم**: أشار الشّيخ المستغانمي إلى هذا الغرض عند تفسـيره لقولـه تعـالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾القصص [48، 49]، والآية هي خطـاب لمحمّـد ﷺ عنـدما زعم المشركون أنّ القـرآن والتّـوراة مـا همـا إلاّ سـحران جـاء بهـما كـلّ مـن محمّـد وموسى(عليهما السّلام)، وفي هذا يقول الشّيخ المستغانمي « إن كنتم صـادقين، إنّ هنا شرطيّة دائماً تأتي بالكلام غير المحقّق فهو يـتهكّم بهـم إنّ كنـتم ولـيس إذا كنـتم معنى لايستطيعون... فيستحيل أن يأتوا بكتاب مثل القرآن».[7] وهذا يتوافق تماماً مع ما ذهب إليه أبو السّعود بقوله : «في إيراد كملة إنْ مـع امتنـاع صـدقهم نـوع تهكـم بهم».[8]

2-2- **الإنشاء**: يعرّف بأنّه الكلام الذي لا يحتمل الصّدق والكـذب لذاتـه لأنّ ليس لمدلول لفظه قبل النّطق به واقـع خـارجي يطابقـه أو لا يطابقـه.[9] ويقسـم إلى: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي:

والإنشاء الطّلبي: ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطّلـب لامتنـاع تحصـيل الحاصل، ويقسم هو الأخـر إلى : الأمـر، والنّهـي، والاسـتفهام، والتّمنـي والنّـداء وهذه كانت مدار اهتمام البلاغيين لأنها تخرج عن معانيها الحقيقية،[10] أمّا الإنشـاء غـير الطّلبي فهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله أساليب الخاصّة به، وهي بعيـدة عـن اهـتمام البلاغيين لأنّ معظمها في الأصل أخبار ولا تخرج عن معانيها التي وضعت لها.[11]

وسـنقف ـ هنـا ـ عنـد الإنشـاء الطّلبـي وعنـد أبـرز أسـاليبه التـي أشـار إليهـا المُستغانمي ووظفها في تفسيره لسور الطّواسيم:

2-2-1: **الاستفهام**: هو طلب العلم بشيء لم يكـن معلومـاً مـن قبـل وقـد يـأتي بمعنى الاستخبار، وحدّد البلاغيون لوقوعه في الكلام إحـدى عشـــرة أداة؛ حرفـان هما الهمزة وهل، وتسعة أسماء هي :ما، ومـن، وأي، وكـم، وكيـف، وأيـن، وأنّـى ومتى وأيان)، وقد يرد الاستفهام حقيقياً، وكثيراً ما يرد حـاملاً لمعـاني مجازيـة تفهـم بالقرآئن من سياق الكلام،[12] ولما له من أهميّة بالغة في تفسير آيات الذّكر الحكـيم فقـد أهتم به المفسّرون ذلك بأنّه «يثير في النّفس التّأمل والتّدبر والحركة مـن أجـل مشـاركة السّائل بما يحس به ويشعر»،[13] لذا حظي بعناية الشّيخ المستغانمي كثـيراً ويبـدو ذلـك من خلال تفسيره لسور الطّواسيم، إذ وقف عنده مبيناً المعاني التي خرج إليها فكانـت

له نظرات صائبة وأفكار سديدة وظفها عند تحليله للأغراض البلاغيّة التي دلّ عليها الاستفهام وخلاف مقتضى الظّاهر وسنقف عند أبرز ما وقف عليه ومنها :

1ـ الإنكار: ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾الشّعراء [7]، يحدّد الغرض من الاستفهام، فيقول: «هو استفهام فيه معنى الإنكار استفهام إنكاري ينكر عليهم أنّهم لا يرون أنواع النّباتات الكريمة التي أنبتها الله في الأرض... ».[14]

فبيّن الشّيخ المستغانمي أنّ الاستفهام جاء –هنا– لينكر على المشركين تجاهلهم لما حولهم من النّباتات؛ أولم يروا هم النّباتات... على الرّغم من كثرتها على الأرض محيطة بهم بألوانها الكثيرة وهي أمام أبصارهم ... ولكن الله أنزلهم منزلة من لم يرها لأنّهم لم ينتفعوا بها فأنكر عليهم عدم الانتفاع لأنّهم لم يتركوا الكفر ويعودوا إلى الإيمان على الرّغم ممّا فيها من دلائل على قدرة الله ووحدانيته.

وفي قوله تعالى﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ النّمل [55]، يجتمع مع التّقرير الإنكار مما يزيد من شدّة الإنكار في التّشنيع والتّقريع والتّوبيخ، وذلك ما ذكره المستغانمي في قوله:« هذا زيادة توبيخ وتشنيع وتقريع في البداية سأل : أتأتون؟ وهذا استفهام استنكاري يشدّد الانكار والتّوبيخ ، هنا بيّن نوع الفاحشة بيّن الإبهام فقال (تأتون الرّجال دون النّساء) متجاوزين النّساء الذي هو المحل الحلال فهنا انكار عليهم مع توبيخ وتقريع »،[15] وبالتّالي يسهم الاستفهام هنا بدلالاته المتعدّدة واتّساعه في بيان بلاغة التّعبير القرآني .

2ـــ التّهكم: وعن الاستفهام في قوله تعالى :﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ القصص [62] يقول المُستغانمي: « هذا أسلوب تهكمي أسلوب توبيخي تحقير وتوبيخ وتقريع أين شركائي؟ الله (جلّ جلاله)هل له شركاء ؟أين اسم استفهام يدل على المكان هل المقصود أروني أين هم ؟المقصود من هذا التّعبير التهكم بهم ؟ أين الشّركاء الذين كنتم تعبدونهم»[16] هنا ينادي سبحانه وتعالى أولئك المتعين في الدّنيا ممّن اتخذوا آلهة سواه، وهم يذهبون إلى النّار، أين شركائي؟ ممّن عبدتم على سبيل التّهكم والتّوبيخ والتّقريع، لأنّهم لم يستطيعوا نصرهم أو دفع العذاب عنهم، وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين.[17]

2.2.2: الأمر: الأمر: كما حدده البلاغيون هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، إذ يكون من الأعلى إلى الأدنى،[18] وله صيغ أربع هي: فعل الأمر والمضارع المقرون بلام الأمر، وأسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.[19] ويخرج الأمر إلى دلالات بلاغية أخرى تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال وقد وقف عندها البلاغيون وهي كثيرة، وسنقف –هنا– على أبرز ما وقف عندها الشّيخ المستغانمي في سور الطّواسين، ومنها:

1 – التّحقير: جاء في قوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ الشّعراء [43] قال الشّيخ المستغانمي:﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ طه [65]، في طه لأنّ العمليّة فيها تخيير، أمّا هنا فالدّراما محتدمة فصوّر البيان القرآني موسى مباشرة لا ينتظر ، أسلوب فيه عدم مبالاة بما سيأتون به، ألقوا ما تستطيعون الإتيان

به، ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أبهمها تحقيرًا لما سيأتون به».[20] ولا يريد هنـا موسـىعليه السلام الأمر بالسّحر وإنّما الأذن بالإلقاء من حيث الابتداء، ويرى الشّيخ المستغانمي؛ إنّـما قال موسى ذلك تحقيرا لهم وعدم مبالاته بما سيأتون به مـن تمويـه أو سـحر، ويـرى بعض المفسـرين أنّه أراد الاستخفاف بهم، أو التّهديد.[21]

ـ2ـ الدّعاء: وكما معلوم إنّ صدر الأمر من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر وبالضّد منه دعاء، وقد أشار الشّيخ المُستغانمي إلى الدّعاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ النّمل [19].

وذلك عند دعاء نبيّ الله سليمان لربّه، بأنّ يمكّنه من شكر نعمتـه عليـه فقـال: «ياربّي أنا لا أستطيع أن أشكر نعمتك أوزعني مكنّي، أعطني مـن الامكانيـات مـا أتمكّن به لأشكرك ياربّ، الوزع هو الكفّ، فلم يسـتطع سـليمان أن يشـكر عنـدما فهم قول هذه النّملة ... وهذه نعمة عظيمة أتاها الله لسليمان ...»،[22] والأمـر هنـا في أوزعني خرج إلى الدّعاء لأنّه خرج من سليمان إلى ربّه من أجل أن يتمكن من شـكر نعمته، ولكن الشّيخ المُستغانمي لم يذكر أسلوب الدّعاء ــ هنـا ـ بلفظـه أي بمسـماه ولكن تحدث عنه بوضوح ولعل هذا يعود لوضـوح هـذا الأسـلوب في هـذه الآيـة وهذا غالباً ـ ما يتكرّر عنده.

3ــ التّعجيز: وورد هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ القصــص [49]. إذ يقــول: «هــو هــل

دعاهم، نعم دعاهم، بقوله: فأتوا ؛ أمره لهم؛ هذا الأمـر في البلاغـة يفيـد التّعجيـز الأمر في العربيّة يفيد الطّلب، اعطني هذا القلم أطلب منك هذا طلب عندما تطلب من الله (ربّ اغفرلي أنت تأمره أم تدعوه، إنّ الله يأتي بالشّمس من المشرق فـأتي بهـا من المغرب، هنا :فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى ... تعجيز لكن هـذا التّعجيـز جاء بأسلوب الأمر». [23] فهذا الأمر كان معجزا لهم فكيف أن يأتو بكتاب مـن عنـد الله هو أهدى من التّوراة والقرآن، وهم لم يستطيعو أن يأتوا بسورة من مثله، وهـذا ما ذهب إليه ابن عاشور. [24]

3.2.2 : **النّداء** : هو طلب الإقبال بحرف نائب منـاب (أدعـو) لفظـاً أو تقـديراً ضمن، وأدواته هي الهمـزة وأي، ويـا، وآ، وآي، وآيـا، وهيـا، ووا، [25] ويخـرج النّداء عن أصله إلى أغراض بلاغية، وممّا وقف عنده المستغانمي في سور الطّواسـيم الغرض الآتي :

1ـــ **التّحقـير**: ففـي قولـه تعـالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾القصص [38]. يقول المُستغانمي عن تخصيص فرعون لهامـان بالخطـاب « هنا فيها تحقير ـــ فأمرهُ لشخصه وأتى بندائه داخل الأمر، انظر ﴿ أوقد لي يا هامان على الطّين﴾، أصل الكلام ليس هكذا: يا هامان أوقد لي على الطّين، أتى بـــ(أوقـد لي على الطّين في وسطها جاء هامان هذا تحقير كثير لأنّ فرعون لم يشبع جبروته ». [26]

ويتضح هنا أنّ النّداء لم يكن حقيقيا وإنّما جاء لتحقير هامان ومن هم على شاكلته من الجند والأعوان لكي يبنوا له صرحا يعلو فيه على إله موسى، ظنا منه أنّه سيقنع قومه ويموه عليهم بأنّه قادر للوصول إلى إله موسى، وبالتّالي عندما لم يجده يثبت صدق ألوهيّته وتكذيب موسى لأنّ فرعون كان متجبرا وطاغيا.[27]

2 .3 الإيجاز والإطناب:

2–3–1 الإيجاز: وقف البلاغيّون العرب القدامى طويلاً عنده وأولوه أهميّة كبيرة، وعرّفوه تعريفات كثيرة، وهي لا تخرج عن التّعبير بالألفاظ القليلة عن معاني كثيرة، أو أن يُحذف جزء من الجملة لوجود قرينة دالة على المحذوف وقسّموه على قسمين:

إيجاز القصر: وهو تضمين الالفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف.

وإيجاز الحذف: وهو أن يحذف جزء من الكلام الذي نعبر به عن المراد سواء بحرف أو كلمة أو جملة مع إمكانية الاستغناء عنه لوجود قرينة دالة عليه.[28] ولاشكّ في أنّ للحذف في القرآن خصائص كثيرة وفوائد عديدة، وقد يحذف في الخطاب القرآنيّ لفظ أو أكثر وحسب ما يقتضيه السّياق أو يذكر وما يكون ذلك كلّه إلاّ لغرض بلاغي مقصود ليجعل من القرآن غاية في الإعجاز والجمال والبلاغة.[29]

ولكلّ ذلك نجد أنّ الشيخ المُستغانمي أشار الى هذا الأسلوب في مواطن كثيرة مبيناً الأغراض البلاغية التي انطوى عليها، وكيف أنّها أسهمت في بناء إعجازه وإيضاح دلالاته المختلفة في سور الطّواسين، ولا يسعنا أن نقف عند جميعها

لكثرتها، وضيّق مقام البحث لأسباب تتعلّق بعدد صفحاته، ولكننا نختار عددا منها مما يعطينا صورة واضحة عن جهود المستغانمي في هذا المضمار، ومن ذلك:

1-حذف الفعل(المسند): أشار الشّيخ المستغانمي إلى حذف المسند (الفعل) في قوله تعالى:﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ الشّعراء [63].

مبينا المحذوف، وسبب الحذف؛ ففي قوله تعالى:﴿ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ ﴾ فالمحذوف هنا يذكره كل عاقل متدبر لكلام الله، إذ لا يعقل: (أن اضرب فانفلق) فالتّقدير أن اضرب فضرب فانفلق فَكَانَ كُلُّ فِرق كَـٱلطَّودِ ٱلعَظِيمِ، والفاء في انفلق تسمى الفاء الفصيحة التي تعطف على أمر محذوف، وبالتّالي نجد أنّ السّياق هو الذي فرض هذا الحذف لوجود القرينة اللفظيّة والعقليّة على حذفه.[30]

2-حذف الفاعل(المسند إليه): في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾النّمل [36] أشار المُستغانمي ــ هنا ــ إلى حذف الفاعل (رسول بلقيس)، فأصل الكلام ؛ جاء الرسول أو المرسلون سليمانَ فقال لهم سليمان أتمدونني بمال ليكشف عن نوع الهديّة محقرا لها، على عكس نظرة بلقيس لها وتفخيم شأنّها، ويظهر هنا جمال الأسلوب القرآني إذ هو حقر الهدية، بينما هي فخمتها.[31] فحذف الفاعل المتمثّل برسول بلقيس والوفد الذي معه، ولعل سبب الحذف يعود إلى لفت الانتباه إلى الحدث وما تبعه من أحوال.

3 -**حذف المضاف**: ويأتي في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴾ القصص [48]. في وصف دعوة موسى، ومحمّد (عليهما الصّلاة والسّلام) وبعد أنّ ظهر الحق قال الكافرون: (قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا)، ويعقب الشّيخ المستغانمي على ذلك: قالوا سحران يقصدون التّوراة والقرآن قالوا سحران تظاهرا بمعنى تعاونا، لماذا قال المشركون ذلك؟، لأنّهم بعثوا فريقاً منهم إلى اليهود في المدينة وقالوا لهم ما خبر هذا الرّجل(أي محمّد)، قالوا نجد وصفه في كتبنا فقالوا لهم أنتم تقولون نفس كلام؛ سحران تظاهرا، يعنى أنتم تظاهرتم معه علينا نستطيع أنّ نقول سحران :التّوراة والانجيل تظاهرا، وثمّة قراءة أخرى أخذ بها الكثيرون وهي: (قالوا ساحران تظاهرا)، وفي هذه حذف المضاف أي: رجلان ذوا سحر (المضاف محذوف)تظاهرا[32] وبهذا نجد أنّ هذا الحذف أعطى دلالة أخرى أشار إليه المستغانمي وهي تتوافق مع ما ذهب إليه بعض المفسّرين.[33]

2-3-2 **الإطناب** :هو عند ابن الأثير(زيادة اللفظ على المعنى لفائدة).[34] وميّز بينه وبين التّطويل والتّكرار، ففي التّطويل تكون زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأمّا في التّكرير فإنّه يدل على المعنى مردّدا.[35] نال هذا الأسلوب اهتمام علماء التّفسير، وأهل البلاغة وعلوم القرآن وبيّنوا أسراره وخفاياه وأسبابه ودواعيه ليؤكّدوا أنّه من أساليب العرب، وإنّه لذو منفعة كبيرة في كلامهم، لما ينطوي عليه من توسّع في الكلام وتفصيل يحتاجه المتكلّم والمخاطب على حدّ سواء، وسار

الشّيخ المُستغانمي على خطاهم في تفسيره للقرآن الكريم، ولعل من أبرز المواطن التي وقف عندها هي:

1ـ التّكرار: ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الشّعراء [8 9]، تكرّرت هاتان الآيتان في سورة الشّعراء ثماني مرّات في الآيات: (8، 67 103، 121، 139، 158، 174، 190) وعن ذلك يقول الشيّخ المُستغانمي إنّ سورة الشّعراء، جمعت عددا كبيرا من الأنبياء من حيث ذكر قصصهم وجمع مشاهد معينة منها، وتضمّ حوالي (180) آية حول القصص وفصلت في الأقوام الذين كفروا، وبعد كلّ قصّة تأتي اللازمة القوليّة التي تكرّرت ثماني مرّات (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)، وما كان أكثرهم أي القوم الذين سبق الحديث عنهم، هذه اللازمة القوليّة مكرّرة ثماني مرّات فأكثر الأقوام كذبوا أنبياء الله حاق بهم العذاب،[36] والأقوام الذين ورد ذكرهم هم أقوام الأنبياء محمّد، وموسى ونوح، وإبراهيم، وهود، ولوط، وشعيب، وصالح ويفهم من هذا الكلام أنّ التّكرار الذي ورد ثماني مرّات ما هو إلى إجمال لحال الأقوام الذين بعث الأنبياء لأجلهم إذ كان أكثر النّاس لايؤمنون بالأنبياء على الرّغم مما جاؤوه من البيّنات وثمّة أمران آخران أشار إليهما الشّيخ المُستغانمي في فائدة هذا التّكرير أوّلها شكلي يتعلّق بالهندسة العجيبة عندما وزعت اللازمة القوليّة المتكرّرة ثماني مرّات بعد كلّ قول لنبيهم (الآيتان).

والآخر: مضموني يتعلّق بالآية المكرّرة ﴿وإنّ ربك لهو العزيز الرّحيم﴾ فيرى المستغانمي، إنّها جاءت لتواسي وتثبّت قلب الرّسول ﷺ، وكأنّ الله يقول له لا تأسف ولا تذهب نفسك حسرات، ثمّ يقص عليه قصّته ثمّ يعود ليقول له: ﴿وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم﴾ وهذه الآية جاءت مؤكّدة بأكثر من مؤكّد ذلك بأنّ المشركين لايعجزون الله العزيز، الغالب، القويّ ولكنه رحيم بهم ليفسح لهم الآمال حتى يتوبوا ويعودوا إلى الغزيز الرّحيم.[37]

2- **الاحتراس**: هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه.[38] وقد ورد هذا النّوع من الإطناب في قوله تعالى:﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾النّمل [12]، يقول الشّيخ المُستغانمي: «هذا احتراس تخرج بيضاء من غير مرض من غير بهاق، أو برص، وليس بياضاً لامعاً يميل الى البرص».[39]

وورد الاحتراس في قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾القصص [44].

يقول المُستغانمي: (من أين لك هذا الكلام يا محمّد، من أين لك هذه القصّة المفصلّة، وأنت ما كنت بجانب الغربي من جبل الطّور وفي سورة طه يقول الجانب الأيمن، وناديناه من جانب الطور الأيمن)، هنا لم يقل له الجانب الأيمن حتى لاينفي اليمن عن رسول الله ﷺ لو قال له ما كنت بالجانب الأيمن نفي اليمن هذا علم النّفس القرآني، احتراس لعدم نفي اليمن عن رسول الله).[40]

فنفى سبحانه وتعالى عن رسوله محمّد ﷺ أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر، ووسمه بالغربي، ولم يقل الأيمن حتى لا يسلب عنه اليمن وهذا أعجب احتراس وقع في القرآن حسب ما ذكره الزّركشي.[41]

3- **الاعتراض**: عرّفه القزويني بقوله: (هو أنّ يؤتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصليين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الأعراب لنكته).[42] ويأتي هذا النّوع من الإطناب لأغراض بلاغية مختلفة، ومن ذلك مما ذكره الشّيخ المستغانمي في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾النّمل [8-12].

فيلاحظ أنّ هذه الآيات تنطوي على ثلاث جمل رئيسة متمثّلة بقوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ... وَأَلۡقِ عَصَاكَ ... وَأَدخِل يَدَكَ فِي جَيبِكَ...) ويقول الشّيخ المستغانمي عنها (وَأَدخِل يَدَكَ فِي جَيبِكَ معطوفة على وَأَلۡقِ عَصَاكَ التي عطفت على أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ... كأن قال: أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ... وَأَلۡقِ عَصَاكَ ... وَأَدخِل يَدَكَ فِي جَيبِكَ... والكلام في الوسط هذا اعتراض يطمئن ويفخم الموقف ويجلي)[43] فالجمل الإعتراضية التي وردت بين هذه الآيات جاءت منزهة لله تعالى عمّا لا يليق، مقدسة له، مطمئنة لموسى عليه السلام وأحدثت له رباطة جأش وعزيمة ليعلم بأن النبوة وهبت له، ولإعلامه بأنّه سيتعرض لأذى ومشقة

وأنّ الله سيكون معه، ولـيعلم أنّ مـا سيشـاهده مـن معجـزات مـن قلـب العصـا وسواها، ليس بعجيب عن حكمة الله وقدرته، فعليـه ألّا يخـاف وأن لا ييـأس مـن مغفرة الله له، وفي ذلك إشارة لمغفرة الله له عن قتله القبطي.[44] وبالتّـالي فغـرض هـذا الاعتراض الايضاح والتّفخيم فضلا عمّا ذكرنا.

2-4. **التّقديم والتّأخير**: هو أن يقدّم لفظ في موضع ويؤخّر في موضع آخر لنكتة بلاغيّة وحسب ما يستدعيه السّياق،[45] ولما ينطوي عليه أيضا من أغراض بلاغيّة ولطائف بيانيه فقد اهتم به البلاغيون العرب القدامى والمحدثون ولاسيّما المفسّرين في الكشف عن معاني القران ودلالاته وأسراره البلاغية، وقد وقف عنده الشّيخ المستغانمي في تفسيره لسور الطّواسين، ومن ذلك ممّا جاء في تقديم المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ النّمل [36].

يبيّن الشّيخ المستغانمي هنا أنّ تقديم المسند إليه في قوله تعالى (بَـل أَنـتُم بِهَـدِيَّتِكُم تَفرَحُونَ) أفـاد القصر والحصر، فجعلهـم هـم ممّـن يفرحـون بهـديتهم وحـدهم لا نحن، على عكس ما كان متوقعا من قبل وفد الملكة ورسلها، فيقول: (أنتم بهـديتكم تفرحون لا أنا، وهذا أسلوب قصر عجيب بل أنتم تفرحون بهديتكم لا نحن تقديم المسند إليه في العربيّة يفيد الحصر والقصر، لو قال لهـم بـل تفرحـون أنـتم بهـديتكم ويفرح... لا، بل أنتم تفرحون بمثل هذه الهدايا فأسلوب التّقديم للمسـند إليـه هنـا يفيد القصر).[46] ونجد مثل ذلك في قصّة نبي الله صالح، قال تعـالى: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ

وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴾النّمل [47]، إذ يقدّم المسند إليه (أنتم) في قوله بَل أَنتُم قَوم تُفتَنُونَ من أجل حصر الفتنة فيهم، يقول الشّيخ المستغانمي: «انظر الى تقديم المسند إليه (بَل أَنتُم قَوم تُفتَنُونَ) شأنكم الافتتان أصبح الابتلاء والوقوع في الفتنة، شأنّهم وديدنهم وأصبحوا مستمرين على ذلك وهو يوبخهم».[47] وفي تفسيره لقوله تعالى قَالَ : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾الشّعراء [108]. يعلّل الشّيخ المستغانمي سبب تقدّيم التّقوى على الطّاعة، وذلك لأنّ التّقوى تؤدي إلى طاعة الله، وطاعة رسوله ولذا قدّم التّقوى.[48] وهذا ما ذهب إليه الآلوسي في تفسيره للآية بقوله: « وقدّم الأمر بتقوى الله تعالى على الأمر بالطّاعة لأنّ تقوى الله تعالى سبب لطاعته عليه السلام».[49]

وذكر الشّيخ المستغانمي تقدّيم الصّفة على الموصوف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾الشّعراء [10، 11]. فالقوم الظّالمون هم قوم فرعون، فإذا كان هكذا الأمر فيتساءل الشّيخ المستغانمي: « لكن لماذا قال (أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بعد ذلك قوم فرعون؟ أيّهما الأصل: الصّفة أم الموصوف؟ الأصل ذكر الموصوف، بعد ذلك تصفه، قدّم صفة الظّلم كأنّ القرآن يريد أن يقول أنّهم عُرفوا بالظلم أكثر ممّا عرفوا بقوم فرعون. الظّلم لأنفسهم والظّلم للآخرين»،[50] وقوم فرعون معروفون بظلمهم لأنفسهم بكفرهم وبظلمهم بني إسرائيل، وطاغيتهم فرعون هو أكبر الظّالمين استعبد رجالهم واستحيا نساءهم وقتل أطفالهم ويلاحظ كيف أنّ التّعبير القراني عدل عن التّعبير الأصلي في تأخير

الصّفة على الموصوف إلى تقديمها من أجل بيـان شـدّة ظلـم قـوم فرعـون لأنفسـهم وللآخرين، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره للآيتين.[51]

3-المبحث الثّاني: علم البيان:

3-1.التّشبيه : يعدّ التّشبيه من أبرز أساليب البيـان العـربي ولـه أهميّـة كبـيرة في تقريب المعنى إلى الذّهن، ويزيـده رفعـة وشـأنا، ويـبرزه إيضـاحا وبيانـا ويكسـبه تأكيدا، وللتّشبيه تعريفات عديدة، اختلفت في أساليبها ودلالاتها ولعل من أبرزهـا أنّ (التّشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما مـن وجـه وافتراقـا مـن آخر مثل أنّ يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصّفة أو بالعكس).[52] وقد كثـر في كـلام الله تعالى والرّسول ﷺ والبلغاء القدماء والمحدثين وكذلك في كلام النّاس، وكـلّ في مقامه، كما تطرق إليه المفســّرون لحـاجتهم إليـه في بيـان معـاني القـرآن وإعجـازه ووقف عنده الشّيخ المستغانمي في تفسيره لسور الطّواسين في غير موضع ومن ذلك عندما شبّه الشّعراء الضالين بالأقوام الـذين بسـطت قصصـهم في سـورة الشّـعراء ممّن لم يؤمنوا بدعوة انبيائهم وذلك عند تفسيره للآيات التي ذكرت الشّعراء في ختام السّـورة وفي قولـه تعـالى :﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ الشّـعراء [224-227] فيـذكر أنّ الشّعراء يقولون والأقوام الذين بسطت قصصهم يقولونقَالَ تَعَـالَى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾الشّعراء [116]، ومثلما كلام كثير مـن الشّـعراء لا يطبـق

وهو من الخيال كذلك الأقوام السّابقة المشبه بهم الذين كذبوا أنبيـاء الله قـالوا كثـيرا من الوعود وكلّهـا لم تتحقّـق حتـى فرعـون قـال﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ الشّـعراء [54] ولم يفعل شيئا بإذن الله.[53]

استعان الشّيخ المستغانمي بالتّشبيه لبيان سبب ذكـر القـرآن الكـريم للشّـعراء في نهاية السّورة، فبيّن وجه الشّبه بين الشّـعراء والأقـوام الضّـالة التـي ورد ذكرهـا في السّورة ولم تؤمن بدعوة أنبيائهم فمثلما نجد كثيرا من الشّعراء كذابين والقليل مـنهم صادقين ومـؤمنين، قَـالَ تَعَـالَى :﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴾ الشّعراء [221-223]. (هل أنبـئكم عـلى مـن تنزل الشّياطين تنزل على كلّ أفاك أثيم، يلقون السّمع وأكثـرهم كـاذبون والشّـعراء يتبعهم الغاوون وكذلك نجد أن أكثر النّاس من الأقوام الذين ذكـرهم القـرآن غـير مؤمنين (قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾الشّعراء [8].

وبالتّالي نجد أكثر من وجه شبه بين الشّـعراء والأقـوام الضـالة الآنـف ذكـرهم فضلا عن التّرابط والتّلاحم بين آيات السّورة، فذكر الشّـعراء لم يـأت هنـا اعتباطـا وإنّما لنكتة بلاغيّة استدعاه سياق السّورة وجوها العامّ.

وعند العودة إلى الآيات السّابقة نجد أنّ الشّيخ المستغانمي، يذكر التّشـبيه بنحـو خاصّ في تفسيره لقوله تعالى (أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ) الشّـعراء 225 فيقـول: «هنا شبههم_ والعياذ بالله_ بالأبل الحائرة التي تهيم في الأوديّة عـلى وجهها تـتردد بين الأودية ضالة متحيّرة».[54] فالتّشبيه ــ هنا ــ رسم للمشركين صورة حسية عنـدما

شبّه حالهم بالأبل الهائمة الضّالة التي تبحث عن الكلأ وهي في حالـة مـن الضّـياع. وثمّة مواضع أخرى أشار إليها الشّيخ المستغانمي في سور الطّواسـين.[55] وفي عمـوم ما ذكرنا من تشبيهات، يتبدى أنّ التّشبيه في القرآن إنّما يأتي في القضـايا الكبـيرة ذات الشّأن، فلا يؤتى به إلّا عندما يكون هناك أمر يـراد تقريـره أو تثبيتـه في الـنفس مما جعله يختلف عن تشبيهات النّاس.[56]

3-2. المجاز : يقسم المجاز في البلاغة العربيّة حسب الإفراد والتّركيـب إلى مجـاز لغوي ومجاز عقلي، والمجاز اللغـويّ يكـون في اللفظـة المفـردة، أمّـا المجـاز العقـلي فيكون في التّركيب ويقسم باعتبار العلاقة بين المنقول منه والمنقول إليـه إلى قسـمين: مرسـل، واسـتعارة، فالمرسـل تكـون العلاقـة بـين معنييـه علاقـة ملابسـة مـن الملابسات، وهي كثيرة أي أنّ اللفظ يستخدم في غـير معنـاه الأصـلي لعلاقـة غـير المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وله علاقـات كثـيرة،[57] أمّـا الاستعارة فتكون العلاقة بين معنييها علاقة مشابهة أي أنّ اللفـظ يسـتخدم في غـير معناه الأصلي لعلاقة مشابهة، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.[58]

والمجاز العقلي يكون في التّركيب، أي في إسناد الفعل أو ما في معنـاه إلى غـير مـا هو له، أي إسناد الفعل الى غير فاعلـه الحقيقـي ومـن علاقاتـه: السّـببية، المصـدريّة الفاعلية، والمفعوليّة وزمانيّة ومكانيّة.[59]

وقد وقف الشّيخ المستغانمي عند هذين النّوعين؛ الاستعارة، والمجـاز العقـلي في تفسيره لسور الطّواسين، وسنقف عند كلّ منها على حدة:

ـ 3-2-1. **الاستعارة**: حدّد المستغانمي الاستعارة وبيّن نوعها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾النّمل [80]. فيقول: «هنا قال إنّك لا تسمع الموتى، هون عليك يا محمّد هؤلاء أموات فكأنّه يقول اطوِ صفحتهم وانطلق في دعوة الآخرين إنّك لا تسمع الموتى، هنا استعارة المفروض أنّك لا تسمع، هؤلاء المشركين الذين يشبهون الموتى في عدم إدراك الحقّ، لأنّهم لا يدركون في قلوبهم، (ولا تسمع الصّم ... في كلمة الصّم أيضاً: استعارة تصريحية شبه عدم سماعهم للحقّ وللقرآن بأنّهم صمّ، شبه عقلهم وفقههم لما يقال بالصم إذن استعارة تصريحية ما هي الاستعارة: عندما نشبه شيئاً بشيء ـ نذكر أما المشبه به أو نذكر المشبه ونطوي أحد ركني التّشبيه، استعارة رائعة جداً».[60]

ذكر الشّيخ المُستغانمي ــ هنا ــ الاستعارة وعرّفها وحدّد نوعها في قوله تعالى (لا تسمع الموتى ولا تسمع الصّم...) ووسمها بالتّصريحية وذلك لأنّه حذف المشبه من الجملتين، وصرح بالمشبه به (الموتى، والصّم) شبّه عدم سماعهم لدعوة الحق بالصّم، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه ابن عاشور في قوله : «والموتى والصّم مستعاران للقوم الذين لا يقبلون القول الحقّ ويكابرون من يقوله لهم، شُبِّهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتقاد فهمهم معاني القرآن، وشُبِّهوا بالصّم كذلك في انتفاء أثر بلاغة الفاظه عن نفوسهم».[61] وفي قوله:﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص [11]. يقول المُستغانمي : « تتبعي أثره، جيّد وإذا رمته في البحر أين الأثر؟ هنا استعير فعل القص من تتبع الأثر إلى تتبعه في النّظر

كأنّها قالت لها راقبيه لكن راقبيه لا تفي بالغرض، هي رمت ابنها في البحر، فقصّيهِ كأنّك تتبعين أثره خطوة خطوة، ولكن في البحر أين الخطوات، تتبعيه بالنّظر والقصص هو تتبع الأثر ».[62]

فالاستعارة هنا جاءت في فعل القصّ الذي معناه تتبع الأثر لأنّه لا يكون في البحر فيعني أنّها قصدت التتبع في النّظر، لكي يكون ملاصقاً لموسى عليه السلام وهو في البحر، وبالتّالي يكون التتبع أكثر دقة من غير أن يفارق عين الأخت على خلاف التّتبع في الأثر الذي يكون تاليا للمسير أو الحركة.

وهذه الاستعارة على ما يبدو أنّ الشّيخ المُستغانمي انفرد بذكرها، فلم أجد ذكراً لها في أبرز كتب التّفسير.[63]

3-2-2. **المجاز العقلي**: ومن شواهده عند الشّيخ المستغانمي ما ورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾الشّعراء [135]. يتساءل المستغانمي: عن (عذاب يوم عظيم)، هل العذاب عظيم؟ أو اليوم عظيم؟ ويجيب عن هذا من النّاحية النّحوية فيقرّر أنّ المقصود (اليوم) على اعتبار أنّ عذاب صفة ليوم (عذاب يوم عظيم)، ثمّ علّل ذلك بقوله: « ذكر الله تعالى اليوم بأنّه عظيم لعظمة ما سيقع فيه من العذاب، إذن -هنا- مجاز عقلي نسبة إلى ما يحصل فيه من الهول العظيم والمجاز العقليّ كما يقول العرب: نهاره صائم وفلان يصوم النّهار هذا مجاز عقلي نسب الصّيام إلى النّهار وفي الحقيقة للذي يقع فيه الصّيام، ونسب القيام للّيل والقيام يقع في الليل، (عذاب يوم عظيم) ليس فقط لقوم نوح وإنّما كلهم ذكروا

(عذاب يوم عظيم)، بينما في سور أخرى (عـذاب يـوم ألـيم) (عـذاب يـوم قريـب) بحسب السّياق وهنا يركز البيان القرآني على العذاب العظـيم».[64] هـذه الآيـة جـاءت على لسان هود لقومه عندما حذرهم من أجل أن يستجيبوا لدعوته وأنّ يتقـوا عقـاب الله بطاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاكم، ومن أجل بيان هول هذا العذاب وشـدّته، جـاء التّعبير القرآني على هذا النّحو من خلال المجاز العقلي، لـذا عمـد الشّـيخ المسـتغانمي لبيان سـر هذا التّعبير وبلاغته في رسم هذا المشهد العظيم، فحـدّد نـوع المجـاز وهـو المجاز العقلي ووقف عنده وقفة متأنية وعمد إلى توضيحه من خلال أمثلة ساقها لهـذا الغرض ليجعل المتلقي يشعر بعظمة هذا المشهد، وفي حالـة خـوف شـديد مـن هـذا العذاب الموصوف يومه بالعظمة عندما نسب العذاب إلى غير فاعله الحقيقـي وإنّـما إلى الزّمن الذي وقع فيه وتسمى هذه العلاقة بالعلاقـة الزّمانيـة عنـد البلاغيـين .ومـن أمثلته الأخرى عند المستغانمي مـا ورد في قولـه تعـالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ النّمل [13] . يقول الشيخ المُستغانمي: «جـاءتهم آياتنـا واضـحة بينـة بارزة هم أبصروها إلى درجة أنّها كانت ظاهرة فهنا مجاز عقلي عوضاً عن يقـول فلـما جاءتهم آياتنا واضحة وهم قد أبصروها وصف الآيات بأنّها مبصرة مبالغة .... هـم رأوا كلّ الأدلة القاطعة وجحدوا بها ــ فهنا أسند الأبصار للآيـات. هـو في الحقيقـة يبصر من رآها مجاز عقلي. في عيشة راضيّة : هو الـرّاضي الـذي يعـيش فيهـا ولكـن العيشة عندما تكون من كلّ الجوانب متميّزة فالعيشة بذاتها راضيّة هـذا مجـاز عقـلي نقول :نهاره صائم وليله قائم هو الرّجـل الصّـالح يصـوم في النّهـار يقـوم في الليـل

اسند الصّيام للنّهار، هنا نفس الكلام أسند الأبصار للآيـات.[65]الشّـيخ المُسـتغانمي هنا حدّد المجاز العقليّ في الآية من أجل تفسيرها وبيان معانيها مشـيراً إلى أنّ المجـاز العقلي جاء من أجل المبالغة في وصف الابصار للآيات لوضوحها، فعلى الرّغم ممـا جاء به موسى من المعجزات الواضحة البينة إلاّ أنّ قومه قد جحدوا بها، كما أنّه ذكر أمثلة أخرى على المجاز العقلي من القرآن الكريم وكتب البلاغة، لبيـان بلاغـة هـذا الفنّ البياني وأثره في دقّة التّعبير القرآني، وقد حدّد بعـض المفســرين نـوع الإسـناد المجازي في هذه الآية وهو من باب إسناد الفعل إلى السّبب.[66]

3 – 3 .الكناية :ونعني بها (أن يريد المتكلّم إثبـات معنـى مـن المعـاني فـلا يـذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكـن يجـيء إلى معنـى هـو تاليـه وردفـه في الوجـود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه)،[67] ويعبر بالكنايـة عـادة المعـاني الحقيقـة والمعـاني المجازية في الوقت نفسه على الرغم من أن المعنى المجـازي قـد يكـون أبلـغ وأجمـل ويعدّ أسلوب الكناية من أبلغ أساليب العربيّة فهو أبلغ من التّصــريح في كثـير مـن الأحيان، ولها نصيب وافر في القرآن الكريم بما أوحت به مـن صـور هـي أجمـل مـا يكون وأحسن وأخصر وأبلغ .وقد وقف الشّيخ المُستغانمي عند بعضها فسـر سـور الطّواسين من ذلك ما ورد عند تحليله لقولـه تعـالى قَـال:﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ القصـص [9]، فبعـد أن نجا موسى ﷺ، وأخذه آل فرعون واستقر عنـدهم، قالـت ذلـك امـرأة فرعـون وفي هذا، يقول المُستغانمي : «هنا أخذته امرأة فرعون مســرورة بـه تلاعـب الولـد

وتقول قرّة عين، وهي كناية عن المسرّة والفرح وشدّة المسرّة، وهذه كناية ناشئة عن ضدها، العرب عندما يدعون على إنسان بالحزن :يقولون :أسخن الله عينه سخنة العين هي شدّة البكاء للحزن، فعندما يقولون :أسخن الله عينه كناية عن الحزن وعن الأسف إلى غير ذلك، راح العرب الفصحاء فاستنبطوا من قرّة العين كناية عن المسرّة والبهجة فهي كناية مزدوجة أو كناية ناشئة عن ضدها ولذلك تقول :نمّ قرير العين :نمّ مسروراً... ».[68]

فالشّيخ المُستغانمي لم يكتف ـــ هنا ـــ بتحديد الكناية في(قرّة عين) وتوضيح معناها وأثرها في تفسير الآية، بل ذهب للحديث عن أصل نشأتها، وكيف أنّ العرب استنبطوها لتدل على المسرّة والبهجة ثمّ أطلق عليها تسميّة جديد (الكناية المزدوجة)، وهي التي تنشأ عن ضدها وهو بهذا يضيف للكناية مصطلحاً جديدًا لم يكن مألوفا في أسلوب الكناية، وبعد ذلك نجده لم يفصل هذه الكناية / المسرّة عن باقي الفنّون البلاغيّة الموجودة في الآية، بل يربط بينها ويبدو ذلك واضحاً عندما يلفت انتباه المتلقي إلى إعرابها ليشير إلى حذف المسند إليه/ المبتدأ(هو) قرة عين، وذلك لتعجيل المسرّة، كما أشار إلى أسلوب الالتفات في قوله تعالى: قرة عين... لا تقتلوه مشيداً ببلاغته، فبعد أن كانت امرأة فرعون تخاطب زوجها تلتفت لمخاطبة الآخرين من جنده وملئه بقولها؛ لا تقتلوه فتعاضدت هذه الفنّون البلاغيّة لترسم مشهداً عظيما حاسماًــ تمخضت نتيجته في سلامة موسى عليه السلام، ومن ثمّ ردّه إلى أمّه لكي تقر عينها. وذكر الشّيخ المستغانمي الكناية في تفسيره لقوله تعالى:

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الشّعراء [215]، حين قال: « عامل المؤمنين معاملة حسنة وتواضع مع المؤمنين، واخفض لهم جناحك، هذه كناية عن التّواضع وعن حسن المعاملة مع المؤمنين، كما قال مع الوالدين: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ الإسراء [24] عاملهم معاملة حسنة الوالدان يستحقان المعاملة الحسنة والمؤمنون يستحقون المعاملة الحسنة».[69]

ويتّفق معظم المفسّرين على أن المقصود من (خفض الجناح) التّواضع واللين وحسن المعاملة بيد أنّهم يختلفون في تحديد نوع المجاز، بعضهم يرى أنّها كناية وبعضهم استعارة تبعية أو استعارة تمثيلية أو مجاز مرسل.[70] ومهما كان الاختلاف فلا يغير من الأمر شيئا ذلك بأنّهم بينوا المقصود من الآية بأنّ يا محمّد عليك الرّفق واللين والتّواضع للمؤمنين وبخاصّة الأقربين، ولذلك عندما نادى الرّسولﷺ في دعائه لصفية وفاطمة قال :عمّة رسول الله، وبنت رسول الله تأنيسا لهما، وهذا من خفض الجناح بينما لم يفعل ذلك مع العباس لأنّه كان مشركا حينذاك.[71]

4ـ المبحث الثالث: علم البديع: شاع استخدام كثير من فنّونه في كلام العرب ونجد عددا غير قليل من فنّونه في القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، ولا شكّ في أنّها أسهمت في الكشف عن معاني القرآن وإعجازه وكانت في غاية الحسن ونهاية الجوّدة، لأنّها سلمت من التّكلف وبرأت من العيوب وجاءت في المقام الذي استدعاها، وتقسم إلى :

4-1. **المحسنات المعنويّة:** ويكون بها التّحسين راجعا إلى المعنى أولا وعلامتها أنّه لو غير اللفظ بما يرادفه لم يتغير المعنى.[72]

وقد ذكر الشّيخ المستغانمي عددا غير قليل منها في تفسيره لسور الطّواسين ولعل من أبرزها:

4-1-1. **الإدماج:** وهو أن (يضمن المتكلّم كلامه، الذي ساقه معنى آخر لم يصرح به»،[73] ذكر المستغانمي هذا الفنّ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ الشّعراء [7]، وبخاصّة عند لفظة (كريم) ليبين دلالتها فقال: « الكريم من كلّ شيء هو النّفيس، هو أجود ما في ذلك الجنس، ذكرنا الحجارة الكريمة هي أجوّد أنواع الحجارة، القرآن الكريم يعنى أجوّد الكتب، ... هنا (أولم يروا الى الأرض... كريم)، ولو كان زوجا غير كريم كالحنظل، الأشواك هي أيضا فيها فائدة، وهي من خلق الله، لو قيل: وأنبتنا فيها من كلّ زوج لكان كافي (كريم) في البلاغة إدماج، أتى بمعنى جديد».[74]

فالله سبحانه وتعالى – هنا– ينبه على عظيم قدرته وعجيب خلقه، ولو نظر هؤلاء المكذبون والمستهزؤون حقّ النظر إلى ما أنبتنا في الأرض لعلموا بأنّه أحقّ أن يعبد، وقد جاءت لفظة كريم –حسب المستغانمي– لتتضمن الفنّ البديعي الإدماج لتضمنها معنى آخر، يدلّل على منفعته وحسنه وشرفه وتميّزا له عن غير الكريم المذموم، وهذا يتوافق مع ما ذهب إليه ابن عاشور بيد أنّه سماه (إدماج الامتنان).[75]

وقد يكون المعنى الجديد الذي تضمنه الإدماج في (زوج كريم) للدّلالة عـلى أنّـه يشمل جميع النّباتات النّافعة والضّارة فما يخلق الله من شئ إلّا وفيه فائـدة، وإنّ غفـل الإنسان عنها.

4–1–2 .المذهب الكلامي: يراد به اتباع طريقة علماء الكلام والتّوحيد أو المنطـق في إثبات أصول الدين بـالبراهين العقليّـة، ويعـرّف عنـد البلاغيـين بــ (أنّ يـدلّل المتكلّم على مطلوبه بمقدمات يستلزم التسليمُ بها التسـليمَ بهـذا المطلـوب)،[76] ولـه مسميّات أخرى عند البلاغيين منها: إلجام الخصم بالحجة أو الاحتجاج النّظري.

و قد أشار اليه الشّيخ المستغانمي في حديثه عـن الخصـائص اللفظيّـة التـي تميّـز سورة الشّعراء عن غيرها مستشهدا ببعض الآيات من السّورة نفسها التـي انطـوت على هذا الأسلوب. ومن خلال لفظة (أفحمـه) التـي أكـدت عـلى إفحـام موسـى لفرعون، وإبراهيم لقومه، فيقـول:« ممـا يميـز سـورة الشّـعراء وهـذا شيء لافـت الحديث عن رب العالمين من البداية إلى النّهاية. عنـدما أمـر الله موسـى وهـارون أن يذهبا إلى فرعـون قـال ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ لم يقـل رسـول ربك حتى فرعون لما غضب واحتدّ قال ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ما جنسـه؟ ما حقيقته؟ إبراهيم عليه السلام لما تبرأ ممّا يعبد قومه (إلاّ رب العالمين) وبدأ يصف من هـو ربّ العالمين ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ الذي أنكـره فرعـــــون أجابـه موســـى وأفحمـه وأجابـــه إبـراهيم عليه السلام[77] فجاء إفحام موسى لفرعون وإلقاء الحجة عليه من خـلال الإجابـة عـن سـؤاله:

(قال فرعون وما ربّ العالمين) فأجاب موسى عليه السلام قَالَ تَعَالَى :﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ الشعراء [23، 24]

وهنا يعلّق الشّيخ المستغانمي موضحا أكثر ومبرزا الحجج الواحدة تلو الأخرى، فذكر إن جاءت إجابة موسى هنا لتفحم فرعون فلم يقل له ربّ الشّمال والجنوب والجبال والبحار لكن قال ربّ السّموات والأرض، يعني الكون الذي خلقه الله وفيه عجائب خلقه ممّا لا يحصى، أمّا أنت يا فرعون ماذا تملك مصر؟ وما مصر؟ ازاء الكرة الأرضيّة والمشرق والمغرب وما بينهما، والسّموات التي فيها مليارات النّجوم والكواكب، وهذا في السّماء الدّنيا في سماء واحدة فما بالك بالسّموات السّبع [78]، فجاءت الإجابة من موسى مبينا حقيقة ربّ العالمين، « بما يصير وصفه بربّ العالمين نصا لا يحتمل غير ما أراده من ظاهره... فيذكر السّماوات والأرض وبعموم ما بينهما، حصل بيان حقيقة المسؤول عنه ب (ما)»،[79] وأشار الزّمخشري إلى إثبات وحدانية الخالق تحصل بالنّظر في السّموات والأرض وما بينهما نظرا يؤدي إلى العلم بحقيقية الرّب الواحد،[80] أمّا إبراهيم عليه السلام فجاء وصفه لربّ العالمين من خلال الآيات (الذي خلقن فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين)، فقد جمعت كلمات ابراهيم عليه السلام مع دلالتها على انفراد الله بالتصرف في تلك الأفعال التي هي أصل أطوار الخلق وبالتّالي جاءت إجابتا النّبيين(موسى وإبراهيم)، توكيدا لوحدانيّة الله، وإفحاما للمشركين

وادحاضا لحججهم، الذين أخذتهم العزّة بالإثم فتعالوا وتكبروا وطغـوا، وضـلوا وظلوا بدينهم متمسكين ظلما وبهتانا.

ويعزّز المستغانمي هذا الأسلوب البلاغيّ ويكشف عن لطائفـه في هـذه السّـورة مبينا أنّ موسى عليه السلام أخذ ينوع بأساليب المحاجة فإن لم تستدلوا بــ(ربّ السّـماوات والأرض ومـا بيـنهما) فعلـيكم بآبـائكم، قَـالَ تَعَـالَى ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: الشّعراء [26] أين أباؤكم وأجدادكم الذين ماتوا؟ من الذي يملـك المـوت والحيـاة ... فهذا الحديث وإنّ كان موجها للقوم ولكن في باطنه لفرعون.[81] وبالتّـالي توالـت الحجج على فرعون من أجل افحامه وما كان ذلك إلاّ بتوفيق الله لموسى ورعايته له.

4-1-3. **المبالغة:** ولها مسميّات أخرى عند البلاغيين من مثل: الغلو، الإغـراق التّبليغ، الإيغال، وتعرّف عند أصحاب البديع بأنّها: دعاء بلوغ وصف في الشّـدة أو في الضّـعف حـداً مسـتحيلاً أو مسـتبعداً لـئلا يُظـن أنّـه غـير متنـاه في الشّـدة أو الضّعف.[82] والمبالغة كثيرة في كلام العرب، وجوّز الشّيخ ابـن عثيمـين وجودهـا في القرآن الكريم والسّنة النّبوية وضرب أمثلة على ذلك.[83]

ووقف عندها الشّيخ المُستغانمي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الشّعراء [49]. فبعد أن بيّن المُستغانمي بلاغة قوله تعالى؛ فلسوف تعلمون، عندما حذف المفعول به (نكالي)ليجعلهم يفكرون بالعقوبة أيّة عقوبة تنتظرهم، ممّا يشدّد من وقعها وقسوّتها عليهم أكثر ممّا لو عرفوا نوعها من أوّل

وهله، وبعد هذا التّهديد الإجمالي بدأ يفصل (لَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وَأَرجُلَكُم مِّن خِلَٰف وَلَأُصَلِّبَنَّكُم أَجمَعِينَ) فيقول في تفسير هذه الآية: « ليس لأقطعكن وإنما أقطّعنّ فيها مبالغة في التّضعيف وفي النّون المشدّدة، هذا يسمى توكيد مشدّد، اللام مؤكّدة، ونون التّوكيد الثّقيلة قطّ فعل مشدّد، مبالغة بأسمى معانيها ولا يوجد في اللغة العربيّة أكثر من هذه المبالغة إذا قطع اليد اليمنى يقطع الرّجل اليسرى، وإذا قطع اليد اليسرى قطع الرّجل اليمنى حتى يصلبهم والتّصليب يكون بدون هذه العمليّة ».[84]

وكما يلاحظ فأنّ المستغانمي يقرّر بأنّه لا يوجد في اللغة العربيّة أكثر من هذه المبالغة، بما انطوت عليه من مؤكدات وتضعيف وتشديد ليعبّر بدّقة عند صورة التّعذيب الغريبة، التي ابتكرها فرعون فتوافق المبنى مع المعنى، وكلّ ذلك من أجل أن يكون ذلك عبرة للنّاس حتى لا يخرجوا عن طاعته .ولم تشر إلى هذا الفنّ البلاغي معظم التّفاسير المشهورة في هذا الموضع.[85] وفي قصّة موسى عليه السلام في سورة النّمل يقف الشيخ المُستغانمي عند آيات موسى التّسع الواضحة المعجزة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ النّمل [13، 14]. فيعلّل عدم ورود استيقنتها بصيغة ايقنتها أنفسهم: «استيقنتها فيها مبالغة أشدّ نقول: أجابه لدعوته، استجاب لدعوته فيها مبالغة ... استيقن فيها مزيد من المبالغة والتّوكيد».[86]

فجاءت المبالغة ـ هنا توكيداً لما رسخ في أنفسهم من يقين بأنّها آيات مـن عنـد الله ـ وهذا ما ذهب إليه معظم المفســرين بيـد أنّهـم جحـدوا بهـا ظلـماً وتكبراً...وهنـا يستحضر المستغانمي فنونا بلاغية مـن مثـل اللـف والنّشــر والعـدول والتّعـريض ويعـرّف ببعضـها ويـأتي بشـواهد لتوضـيحها ولا سـيّما اللـف ثـمّ يشـير الشّـيخ المستغانمي إلى العدول في لفظة (أنظـر) فبعـدما كـان الخطـاب في الآيـات السّـابقة موجها إلى موسى هنا عدل بـه إلى النّبـي محمّـد ﷺ تكـريماً لمحمّـد ﷺ وتثبيتـاً لقلبـه ومؤاساة، وهو تعريض بالمشركين بأنّ سيكون مصـيرهم كـما آل إليـه أمـر فرعـون وجنوده وبالتّالي تتعاضد الفنّون البلاغية مع بعضها لتفصح عـن بلاغـة هـذه الآيـة وشديد تماسكها.[87]

4-2. **المحسنات اللفظيّة:** ويكون التّحسين فيها راجعـاً إلى اللفـظ أولاً بالـذات ويتبعه تحسين المعنى ثانياً ولو غير اللفظ بما يرادفه لزال المحسـن،[88] ولعـل مـن أبـرز الفنّون التي أشار إليها الشّيخ المُستغانمي في سور الطّواسين:

4-2-1. **الجناس**: هو تشابه اللفظين في النّطـق واخـتلافهما في المعنـى، ويقسـم إلى: الجناس التّام: ويكون تاما عندما يتّفق اللفظان في أربعـة أشـياء: نـوع الحـروف عددها ـ هيئتهاـ ترتيبها. وإلى الجنـاس غـير التّـام: وذلـك عنـدما يختلـف اللفظـان المتجانسان في واحد من الأشياء الأربعة السّابقة.[89] وقد أشار إليه الشّيخ المُسـتغانمي عند تفسـيره لقولـه تعـالى:﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴾ الشّعراء [167، 168].ذكر المُستغانمي: إنّ نوح ﵇، قيل له لتكونن من

المرجومين، بينما هنا قيل للوط ﷺ: لتكونن من المخرجين لأنّ لوطاً ليس منهم بل من العبرانيين وقومه كانوا من الكنعانيين فهددوه بذلك، فهم يريدون التّخلص منه لأنّه ليس منهم في الأصل وهم معتادون على هذا الأمر فردّ عليهم لوط (قال إني لعملكم من القالين وفي ذلك يقول المُستغانمي: « ما قال إني لعملكم لقال أو لمبغض وإنّما من القالين؛ أوّلاً: لإفادة تمكّن الوصف فأنا شديد البغض لكم لما تعملون، ثانياً : ليتأسف مع النّسق التّعبيري، ثالثاً : ليتناسق مع علم البديع (قال من القالين) هذا يسمى جناس مطرّف مذيل، هذا جناس تام : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)، وهنا جناس تام مطرّف مذيّل لأنّه اضيفت الياء والنّون في نهاية القالين.[90] وثمّة اختلاف بين البلاغيين في تحديد هذا المصطلح فمنهم يسمى المطرف ما زاد في طرفه الأوّل والمذيّل ما زاد أحد ركنيه على الأخر حرفا في آخره ومنهم من يرى أن تكون الزّيادة في حرفين في أوّله ومنهم من يرى زيادة حرفين في آخره.[91] وما يهمنا من قول المستغانمي هو ما ذكره أخيراً عندما عمد إلى ذكر الجناس المطرف المذيل في لفظة (قالين) عندما زيدت بحرفين في آخرها عن اللفظة الاولى (قال) ويبدو أنّ ثمّة اضطراباً حدث هنا في تحديد هذا المصطلح فهل هو مذيل أو مطرف مذيل أو تام مطرف مذيل، وأيّا كانت التّسمية المهم حدث هنا جناس يبين اللفظيين .(قال ـ قالين)وحدّده الشّيخ المُستغانمي وجعله من مقوّمات التّنسيق البديعيّ، وبالتّالي نجد أنّ للبديع والجناس بخاصّة أثرا في تفسير القرآن وبيان إعجازه .وورد الجناس في سورة النّمل فيما جاء على

لسان الهدهد وهو يخاطب النّبي سليمان ﷺ في قوله تعالى﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ النّمل [22]. يقول المستغانمي: «أنظر إلى جمال الوقع اللفظي الجميل وجئتك من سبأ بنبأ، لو قال بخبر المعنى الصّحيح لكن بنبأ أصح من حيث المعنى، ومن حيث الصّوت هذا من الناحيّة اللغوية يسمى (جناس التّصريف).ما معنى جناس التّصريف :عندما تتّحد كلمتان في الحروف وتختلفان في حرف سبأ ــ نبأ يختلفان في حرفين (س، ن، ويتفقان فيما بقى إذن وعندنا في اللغة العربيّة أنواع كثيرة عندنا جناس التّصحيف (يسقين ـ يشفين) إين يختلفان في التّنقيط فقطّ هذا من روائع الجناس الذي وقف عنده البديعيون. ولماذا كلّ هذا الكلام؟ تشويقاً لسليمان فهو قال: احطت به مالم تحط به وأنت نبي في مقامك الجليل فهو يريد يشوقه للآتي ».[92]

يذكر الشّيخ المُستغانمي ــ هنا ـ نوعين من أنواع الجناس، وهما جناس التّصريف الذي ورد في قوله (سبأ ــ نبأ) والنّوع الآخر: التّصحيف ذكره عرضاً من أجل بيان أنواع الجناس، كما أنّه نفى أن يكون في (سبا ــ نبأ)جناس ناقص لأنّ الجناس الناقص يكون الاختلاف في اللفظين في عدد الحروف وما ذكره يتوافق مع ما ذكره أهل البلاغة، وفضلاً عن ذلك نجده يعدّ هذا الجناس من روائع الجناس الذي وقف عنده البديعيون بما أنطوى عليه من وقع لفظي جميل أثر في الاسماع والقلوب على حد سواء لأنّه لم يكن متكلفاً ولا مصطنعاً، لأنّ المقام استدعاه ممّا زاد من تشويق سليمان لمعرفة هذا النّبأ.

4-2-2. **الفاصلة:** ويطلق عليها السّجع ويؤثّر أكثر العلماء اسم الفواصل بـدلاً من السّجع تنزيهـا للقـرآن الكـريم مـن تشـبيهه بالسّـجع الصّـادر عـن الكهـان في الجاهليّة، ويقصد به توافق الفاصلتين من النّثر على حرف واحـد في الآخـر،[93] وقـد وردت الفواصل في القرآن الكريم، ولبست ثوبه فزادها شرفا ومكانة وأدت دورها الذي فرضه السّياق. والشّيخ المُستغانمي أشار إلى الفواصل في تفسيره لقوله تعـالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾الشّـــعراء [72، 73]. والآيتـــان جاءتا في محاجة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه عندما تمسكوا بعبـادة الأصـنام، فـيرى المستغانمي أنّه تم حذف المفعول به ليسـمعونكم، التـي أصـلها يسـمعون دعـاءكم أي هـل يسـمعون دعـاءكم حـين تـدعون أو ينفعـونكم أو يضـــرون لم يقـل أو يضرونكم، لأنّ الإنسان لا يطلب الضّـر لنفسه قـال هـل ينفعـونكم أو يضـــرون أعداءكم أو يضرون من تريدون إنزال الضـّرر به فحـذف المفعـول بـه هنـا وتـرك تقديره لهم، وكما يلاحظ أنّ لفظة يضـرون دفعت في نهايـة الفاصـلة، ولـذا لم يقـل يضرونكم للتوافق مع الايقاع الصّوتي لفواصل الآيات المجاورة، فالمعنى هـو الـذي استدعى الفاصلة هنا، ولذا يشعر المخاطب بموافقتها للمعنـى فضـلا عـن تأثيرهـا النّفسي عليه.[94]

وفي قولـه تعـالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾الشّـعراء [108]. أشـار المسـتغانمي إلى الفاصلة في أطيعون التي كررها وأكـدها بعـد الآيـة التّاليـة قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾الشّعراء [110]، وجاء هذا القول على لسان نوح عليه السلام عندما كذبـه قومـه

فقـال تعـالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾الشّعراء [105–108].

وكما يبدو أنّها جاءت لتّسلية الرّسول ﷺ بعد أنّ كذب محمّدَ المشـركون فكأنّـه يقول له :لا تحزن عليهم، فهم كذبوك، وقد كـذبت قـوم نـوح المرسـلين مـن قبـل وهذا التّأنيس يحتاج إلى توافر كلّ عوامل التّأثير عـلى نفسـية نبيـه مـن أجـل تسـليّته وهذا ما حصـل فعـلاً مـن خـلال الفاصـلة، وفي هـذه الفاصـلة المـذكورة يقـول المستغانمي « كرّرها وأكّدها مـن جديـد (واطيعـون)اطيعـوني أنـا النّـون للوقايـة وحذفت ياء المتكلّم للفاصلة ((اطيعوني ــ يهديني)) يـاء المـتكلّم حـذفت لرعايـة الفاصلة لأنّ الايقاع الصّوتي للسّورة كلّه بالنّون ».[95]

وعلى الرّغم من حذف الياء من أجل التّناغم الصّوتي مع باقي آيات السّـورة إلاّ أنّ هناك أمرا آخر تتجلى فيه بلاغة هذه الآية، فضلاً عن الايقـاع الصّـوتي ألاّ وهـو تقديم التّقوى على الطّاعة وذلك ما أشار إليه المُستغانمي عندما علّل تقـدّيم التّقـوى وذلك لأنّ التّقوى تؤدي إلى طاعة الله وطاعة رسوله فمن يتّصف بـالتّقوى يتّصـف بالطّاعة لهما ... فيتعاضد هنا الايقاع الصّوتي مع المعنى لتتحقق بلاغة الآيـات وقـوّة التّأثير على المخاطب المباشر وغير المباشر.

4–2–3 .ردّ العجز على الصّدر: هو في النّثر أن يُجعل أحد اللفظين المكـرّرين أو المتجانسين أو الملحقين بهما ــ وهما اللذان يجمعهما الاشـتقاق أو شـبه الاشـتقاق في أوّل الفقرة والآخر في آخرها.[96] وأشار الشّيخ المُستغانمي إلى هذا الفـنّ البـديعي في

تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾الشّعراء [6] والآية تتحدث عن تكذيب المشركين للقرآن واعراضهم عن النّبي ﷺ واستهزائهم بدعوته، ولكن توعدتهم بأنّ ستأتيهم العقوبات العاجلة والآجلة، والشّيخ المُستغانمي في معرض تعليله لعدم ذكر لفظة يكذبون محل يستهزئون وهو الأولى كما يبدو لأوّل وهلة من أجل التّناسب بين كذبوا ـ يكذبون، يذكر الفنّ البديعي (رد العجز على الصّدر) ويشير إلى كثّرته في القرآن الكريم ويضرب أمثلة على ذلك من ذلك قوله تعالى : ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ الأحزاب [37]، ويرى أنّه لو قيل في غير القرآن (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يكذبون) فالكلام صحيح .يتسق مع الإيقاع لكن قال يستهزئون من أجل إضافة معنى آخر وهو الاستهزاء فهم كانوا يكذبون وكانوا يستهزئون وهذا يتّفق تماما مع ما ذهب إليه ابن عاشور.[97] وقبل ذلك كانوا معرضين فبذلك كان المشركون في عهد الرّسول ﷺ يمتلكون هذه الصّفات الثّلاث: الإعراض والتّكذيب، الاستهزاء، وجاءت جميع هذه الصّفات متوافقة مع الإيجاز الشّديد الذي اتسم به القرآن الكريم.[98]

ويشير الشّيخ المُستغانمي إلى ردّ العجز على الصّدر بين ختام سورة النّمل ومطلعها في قوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ النّمل [93]، التي هي ختام السّورة ومطلع السّورة، قَالَ تَعَالَى:﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾النّمل [1، 2]

فهنا يلتقي المطلع مع الختام، ويقرّر أنّ رد العجز عـلى الصّـدر في القـرآن مرعـي ومتناسق، وفي الوقت نفسه مبينا روعة المقطع الذي انطوت عليـه هـذه الآيـة التـي عززها (رد العجز على الصّدر)مع المطلع الذي أشرنا إليه.[99]

ويذكر الشّيخ المُستغانمي رد العجز على الصّدر في سورة القصـص وذلـك عنـد تفسيره لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ القصص [85]، ففي هذه الآية تثبيت للنّبـي محمّـد ﷺ ووعـد بحسن العاقبة في الدّنيا والآخرة.

وفيه وعد بأنّ الله سيرده إلى مكّة، وفي ذلك بشـــرى غيبيـة ووقعـت وهـذا مـن الإعجاز الغيبيّ للقرآن الكريم، ويقرّر المُستغانمي أنّ في قوله تعالى (لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَـادٍ) ردّ العجز على الصّدر ويضرب مثالاً من الشّعر العربيّ ليوضح ذلك ثمّ يقـرّر أنّ مـا حصل هنا هو رد نهاية السّورة إلى بـدايتها في قولـه تعـالى:﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ القصص [7]. فلما بشر تعالى أمّ موسى بعودة موسى بشرها أنّـه يكـون من المرسلين، أمّا محمّد فقال له أنت يا محمّد رادك إلى معاد وهـي مكّـة عـلى أرجـح الأحوال هنا رد العجز على الصّدرفلما وعدها وبشرها بشر محمّـدا وتناسـق المطلـع من النّهاية،[100] ولا أحسب أنّ أحداً من المفسّرين فيما اطلعت أنه ذكر رد العجز عـلى الصّدر في هذه الآية وبالتّالي نجد أنّ المُستغانمي كشف عن فنّون بلاغيّـة جديـدة في تفسيره للقرآن مما وسم تفسيره بالجدّة والتّجدّد.

5ـ**الخاتمة**: بعد هذه الرّحلة الممتعة (في رِحاب سور الطّواسين)؛ الشّعراء والنّمل والقصص، التي كان هدفها الوقوف عند الجهود البلاغيّة للشّيخ المستغانمي، ومن خلال برنامج (في رِحاب سورة)، الذي تبثّه قناة الشّارقة توصلت الدّراسة إلى النّتائج الآتية:

- للشّيخ المُستغانمي ثقافة واسعة ومعرفة دقيقة في مختلف علوم اللغة العربيّة من لغة ونحو وصرف، وبلاغة وظفها جميعاً في خدمة تفسيره لآيات الذّكر الحكيم؛

- تضمّن تفسيره للقرآن الكريم من خلال برنامج (في رِحاب سورة) حشدا هائلا من الفنّون البلاغيّة، في علم المعاني، والبيان، والبديع، يتعذر احتواؤه في بحث قصير، بل حتى في كتاب واحد أو رسالة جامعيّة واحدة؛

- أفاد الشّيخ المُستغانمي من كتب التّفسير التي سبقته، ويتبدى ذلك من خلال استشهاده بأقوال بعض المفسّرين ذاكراً أحياناً أسماء بعضهم وفي الغالب الأعمّ يعدل عن ذكرها مكتفياً بقال المفسّرون أوقال أحد المفسّرين؛

- برز اهتمام الشّيخ المستغانمي بالبلاغة واضحا، ليس من خلال توظيف فنّونها في تفسير القرآن الكريم حسب بل من خلال توضيحه لبعض المصطلحات البلاغيّة والتّعريف بها وذكر الشّواهد اللازمة وأحياناً يبحث في أصل نشأة بعضها

- اتّسم تفسيره بالجدّة إذ نحى منحى جديداً وذلك عند عرضه لجانب لم يفطن إليه المفسّرون السّابقون، من خلال بيان ما يسمى بالثّوب اللفظي، الموشح

بالبلاغة الذي تتميز به كلّ سورة .واستخدامها لألفاظ وصيغ وأساليب تختلف عن بعضها مراعاة لجو السّورة العامّ؛

- في التّشبيه لم ينظر إليه نظرة تقليديّة، كما هو متعارف عليـه مـن حيـث تشـبيه شيء بشيء أو صورة بصورة، وإنّما ذهب إلى أكبر من ذلك عندما شبه فئة بفئـة، أو قصّة بقصّـة كـما حـال تشـبيه الأقـوام الضـذالة بالشّـعراء، أو تشـبيه قصّـة محمّـد بموسى(عليهما الصّلاة والسّلام) في بعض تفاصيلهما؛
- وجدت فيما يخصّ سور الطّواسين أنّه كان قليل الإشارة إلى فنّون علم البيـان مقارنة بالمعاني والبديع، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة هذه السّور؛
- يعدل أحيانا عن ذكر بعض الفنّون البلاغيّة على الرّغم من وجودها ووضوح ظهورها في بعض الآيات، حتى أنّ المقدّم يذكر الفنّ البلاغيّ على مسمعه ولكـن لا يذكره ... ويبدو أنّه يريد أن يتجاوز ما ذكره الآخرون، أو أنّ الفنّ البلاغـي لم تكـن له كبير أهمية في تفسير الآية المعنية؛
- انفرد في ذكر بعض المصطلحات البلاغيّة وتحديدها ممـا لم يـذكره المفســرون السّابقون، أو أنّه يختلف مع بعضهم في تحديدها في بعض الآيات؛
- يرجح الرّأي الذي يتناسـب مـع الثـوب اللفظـي الـذي تلبسـه السّـورة، في الوقت الذي يختلف فيه المفسّـرون ... وحسب ايقونة السّورة، وتماسك محاورها.

وأخيرا لا بدّ من القول بأنّي بذلت جهدا كبيرا، وأمضيت وقتـا طـويلا في سـماع عشرات الحلقات من برنامج (في رِحاب سورة)، ومن ثمّ تقييد الجوانـب البلاغيّـة التي عرضها الشّيخ المستغانمي، وكانت كثيرة جدا، ومتشعبة وموزّعة عـلى علـوم البلاغة الثّلاثة، فضلا عمّا يخص بلاغة المفردة وبيانها، ومع كلّ ذلك حرصت عـلى

إعطاء هذا الموضوع حقّه' والتعريف بجهد الشّيخ الجليل المستغانمي البلاغي في بحث قصير، وما ذلك إلا مدخل بسيط لجهده الكبير في مضمار اللغة والبلاغة والعلوم الأخرى، فإن وفقت فما هو إلاّ بتوفيق من الله، وإن كان غير ذلك فحسبنا نصيب المجتهد والحمد لله أوّلا وأخيرا.

6ـ**التّوصيات**: لما ينطوي عليه تفسير الشّيخ المستغانمي للقرآن الكريم من خلال برنامج (في رِحاب سورة) التي جاوزت حلقاته (300) حلقة، ومؤلّفاته الأخرى؛ من مادة بلاغيّة وفيرة، تضمّ علوم البلاغة الثّلاثة، فضلا عن المادة النّحوية واللغويّة، لذا:

أوصي المهتمين بالدّرس البلاغيّ أو اللغويّ من باحثين، أو أساتذة أكاديميين في الجامعات العربيّة، والإسلاميّة، بالعناية بهذا الجهد الكبير المبذول من قبل فضيلة الشّيخ المستغانمي، ودراسته وفي ذلك الخير الكثير والأجر والثّواب، كما أوصي بضرورة تفريغ حلقات هذا البرنامج النّافع لصعوبة سماع حلقاته الكثيرة وهنا أشدّ وأبارك للأخت سمر الأرناؤوط جهدها في تفريغ عدد من حلقاته، ولا يفوتني أنّ أتوجه بخالص دعواتي على القائمين على هذا البرنامج وأخصّ بالذكر شيخنا الجليل المستغانمي والمقدّم الرّائع والاعلامي النّاجح محمّد خلف جزاهم الله جميعا خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

7ـالإحالات والمصادر:

---

[1]-ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدّين القزويني، (ت: 739هـ)، تحقيق ؛محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط3:1/ 18 والتّعريفات، علي بن محمّد الجرجاني، تحقيق؛ إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي–بيروت 1405ه: 1/ 43، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السّيد أحمد الهاشمي، شرح وتحقيق حسن حمد، دار الجيل، بيروت :36.

[2]-ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ 1406 –1986م: 1/ 467.

[3]-تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج4: الآية:53–56.

[4]-تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج3: الآية:8.

[5]-ينظر: التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمّد الطّاهر بن محمّد الطّاهر بن عاشور التّونسي (ت: 1393هـ)، الدّار التّونسية للنّشر – تونس، 1984 هـ:19/ 226.

[6]- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطّيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)،عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ – 1992 م:10/ 14.

[7] – تفسير سورة القصص(في رِحاب سورة)، ج7 : الآية:49.

[8]– تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السّعود العمادي محمّد بن محمّد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التّراث العربي – بيروت:7/ 18.

[9]–ينظر :الايضاح في علوم البلاغة :1/ 56، والتّعريفات 32، ومعجم المصطلحات البلاغيّة:1/ 332.

[10] - ينظر: الايضاح:147.

[11]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة:1/ 332، والبلاغة فنّونها وأفنّانها، (علم المعاني) د. فضل حسن، دار الفرقان للنّشر والتّوزيع-الأردن، ط/ 10، 1426ه:47.

[12]- ينظر معجم المصطلحات البلاغيّة:1/ 180.

[13]- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد العليم السّد فودة، مؤسّسة دار الشّعب القاهرة د-ت:296.

[14]- تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج4: الآية: 7.

[15]- تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج7: الآية:55.

[16]- تفسير سورة القصص(في رِحاب سورة)، ج8: الآية:62.

[17]-ينظر: الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزّمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت الطّبعة: الثّالثة - 1407 هـ:3/ 425. و تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشّيخ علي محمّد معوض دار الكتب العلميّة – ط1، لبنان/ بيروت - 1422 هـ - 2001 م:7/ 123.

[18]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها:1/ 313.

[19]- ينظر: مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكاكي (ت: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط2، 1407 هـ - 1987 م:332.:318، ومعجم المصطلحات البلاغيّة:1/ 314.

[20]- تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج4:الآية: 43.

[21]- ينظر: تفسير الرّازي (مفاتيح الغيب أو التّفسير الكبير)، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن الرّازي الملقب بفخر الدّين الرّازي (ت 606 هـ)، دار إحياء التّراث العربي بيروت:24/ 503 والتّحرير والتّنوير:19/ 127.

22– تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج4: الآية:19 .

23– تفسير سورة القصص(في رِحاب سورة)، ج4: الآية:49.

24–ينظر: التّحرير والتّنوير:20/ 139 .

25– ينظر معجم المصطلحات البلاغيّة:3/ 328 .

26– تفسير سورة القصص(في رِحاب سورة)، ج6: الآية:38 .

27– ينظر: التّحرير والتّنوير20/ 121 .

28–ينظر: ينظر معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها:1/ ، 349والمفصل في علوم البلاغة العربيّة (المعاني–البيان–البديع)، د.عيسى علي العاكوب، دار القلم للنّشر والتّوزيع، ط2، دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، 2005: 321

29– ينظر: التّعبير القرآني، فاضل صالح السّامرائي، ط5، دار عمار، الأردن، 2007: 75.

30 – تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج5: الآية:63.

31– تفسير سورة النّمل (في رِحاب سورة)، ج6: الآية:36 .

32– تفسير سورة القصص (في رِحاب سورة)، ج7: الآية:48 .

33– ينظر: التّحرير والتّنوير:20/ 137 .

34– المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدّين بن الأثير، نصر الله بن محمّد (ت: 63هـ) تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجالة ـ القاهرة:2/ 280 .

35– ينظر: المصدر نفسه:2/ 281 .

36–ينظر: تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج2: الآية:8 .

37– ينظر: المصدر نفسه: ج2: الآية:8 .

38–ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، :3/ 208 .

39– تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج4: الآية:12 .

[40]-تفسير سورة القصص(في رِحاب سورة)، ج: الآية:44.

[41]-ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدّين محمّد بن عبد الزّركشـــي، (ت: 794هــ) تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحيـاء الكتـب العربيّـة عيسـى البـابى الحلبـي وشركائـه ط1 1376 هـ - 1957 م:3/ 143.

[42]- الإيضاح: 3/ 214.

[43]- تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج4:الآيات:8ــــ12.

[44]- ينظر: التّحرير والتّنوير:19/ 226 ـــــ 231 .

[45]-ينظر: الاتّقان في علوم القرآن، عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي (ت: 911 هــ) مركز الدّراسات القرآنيّة، مجمع الملـك فهـد، ط1، السّـعودية:4/ 1412، ومعجـم المصـطلحات البلاغيّة وتطوّرها:2/ 325.

[46]- تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج6:الآية:36.

[47]- تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج7:الآية:47.

[48]-ينظر: تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج6:الآية:108.

[49]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، شهاب الدّين محمود بـن عبـد الله الحسـيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق؛ عـلي عبـد البـاري عطيّـة، ط1، دار الكتـب العلميّـة – بـيروت 1415 هـ:10/ 105.

[50]- تفسير سورة الشّعراء(في رِحاب سورة)، ج3:الآية:10-11.

[51]-ينظر: التّحرير والتّنوير:19/ 102.

[52]- مفتاح العلوم:332.

[53]- تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج1:الآية:224-227.

[54]- تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج9:الآية:225.

[55]- ينظر على سبيل المثال: تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج11:الآية:88.

56[56]– ينظر: البلاغة فنّونها وأفنّانها(علم البيان والبديع)، د.فضل حسن عباس، دار الفرقـان للنّشـر والتّوزيع، ط11، عمان، 2007م–1428ه :2/ 87، 105

[57]– ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السّيد أحمـد الهاشـمي، شرح وتحقيـق حسـن حمد، دار الجيل، بيروت:179.

[58]– ينظر: المصدر نفسه :184

[59]– ينظر: البلاغة فنّونها وأفنّانها (علم البيان والبديع) :2/ 143.

[60]– تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج:الآية:80.

[61]– التّحرير والتّنوير:20/ 34.

[62]– تفسير سورة القصص (في رِحاب سورة)، ج3 :الآية:11.

[63]– ينظر: الكشاف : 3/ 395، تفسير الرّازي:24/ 581 .

[64]– تفسير سورة الشعراء(في رِحاب سورة)، ج7:الآية:135.

[65]– تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج4:الآية:13.

[66]– ينظر روح المعاني: 10/ 63.

[67]– ينظر البلاغة فنّونها وأفنّانها (علم البيان والبديع): 247.

[68]– تفسير سورة القصص (في رِحاب سورة)، ج2 :الآية: 9.

[69]– تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج9:الآية:215.

[70]– ينظر: روح المعاني: 10/ 131، والتّحرير والتّنوير:19/ 203 .

[71]– ينظر: التّحرير والتّنوير:19/ 203.

[72]– ينظر : مدخل الى البلاغة العربيّة (المعاني، البيان، البديع)، يوسف أبو العدوس، دار المسـيرة للنّشر والتّوزيع، ط1، عمان، 1427–2007م:237 .

[73]– المفصل في علوم البلاغة : 605.

[74]– تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج3:الآية:7.

[75]– ينظر: التّحرير والتّنوير:19/ 101.

[76]– المفصل في علوم البلاغة العربيّة :594.

[77]– ينظر تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة): ج 4: الآية : 26 } .

[78]– ينظر المصدر نفسه: ج 3: الآيات :23_24 .

[79]– التّحرير والتّنوير:19/ 117.

[80]– ينظر: الكشاف:4/ 500.

[81]– ينظر: تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة): ج 4: الآية : 26 .

[82]–ينظر: الايضاح :39 البرهان في علوم القرآن :3/ 36، ومعزك الأقران :1/ 313 .والمفصل في علوم البلاغة :590.

[83]– ينظر: الشّيخ ابن عثيمين، جهوده وآراؤه في علوم البلاغة، د. منير محمّد الدّحام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1434ه– 2013م :647.

[84]– تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج4:الآية:49.

[85]–ينظر: الكشاف :5/ 13، وروح المعاني:10/ 79، والتّحرير والتّنوير:19/ 128.

[86]– تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج4:الآية:14.

[87]– ينظر: المصدر نفسه، وروح المعاني:10/ 79، والتّحرير والتّنوير:19/ 128.

[88]–ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي للطّبع والنّشر القاهرة، 1419ه–1999م. :23 .

[89]–ينظر: مفتاح العلوم :539، والمفصل في البلاغة العربيّة 635– 638.

[90]– تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج8:الآية:167–168.

[91]– ينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها:1/ 84–85، والمفصل في علوم البلاغة العربيّة:636، وجواهر البلاغة: 245، والشّيخ ابن عثيمين، جهوده وآراؤه في علوم البلاغة:665.

[92]– تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج5:الآية:22.

[93]-.ينظر مفتاح العلوم :542، المفصل في علوم البلاغة العربيّة: 645.

[94]- تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج5 :الآية:72.

[95]- تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج6 :الآية:108، 110.

[96]- ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد بهاء الدّين السّبكي (ت: 773 هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطّباعة والنّشر بيروت – لبنان، ط1، 1423 هـ - 2003 م، والمفصل في علوم البلاغة :641، ومعجم المصطلحات البلاغيّة 2/ 228 ــــ231.

[97]-ينظر: التّحرير والتّنوير: 19/ 98.

[98]- ينظر: تفسير سورة الشّعراء (في رِحاب سورة)، ج2 :الآية:6.

[99]- تفسير سورة النّمل(في رِحاب سورة)، ج11 :الآية: 93 .

[100]-ينظر: تفسير سورة القصص(في رِحاب سورة)، ج11 :الآية:85.

آليات التّفسير المعاصر للقرآن الكريم، دراسة في الآليات وملامح التّجديد.

جهود (أمحمّد صافي المستغانمي) في برنامج (في رِحاب السّورة) مثالا.

د. زهرة بن يمينة

ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم

مقدّمة: لقد أسهم المفسّرون المعاصرون في تفسير القرآن الكريم مستثمرين في ذلك جهود القدماء وتوجّهاتهم المختلفة، ومنفتحين أكثر على العلوم التي تخدم علم التّفسير، فتنوّعت المناهج والرّؤى الرّامية إلى فهم القرآن معنى ومبنى، ولا شكّ أنّ هذه الآليات والرّؤى قد اختلفت بين القدامى والمحدَثين اختلافا يزيد النّص ثراء وتجدّدا في المعنى، وجدير بالذّكر في هذا المقام، الاستشهاد بجهود العلامة الحَبر (**أمحمّد صافي المستغانمي**) الذي يُعدّ علامة فارقة في إضفاء مزيد من الجهود البيانيّة والبلاغيّة على التّفسير القرآني.

1- مناهج العلماء المعاصرين في تفسير القرآن الكريم، مشاربهم، وتوجّهاتهم:

اختلفت المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم، متّخذة أساس الاختلاف النّظرةَ المتجدّدة لمعانيه التي لا يحدّها دلالة، وكانت بوادر هذا التّجديد بداية من تفسير الشّيخ (**القاسمي ت: 1914م**) المسمّى بمحاسن التّأويل الذي حذا فيه

حذو القدامى من حيث الأخذ منهم واتّباعه لمنهجهم، وتفسير تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان لابن سعدي، الـذي راعـى فيـه الوقـوف عنـد معـاني الآيـات والصّفات وتفسيرها، ثمّ يرد تفسير (محمّد عبـده) (ت: 1905م) الموسـوم بـالمنار الذي تتبّع الأبعاد الاجتماعيّة في تفسير القـرآن الكـريم ولم يحصـر آليّاتـه في المـنهج الكلاسيكيّ، وقد عُرف عنه تناوله لقضايا الإعجاز اللغويّ والبلاغيّ، بـل وتجـاوز ذلك إلى انفتاحه على القضـايا الاجتماعيّـة والجهاديّـة والتّربويـة مانحـا إيّاهـا سـمة التّجديد، كما يُعدّ تفسير (السّيد قطب) (ت: 1966م) عملا آخر مضافا إلى سلسـلة هذه الأعمال ومفارقا أيضا من حيث طرح المضامين، إذ عُدّ تفسيره وحدة متجانسـة لا يمكن فصل أيّ جزء منها عن الآخر، وعلى نظير تفسير الشّيخ محمّد عبده، تجاوز السّيد قطب في تفسيره الجانب اللغويّ والإعجـازيّ وانصـرف إلى ربـط التّصـوير القرآنيّ بالجانب الفنّي الذي تصبح فيه المعاني مُتخيّلة شاخصة أمام القـارئ لكتـاب الله، كما أنّه تعرّض لجميع المسائل الكونيّة والفلسفيّة وكذلك الاجتماعيّة (أمّا طريقته في ذلك فخلاصتها: أنّه يقدّم لكلّ سورة بمقدّمة يبيّن فيها موضوع السّورة ومحورها وأهمّ سماتها، ثمّ يعرض لمقاطعها ويربط بينها ببيان المناسبة وهكذا... مع الإعـراض عن المباحث النّحويّة وذكر الخلافات الفقهيّة، وتاركـا الخـوض فـيما أبهمـه القـرآن مهملا للإسرائيليّات).[1]

كما شكّل تفسير (الطّاهر بن عاشور ت: 1973م) رافدا آخر أغنى تفسير القرآن الكريم لتميّزه بالشّمولية من حيث اعتماد منهج متكامـل يُوظّـف الآليـات اللغويّـة

وتفسير القرآن بالقرآن. وعموما لا يُمكن حصر الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم في النّماذج المذكورة سابقا، بقدر ما يمكن اعتبارها أعمالا سبّاقة عن غيرها ومضيئة لها أيضا، فمعظم ما تلا هذه الجهود عُدّ إمّا مكمّلا لها، أو مختلفا عنها ويمكن القول بأنّ الجهود المعاصرة في تفسير القرآن الكريم تنوّعت بحسب الاتّجاه والرّؤيا، وقد غذّى هذا التّعدّد الانفتاح على المناهج النّقدية واللّغويّة والدّراسات الغربيّة على النّصوص المقدّسة، فتمّ توظيف مجموعة آليات يتمّ من خلالها فهم المعنى القرآني.

2- **المقاربة التّفسيريّة الجديدة للشيّخ أحمّد صافي المستغانمي**: إنّ الفيض البيانيّ الذي يغرف منه مفسّرو القرآن الكريم لا يمكن أن ينضب أو ينحصر في مناهج متشابهة، لذلك نجد كلّ عمل تفسيري للقرآن الكريم يُعدّ حلقة مكمّلة لجهود سابقيه، ويعدّ تفسير العلّامة (**أحمّد صافي المستغانمي**) تحفة فريدة حفل بها التّفسير المعاصر للقرآن الكريم، وهذا بسبب التّجديد الذي طال المنهج والرّؤيا فجهده في التّفسير عُدّ إبداعا قدّم توليفة تناسقت فيه علوم تفسير القرآن الكريم واستثمر فيه آثار من سبقوا ومن لِحقوا، لذلك نجد أنّ موضوعات القرآن الكريم مثل القَصص القرآني حظي بنصيب وافر من الدّراسة والتّحليل، وخير مثال على ذلك نجد كتاب **تصريف القول في القصص القرآني، دراسة بلاغيّة تحليليّة لقصّة موسى** عليه السلام مركّزا فيه على اللّطائف البيانيّة في تفسير هذه القصّة مراعيا بلاغة اللّفظ وسياق الكلمة ودوره في تحديد معناها، كما ركّزّ تفسير قَصص القرآن الكريم على الغاية المقصودة من هذا النّوع من السّرد (إنّ دراسة تصريف القول في قصّة

موسى ﷺ، ستوقفنا على كثير من الأسرار والمعارف المبثوثة في طيّات مشاهدها عبر السور القرآنية المختلفة، وتُبيّن بجلاء الأغراض التي سيقت من أجلها ومواطن الجمال والإعجاز في طرائق عرضها، والفروق التّعبيريّة التي تواجه القارئ وهو ينتقل من سورة إلى سورة، ومن مشهد إلى آخر، وتُثبت أنّ التّصريف في القول والتّنويع في العرض هو أدلّ الأدلّة على ربّانيّة المصدر القرآني)[2] فمن خلال النّقاط المُحدّدة تتّضح المفارقة في التّعامل مع النّص القرآني التي تفضي إلى تنوّع وثراء ومجموع ما قدّمه الشّيخ العلامة في علم التّفسير تمّ جمعه وتقديمه في البرنامج الذي بُثّ على الشّابكة (**في رِحاب سورة**)، وتمّ التّعرّض من خلاله إلى محاسن كتاب الله وبديع نظمه وإعجازه موظّفا جملة من الإجراءات المنهجيّة يمكن حصرها فيما يلي:

1.2 – علم مقارنة سور القرآن الكريم: اعتبر المفسّرون القدامى باب تناسب أجزاء القرآن الكريم من الأبواب المهمّة لأنّها تشكّل مَلْمح بلاغته وإعجازه ومن أمثلة هذا التّناسب: المناسبة بين أجزاء القرآن آيات أو سور أو مفردات، وهذا الإجراء هو عمل مهم ودقيق لفهم القرآن الكريم، فإيجاد الرّوابط بين هذه الأجزاء لا يتأتّى أمره إلاّ لمن أخذ على نفسه دأب التّأمّل في كتاب الله مع بصيرة نافذة وعلم واسع، وتمّ توظيف هذه الرّؤيا عند العلامة **صافي المستغانمي** في كتابه **جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور، رؤّية تأصيليّة للرّوابط المضمونيّة واللّفظيّة لمجموعات الأسر القرآنيّة** لكن برؤّية جديدة تحاذي كثيرا علم المناسبات بين السّور عند علماء التّفسير، غير أنّ الجديد الذي يتجلّى لنا من خلال هذا العمل هو تخصيص

مجموعات للسّور القرآنيّة حسب السّمات التي تجمعها سُمِّيت بالأسر القرآنيّة مثل إفراد **السّور متشابهة المطالع**، وهي: سُور الحمد وسورتي الحجّ والنّساء، والمائدة والحجرات والممتحنة، **والسّور المسبّحات** وتشمل سورتيّ الفرقان والملك والأحزاب والطّلاق والتّحريم، الصّف، والأعلى **والسّور المتشابهة الفواصل والسّور المبتدئة بأنساق تعبيريّة متشابهة**، ومُحقّق أن نجد ارتباطا بين مطلع السّورة ونهايتها، وبين ما تبعها وما لحقها، مثل تعالق سورة **الجاثية** مع سورة **الدّخان**، فآخر آية في سورة الدّخان هو: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ وما تمّ تيسيره هو الذّكر الحكيم الذي ورد في أوّل سورة الجاثية ﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ وآخر آيتين في سورة الجاثية هما: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهما ممهّدتان لابتداء سورة الأحقاف ﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، ويمتدّ هذا التّعالق والتّناسب إلى المواضيع في السّورة الواحدة أو السّورتين المتتاليتين، فالآيات التّكوينية التي تمّ عرضها في سورة الجاثيّة نجد تتمّة لها في سورة الأحقاف.

لقد أقرّ الشّيخ **صافي المستغانمي** مبدأ التّناسب بين أجزاء القرآن الكريم وتجاوزه إلى إقامة علاقة مقارنة بين السّور، مثل المقارنة بين سورتي **الفرقان والملك**، من حيث مطلعهما وما يتكرّر فيهما من ألفاظ، الأمر الذي يجيز الحكم بترابطهما، فمطلع سورة الفرقان ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، ومطلع سورة الملك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهذا تشابه لا يوحي بالتّكرار بل

باستمرار المعنى وتجدّده، إضافة إلى روابط داخلية وهندسة متشابهة تتجلّى في وجود لفظ **نَذير** أربع مرات في الفرقان والملك بترتيب محكم وتقاطع لفظيّ مُتناغم ومُتناسق يحيل إلى معنى مقصود، ونجد من أمثلة التّرابط والتّكامل قوله تعالى أيضا في سورة الفرقان في معرض حديثه عن المشركين ووهَن ما يعبدون ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ بينما ينتقل في سورة الملك للحديث عن أحقيته بالعبادة إذ يقول:﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[الآية:16] ويقول أيضا: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ فعلاقة التّناظر والتّكامل واضحة بين السّورتين، واتّصال المعنى بينهما ظاهر وإن خُصّص لكلّ لفظ متكرّر في السّورتين سياق معيّن، فنظرة المفسّرين للقرآن الكريم تتّسم بالشّمولية أي أنّ كلّ آية فيه متمّمة لأخرى (ما أُجمل في مكان قد فُسِّر في مكان آخر، وما اختصر منه في موضع قد بُسِط وفصِّل في موضع ثان. وهذه الطّريقة ضرورية لكلّ مفسّر أراد أن يعرف المعنى الحقيقي من الآية الكريمة لأنّ الله تعالى الذي أنزل القرآن هو أعلم ببيانه ومراده).[3]

2.2 – ظاهرة التّجاذب اللّفظيّ في القرآن الكريم: تعتمد هذه المقاربة على طريقة طرح السّور بشكل مختلف، وتتمّ من خلالها دراسة شخصيتها كما يقول الشّيخ المفسّر، وتختلف هذه المقاربة عن التّفسير الموضوعيّ والتّحليليّ الذي عهدناه عند القدماء والمحدثين، لأنّ غايته إضفاء التّجديد في دراسة القرآن بالاعتماد على الجهد

الموروث ويتجاوزه إلى مقاربة جديدة قائمة على أسّس منها ظاهرة التّجاذب اللّفظيّ أي تناسل الألفاظ من لفظ واحد وارد في السّورة، ويُعدّ محورا لها وفي الوقت نفسه تؤدّي معناه، لقد فتح هذا الباب المجال لمقارنة السّور والبحث في العلاقات التي تربطها، ويصلُح مثالا على هذا سورة الزّخرف لما احتوته من مجموعة ألفاظ متواشجة دارت في صلب محورها، فلفظ الزّخرف كما يدلّ معناه هو التّنميق والتّطريز تساندت معه عدّة ألفاظ من الحقل الدّلالي نفسه، ومنها مثلا ما ذُكر في قوله تعالى:

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ ﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

إنّ ألفاظ التّرف والزّينة الواردة في هذه السّورة منحت ثوبا لغويّا ونسقا تمشى والمحور العام لها رغم أنّه ورد في كلّ القرآن، لكن في هذه السّورة كان ضمن شبكة مفاهمية تحقق معنى مقصودا.

3.2– **محور السّورة القرآنية وعلاقته بتسميّتها:** إنّ المتتبّع لسلسلة (**في رحاب السّورة**) يتجلّى له جهد **الشّيخ صافي المستغانمي** في تفسير القرآن الكريم الذي اعتمد فيه على شبكة إجراءات متلاحمة لفهم المعنى القرآني منها: تعليل تسميّة السّور القرآنية بالاعتماد على المحور العامّ الذي ذُكر في السّور، فتفسيره للسّور لم

يخضع لترتيب المصحف الشّريف، وبدايته كانت بتفسير سورة الرّحمن، عروس القرآن وسبب ابتداء البرنامج بها لأنّها جامعة لمعاني الرّحمة الإلهيّة مثل خلق الإنسان، وتعليمه البيان ونعمة القرآن والتي سمّاها ﷻ بالآلاء أي الرّحمات وهي لازمة صوتيّة ومعنويّة انفردت بها السّورة وتكرّرت إحدى وثلاثين مرّة فيها تكرارا مقصودا لمساءلة الإنس والجنّ عن سبب تكذيب آيات الله تعالى، وتمّ تخصيص مقدّمات للسّور ومقاماتها وسبب تنزيلها، وذكر سبب تسميتها بالرّجوع إلى التّأصيل اللّغوي لها، وهذا المنطلق في التّفسير ينطبق على كلّ سور القرآن الكريم التي يحار المؤمن في سبب تسميّتها، فأسماء السّور استقاها الصّحابة الكرام من الرّسول ﷺ، مثل تفصيله لسبب تسميّة الأحقاف نسبة إلى الحقف من جذر (ح ق ف) وهو كلّ شيء مائل أو مُعوجّ وزائِغ،[4] ثمّ تعميم هذه التّسميّة على منازل عاد التي تقع بين اليمن وعدن والحجاز، فربط العنوان بمحتوى السّورة هو ما يجعله محورا لها وسببا في تسميّتها، والمحور هو ما يصلح أن يكون محورا في بقيّة موضوعات السّورة، فمثلا الأحقاف تعني مساكن عاد التي أخذت آية من السّورة ولا تنطبق على كلّ السّورة، لأنّ الموضوع يتفرّع إلى محاور أخرى مختلفة وأهمّ من موضوع منازل عاد، ويخالف الشّيخ **صافي المستغانمي** من قال بأنّ سبب التّسمية هو الاعوجاج والزّيغ الذي ورد في قوله تعالى في حقّ مشركي قريش﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾[الآية 2، سورة الأحقاف] لأنّه في رأيه إسقاط وتعميم غير مُبَرّرين، ويقترح أنّ محور هذه السّورة هو: القرآن الكريم ومواقف الخلق منه فالسّورة مشدودة بمحورها وأطرافها تتحدّث عنه، مثل التّنويه البارز في بداية السّورة، وموقف المشركين منه، و التّحدث عن تصديق كتاب موسى عليه السلام،[5] وما

يقال عن هذه السّور ينطبق أيضا على سورة فُصّلت، والزّمر التي توافق محوراهما مع موضوعهما.

إنّ اسم الجاثية في سورة الجاثية مأخوذ من الجثي والجثو على الرّكبتين والقدمين وقد ورد لفظ الجاثيّة فقط في هذه السّورة في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الجاثية، الآية: 28] وهذا مشهد لم يُذكر إلّا في هذه السّورة، وتُسمّى سورة الشّريعة بسبب ورود لفظ الشّريعة فقط في هذه السّورة في قوله تعالى﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الجاثية، الآية: 17] ومحورها العامّ هو آيات الله التّكوينية مثل خلق السّموات والأرض وخلق الإنسان مثل قوله تعالى في الآيات التي افتُتحت بها هذه السّورة المُباركة ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الجاثية].

وغيرها من الآيات التي تدلّ على الخالق العليم، وغالبا ما يتمّ تحديد المحور استنادا إلى الحقل المعجمي الموجود في السّورة، فلـمّا أراد الله تعالى أن يثبّت معنى الشّريعة أورد ما يناسبها من ألفاظ دالّة منها ذكر شريعة موسى تحقيقا للتّناظر بين شريعة الرّسول الكريم وشريعة موسى ﵇، ولفظ الجاثية ليس عابرا في هذه السّورة بل هو ملمح مهمّ من الملامح التّكوينية التي أشارت إليها. وخلاصة ما يمكن التّوصّل إليه في هذا العنصر هو أنّ القرآن الكريم نظام محكم ونسق بليغ أُحكمت فيه أجزاؤه تؤدّي فيه محاور السّور سببا رئيسا في تسميّتها.

4.2 – **العناية ببلاغة اللفظ**: إنّ الاهتمام بمعاني الألفاظ أمر مُتوجّب الأخذ به لأنّه عماد المعنى الذي يكتمل به فهم القرآن، وقانون التّفسير كما سنّه المنظّرون له يضع في أوّل شروطه البحث في عوارض الكلمة، يقول الزّركشي: (والذي يجب على المفسّر البداءة به، هو العلوم اللّفظيّة وأوّل ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن، لمن أراد أن يُدرِك معانيه)،[6] فللمفردة معنى داخل الآية لا تصلح له في ما سواها، وهذا السرّ اللّغوي هو ما حتّم على علوم التفسير أن تحيي المعنى بتتبّع خطى الدّلالة المتغيّرة ومن بديع البلاغة في القرآن الكريم هو اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب وتمييز الحقل المعجميّ الذي تضمّنته كلّ سورة، مثل اختصاص سورة الرّوم بذكر لفظ **الوعد** ثلاث مرّات تصديقا لوعد نُصرة الرّوم ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الآية 5] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية: 59]، إنّ هاتين الآيتين تحققان مبدأ التّناسب في القرآن الكريم من جهة، ومن جهة أخرى تتواءمان وموضوع وعد الله لنصرة نبيّه الكريم، ومثل ذكر الفعل **غُلِبَتْ** في بداية سورة الرّوم الذي ورد مبنيّا للمجهول بدل بنائه للمعلوم دون ذكر للغالب لعدّة أسباب منها: أهميّة المغلوب على الغالب الذي هو الفُرس وعدم تنازل القرآن لذكرهم، وغلبة الرّوم الذي يرد في هذه السورة وهو أهمّ من ذكر من يغلبهم، لأنّ خبر انهزام الرّوم كان منتشرا وهو لازم فائدة وإنّما الأهمّ هو ذكر انتصارهم فيما بعد والذي عُدّ تصديقا لنبّوة الرّسول الكريم ﷺ وتحقيقا لجانب

الغيبيّات الذي جاء به كما ورد لفظ **أَدْنى** في هذه السّورة أيضا بدلالته الدّقيقة على قرب الرّوم من الجزيرة العربيّة، وعلى انخفاض المنطقة التي وقعت فيها المعركة وهي جغرافيّا أدنى بقاع الأرض ويُعدّ هذا إعجازا غيبيا،[7] كما ورد لفظ الغلب في هذه السّورة مقترنا بالرّوم ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ واقترن لفظ النَّصْرِ بالمسلمين على المشركين في قوله:﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ففي صراع الأمّم غير المسلمة استعمل القرآن لفظ **الغَلَبَة** وفي انتصار الإسلام على الشّرك استعمل **النّصر** الذي أقوى دلالة وتعبيرا من الغلبة.

يَرد الاهتمام باللّفظ بظاهرة التّرادف في القرآن الكريم رغم من خاض في هذا الموضوع بين مجيز له ورافض، وسيتند معظم الرّافضين له على عدم عجز الذّكر الحكيم عن الاتيان بألفاظ تليق ومعناها، ومن الإجحاف في حقّ هذا الذّكر أن نطابق بين **جاء وأتى** وقد ورد كلّ منهما في مقام معيّن وبدلالة خاصّة أيضا (وكلّ لفظ إذا استعمل مكان لفظ آخر أضاف معنى جديدا وغير المعنى المشترك بينهم)،[8] مثلا ورود لفظتي **المشيّ والسّعيّ** في القرآن الكريم وما بينهما من فرق واضح فالسّعي حركة فيها همّة وحركة زائدة وكلّ ما ورد في القرآن بلفظ سعى دلّ على الجزاء يوم القيامة بالحسنى أو بالعقاب، مثل قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾[الآية 19] وقوله أيضا في سورة طه﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾بينما معنى المشيّ هو المشيّ العادي الذي لا حركة زائدة فيه مثل قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ

أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[الآية: 19] فالقرآن خصّص المعاني وأوضحها بدقّة وسدّ نقص عمل اللّغويين الذين لم ينتبهوا إلى بعض الظّواهر مثل التّرادف وغيره.

5.2 – توظيف الآليات النّحويّة في التّفسير: إنّ تفسير الشّيخ صافي المستغانمي انطلق من بنيّة أساسيّة تعتمد على اللغة ومعاقدها الصّلبة التي تعصم فكر وعمل المؤوّل، ومسائل اللغة المعروضة في تفسير سور القرآن الكريم انفرد بها هذا العلامة الحَبر في طرح خاصّ به، وجعلها ضمن نسق لغويّ عامّ شكل المنظومة عند المفسّرين، ويمثّل المدخل النّحوي سبيلا لدرء تعارض اللّفظ مع معنى الآية، لذلك تمّ الأخذ بهذا المنهج من أجل استخراج الأحكام من القرآن الكريم (فالتّحليل النّحوي وما يتعلّق به من قواعد وتخريجات نحويّة، واختلافات بين النّحاة، لحمة هامّة بانية لنسيج خطاب التّفسير، وأساس من أسّس صناعته، تبعا للتّرابط المشار إليه بين النّحو والمعنى، وتحقيقا للقوّة الاحتجاجيّة التي يمثّلها عالم النّحو في الدّفاع عن هذا المعنى أو ذاك)[9] ولاشكّ أن تُدرج هنا التّأويلات النّحويّة وتقدير المحذوف من حروف وأفعال، وتغيير في بعض أساليب التّخصيص للفاعل نفسه كما جاء في قوله تعالى في سورة الذّاريات ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴾[الآية:47] فقد ذكر الله تعالى بناء السّماء وخصّها بالاتّساع دون تخصيصٍ بأسلوب المدح نعم لأنّه لا يوجد غير الله فاعل لذلك دون منافس له في

ذلك، بينما خصّ تمهيد الأرض بالفعل **نِعم** لاحتمال ادّعاء فعل ذلك من طرف العباد ونسب تمهيد الأرض لهم.

تكثر في القرآن الكريم ظاهرة الحذف التي يمكن تقديرها من خلال سياق الكلام، مثل تقدير المحذوف في قوله تعالى في سورة الذّاريات﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الآية: 50]، والفرار لا يكون إلاّ من شيء مخيف، غير أنّه لم يُذكر هنا لوضوحه (فبعد ذِكر معجزات الله تعالى من توسيع السّموات، وتمهيد الأرض وذِكر الزّوجية في كلّ شيء)، أمرنا الله أن نفرّ إليه لأنّنا في هلاك واقتراب من الجحيم والكفر، ومن الجهل إلى العلم،[10] وقد تثير **الهاء** الواردة المضافة إلى حرف الجرّ من لبسا في الفهم، إذ كيف يتمّ الفرار من الله وقد تمّت الدّعوة إليه؟ ويمكن درء هذا اللّبس بتأويل المعنى كالآتي: إني لكم من جهته ومن عقابه عزّ وجلّ مُرسلٌ ومنذِرٌ بحكم أنّ الخطاب وارد على لسان الرّسول ﷺ.

6.2- الآليات البلاغيّة ودورها في تفسير القرآن الكريم: لقد أدّى التّفسير باستعمال البنيات البلاغيّة دورا في إثراء شبكة العلاقات داخل النّص باعتبارها آليّة مهمّة، ومجموع هذه الآليات هي: المجاز والاستعارة والكناية بالمصطلح، فهي تعمل وفق تصوّره المفسّر وتمثّله للمعاني، ومثال ذلك الاستعارة التّصريحيّة التي وردت في الفعل **فرّوا** في قوله تعالى في سورة الذّاريات ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الآية: 50]، فهو ﷻ لم يستعمل الفعل توبوا أو عودوا، وإنّما الفعل فرّوا لدلالته القويّة، وترد في هذه الآية تقديم وتأخير بليغين إذ قدّم المُخاطَب وهم

الكفّار، ثمّ أردف ذكر المُرسل الذي هو الله ﷻ وأخَّر الواسطة بين المرسل والمرسل إليه (النّذير المبين) أي الرّسول ﷺ بدافع الاهتمام بالمُخاطَب، ومن مظاهر التّقديم والتّأخير في هذه السّورة، تقديم أسلوب الأمر على أسلوب النّهي في قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ لحكمة بليغة وهي تحقيق الفرار إلى الله دون بقايا زيغ في القلب، وما يزيد بلاغة هذه الآية هو التّكرار الوارد ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ الذي يزيد من التّأكيد والبلاغة والإصرار.

3 - **نتائج الدّراسة:** لقد أفضت هذه الدّراسة إلى نتائج مهمّة يمكن حصرها فيما يلي:

- إنّ المقاربة التّفسيريّة الجديدة التي اعتمدها **الشّيخ صافي المستغانمي** أغنت تفسير القرآن الكريم بسبب جملة الإجراءات التي تمّ توظّيفها وتمثّلت في: علم مقارنة سور القرآن الكريم، ظاهرة التّجاذب اللّفظي في القرآن الكريم، محور السّورة القرآنيّة وعلاقته بتسميّتها، العناية ببلاغة اللفظ، توظيف الآليّات النّحوية والبلاغيّة في تفسير القرآن الكريم؛

- إنّ ميزة التّجديد التي طبعت تفسير القرآن الكريم استلهمت آثار من سبقوا وعززت الرّؤيا المتجدّدة للقرآن الكريم؛

- إنّ القرآن الكريم هو شبكة متلاحمة ومتواشـجة لا يمكـن فصـل أيّ عنصـر سياقي أو نسقي يمكن أن يُسهم في توضيح المعنى واكتشـاف مـا خفـي مـن الـذّكر الحكيم؛

- لقد تلاحمت الرّؤيا والمنهج عند **الشّيخ صافي المستغانمي**، فتحقّق بـذلك جهـد المعاصرين ودورهم في استكمال عمل من سبقهم.

هوامش الدّراسة:

[1] – فهد بن عبد الرّحمن بن سليمان الرّومي: بحوث في أصول التّفسير ومناهجه، مكتبة التّوبة (د.ط.ت.ش) ص: 163.

[2] – أمحمّد صافي المستغانمي: تصريف القول في القصص القرآنيّ، دراسة بلاغيّة تحليليّة لقصّة موسى عليه السلام، دار ابن كثير، ط1، 2018، ص: 11.

[3] – حسن عزوزي: الشّيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التّفسير، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، (د.ط)1422ه، 2001م،ج2 ، ص: 127

[4] –أمحمّد صافي المستغانمي: برنامج في رِحاب سورة، مقدمة في سورة الأحقاف.

[5] – نفسه.

[6] – فائزة أحمد صالح: علم المعاني في التّفسير الكبير لفخر الدّين الرّازي، ج1، ص147.

[7] – برنامج (في رِحاب سورة): سورة الرّوم – الجزء الأوّل من الآية 1 إلى الآية 9.

[8] - أمحمّد صافي المستغانمي: البيان القرآنيّ، التّرادف والتّقارب في الألفاظ، برنامج تمّ بثّه على الشّابكة.

[9] – محمّد بازي: صناعة الخطاب– الأنساق العميقة للتّأويليّة العربيّة– دار كنوز المعرفة والنّشر عمان ط1، 2015، ص:87.

[10] –أمحمّد صافي المستغانمي: برنامج (في رِحاب سورة)، تفسير سورة الذّاريات.

ميزات الأسلوب الخطابيّ عند أمحمّد صافي المستغانمي؛

برنامج (مع القرآن) حلقة لأمثال في القرآن الكريم، أنموذجا.

د. وردة كبابي

ج. عباس لغرور، خنشلة

يعدّ الإنسان المحور البناء للفعل الحضاريّ، حيث ما قامت الحضارات الإنسانيّة المختلفة، إلاّ بسعي الأشداء، ورؤى الحكماء، وهمّة الخطباء، والخطابة قديمة قدّم وجود الإنسان على هذه البسيطة، حيث أدركتها الأمّم الخاليّة، وتواصلت في الأقوام الحالية. ذلك أنّ الله ﷻ جعل الإنسان كائنا عاقلا ناطقا، لا يمكن أن يحيا دون أن يعبّر عن نفسه، ويتواصل مع غيره، ومن آياته -تبارك وتعالى- أن ربط بين خلق الإنسان وتمكينه من اكتساب الفصاحة والبيان مصداقا لقوله تعالى في سورة الرّحمان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾الرّحمان، علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان»، وجعل أداة لذلك (اللّسان) والذي يعدّ نصف المرء والمفصح عن ماهيّته.

وفي ذات السّياق، يحضرنا سيّد البشر أجمعين، وقدوّة العالمين رسولنا الأمين - محمّد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم إلى يوم الدّين- الذي حباه الله بلسان جامع لفضائل القول، مصداقا لقوله تعالى﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ (سورة

النّجم: 3 -4)، -وسنته أقوال صدقتها فعاله-، فأوتي بذلك جوامع الكلم، وامتلك ناصيّة اللغة فصال- في مكّة والمدينة وكافة القبائل العربيّة التي اشتهرت بالفصاحة- خطيبا داعيا العرب إلى الإسلام، بلسان صارم جازم بالحقّ، فاستقر قوله في الوجدان وأفحم أرباب البلاغة والبيان، وسار على نهجه صحابته الرّاشدون، المرشدون للنّاس إلى خير الدّارين، متخذين الخطبة أشرف وسيلة لتبليغ الرّسالة المحمديّة الخالدة إلى يوم الدّين.

بيد أنّنا اليوم نشهد واقع العربيّة الأليم، فهي تعاني بين أهلها منسيّة في دارها جنى عليها الأعداء قديما وحديثا، وتخلى عنها الأبناء أو زهدوا فيها، إلاّ القليل، فما صرنا نبصر في عصرنا من رجالها والمدافعين عنها إلاّ أقلاء، ممن شقوا في دروبها الطّريق العسير، وحصلوا العلم العزيز، فأتّقنوا اللسان العربيّ وحفظوا العلم الشّرعيّ، لأنّه الدّال الأول على العربيّة- فغاصوا في بحاره العميقة واستخرجوا دُرره الثّمينة- ومن هؤلاء الباحث اللغويّ الدّكتور **أمحمّد صافي المستغانمي**، الذي سأحاول في مداخلتي تحليل أحد حلقات براجه الدّينية المهمّة والشّائقة في الآن ذاته، من زاوية مقدرته الخطابية الفذّة التي مكنته من تحريك عقول المشاهدين واستثارة وجدانهم يحذوه في ذلك همّة العالم المصلح، وثقّة المتوكّل على الله المفلح وسأتتبع درسه الخطابيّ، مقتفيّة جهده الرّسالي الدّعوي، غير أنني سأستبق التّطرق إلى جهد هذا العالم، بتوطئة عن أهميّة الخطابة، وجملة من المفاهيم النّظرية التي من شأنّها أن تغني البحث في هذا الموضوع، وتوضح معالمه بالنّسبة للمتلقي (القارئ)

فلا يستقيم الولوج في البحـث، دون معرفـة كنّـه الخطابـة مـثلا وأركانها وعنـاصر العمليّة الخطابيّة... إلخ.

ما من ريب أنّ الخطابة، تعدّ الأداة المثلى في مجال الدّعوة إلى دين الله، والالتزام بشريعته السّمحة، وهي لسان حال الخطيب، إذ يؤدي دوره الرّسالي، في تبليغ العقول، وكسب القلوب، فتكون الخطابة بذلك الحبل الواصل بين الخطيب ومخاطبيه، وهي تعمد إلى هدايّة الإنسان، وإضاءة بصيرته، وتنوّير عقله، وتوجيهه صوب السّبل الصّحيحة التي تمكنه من الحياة بسلام في الدّارين، فالخطابة حاملة رسالة العلم والدّين، ومفتاح الرّسل والأنبياء في تبليغ الدّعوة الإلهيّة، وتوجيه النّاس إلى الحقّ والإيمان والصّلاح، مصداقا لقوله تعالى لرسوله الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ سورة المائدة– آية 67.

فالخطابة إذا مثلت الأداة الأولى في تنفيذ الوحيّ السّماوي وتطبيقـه كسـلوك دينـيّ عمليّ تفاعلي في حياة عامّة النّاس وما تزال الخطابة إلى يـوم النّـاس هـذا، وسـتظل إلى يوم البعث لسان الحق، وفكر الدّعوة النّاطق والـدّاعي إلى الامتثـال إلى أوامـر الله ﷻ والتّحلي بقيّم الحقّ والعدل والفضيلة والجمال... إلخ.

ولما اضطلعت الخطابـة بهـذا الـدّور الطّلائعـي الفاعـل في تبليـغ حقيقـة الـدّين وتولت مهمّة النّاطق الرّسـمي باسـمه، كـان لزامـا عـلى البـاحثين والدّارسـين، أن يتناولوها بالدّراسة التّأصيل لهـا، ومحاولـة الغـوص فيهـا كعلـم وفـنّ في الآن ذاتـه

ومعاينة مفهومها وأركانها ودورها الدّيني، واستنطاق أقوالها بين النّظرية والتّطبيق وبين التّفكير والواقع، وبين العلم والفنّ، والجمال والمعرفة.

إلى جانب أنّ الخطابة ومنذ فجر الإسلام، كانت أداة قويّة في المنافحة عن تعاليم الدّين الصّحيح، ودحض الباطل وأعوانه، وذلك بتوظيف الدّليل والحجة الدّامغين ولإقناع العقول بضرورة التّخلي عما استقر فيها من فساد فكر وعقيدة، بالإضافة إلى أنّها مثّلت أداة «للحفاظ على هويّة الأمّة من الذّوبان والانفساخ وحمايّة شريعتها من العدوان والتّلاشي عبر الزّمن».[1]

ونبدأ بالتّعريف اللغويّ للفظة الخطابة، كوّنه يضعنا في طريق واضح بالنسبة لظلال المعاني المتعلّقة بهذه اللفظة، وما تحيل عليه من اشتقاقات، وقد تنوّعت وتعدّدت هذه التّعاريف بتعدّد المعاجم واختلافها في تناول هذا المفهوم، وورد فيه:

- المواجهة بالكلام، أو مراجعة الكلام؛
- والمُخَاطبة مفاعلة من الخِطَاب والمشَاوَرَة والخُطب، اسم للكلام الذي يتكلّم به الخَطِيب، فيوضع موضع المصدر؛
- ورجل خَطِيب، حسن الخُطْبة، وجمع الخَطِيب خُطَبَاء، وخُطَبٌ بالضّم خَطابة بالفتح صار خَطِيبًا.[2]

وقد فصل (ابن وهب) في مفهوم الخطبة بقوله: «إنّ الخَطَابة مأخوذة من خَطبْتُ، أَخْطُبُ، خَطابةً... واشتق ذلك من الخَطْبِ، وهو الأمر الجليل، لأنّه أنّما يقام بالخُطبِ في الأمور التي تجلّ وتعظم والاسم منها خاطب، إذ جعل وصفا

لازما قبل الخَطيب... والخُطبة الكلام المَخْطوب به، وجمعها خُطب... أمّا المخاطبة فيقال منها خاطبتُ أخاطِبُ مخاطبة، والاسم الخِطاب... والخطابة والخطاب اشتقا من الخُطب والمخاطبة لأنّهما مسموعان».[3]

وبعد تتبع اشتقاقات كلمة (خطابة) فإنّ الذي يعنينا بصورة أنّها الدّلالة الاصطلاحيّة لهذه الكلمة، والتي تختلف بحسب اختلاف وجهات النّظر للفئات المستعملة لها، فليس المفهوم واحدا عند الفلاسفة والمناطقة والأدباء، بيد أنّهم جميعا اهتموا بهذا المصّطلح، وحدّدوا له تعريفات منها: أنّ الخطابة (قوّة تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ واحد من الأمور المفردة).[4]

وقد ركّز هذا التّعريف على إقناع المخاطب (المتلقي) بوصفه أحد عناصر العمليّة الخطابيّة النّاجحة.

كما عرفوا الخطابة على أنّها (قياس مركب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب النّاس فيما ينفعهم في أمور معاشهم ومعادلهم).[5] وهذا القول يؤكّد أهميّة الخطيب الذي يجب أن يكون ملما بعناصر الخطاب من مقدّمات ونتائج، دون إهمال المخاطب الذي يستهدف استمالته.

ولدى الأدباء هي (فنّ أدبيّ هدفه التّوجيه والتّحويل والاستمالة والإقناع).[6] بمعنى أنّ الخطابة يجب أن تتوفر على صفة الأدبيّة أي الجماليّة التي تستهدف توجيه وعي المتلقي واستمالة قلبه وشعوره.

أو هي (فنّ من فنون الأدب النّثري، مختص بكلام يلقى إلقاء أمام جمهور مسّتمع، ويعرف بالخطبة، ويهدف إلى توضيح أمر أو قضيّة هما مثار جدل لإفهام هذا الجمهور وتوجيهه واستمالته بإثارة عواطفه لاتخاذ موقف ما، هو الموقف الذي يرمي إليه الخطيب).[7] ويبدو التّعريف الأخير شاملا، إذ ركّز على جل عناصر الخطابة من خطيب وجمهور متلق (مخاطبين) وخطبته، لتحقيق الغاية المرجوة طبعا.

ولما كانت الخطابة، تحتفي بالأدلة، وتقوم على البراهين الدّامغة، فهناك من الباحثين من يعتبرها علما، قوامه (القدرة على توصيل المعلومات والأفكار والأخبار لجمهور المستمعين بصورة واضحة مؤثّرة ومقّنعة للأشخاص، فالخطابة هي علم يقوم على أسّس وقواعد وضوابط واضحة، كما أنّها موهبة ربانيّة فهي تجمع ما بين العلم والموهبة).[8]

أي أنّ الخطابة بالإضافة إلى هدفها وهو التّأثير في المتلقين، يجب أن لا يهمل صاحبها ضوابطها ومعاييرها في سبيل الإمتاع مثلا، فذلك حتما سينفي عنها صفة العلميّة، ويبقي لها صفة الموهبة فحسب وهذا غير كاف.

ونخلص إلى أنّه ورغم اختلاف هذه التّعريفات ومنطلقاتها، فالقاسم المشترك بينها هو خاصيّة (الإقناع والاستمالة)، وفي هذا السّياق يمكن أن نجمل العناصر الأربعة التي تحقّق شموليّة مفهوم الخطابة، كما أثارها الباحث الهنداوي في كتابه (دليل الخطيب) وهي:

أوّلا: أن يكون الحديث مخاطبة الجمهور من النّاس.

ثانيا: أن يكون بطريقة إلقائيّة.

ثالثا: أن تكون الخطبة مقّنعة، بحيث تشتمل على أدلة وبراهين تثّبت صحّة الفكّرة التي يدعو إليها الخطيب.

رابعا: أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة، وهذا يعني توجيه عواطف السّامعين واستجابتهم للرّأي الذي يدعو إليه الخطيب، لأنّ السّامع قد يقنع بفكّرة ما، ولكن لا يعنيه أن ينفذها وأن تتحقّق من غيره فلا يسعى إلى تحقيقها.[9] بمعنى أنّ الخطبة هي خطاب يحمل رسالة معينة يستهدف بها الخطيب المتلقي أو السّامع، بغرض إقناعه والتّأثير فيه، إذ لا يمكن أن تقوم خطابة دون توفر عناصرها الثّلاثة الخطيب (القائل أو المرسل)، الخطبة (القول أو الموضوع) والمخاطب (المسّتمع أو المرسل إليه).

1 - الخطيب: ويعد الرّكن الأوّل لقيام الرّسالة الخطابيّة، والعنصر الفعال في تكوين الخطبة، والمؤسّس لنجاحها من عدمه، وقوام ذلك مقدرة هذا الأخير على إقناع عقول المسّتمعين، واستمالة قلوبهم، وهو يتعامل مع الجانبين العقليّ والعاطفيّ بهدف التّأثير في مستمعيه وحملهم على تنفيذ ما يدعو إليه، ويبدو أنّ مهمّة الخطيب من الصّعوبة بما كان، إذ تفرض على هذا الأخير الاستعداد والتّمرس، قبل إلقاء خطبته، ومن هذا المنطلق عنى النّقاد بالخطيب، واشترطوا فيه جملة من الشّروط والصّفات، القادرة على تحقيق غايته من الخطبة وأهمّها:

(سداد الرّأي وأصالة العقل وطلاقة اللسان وسلامة النّطق، ورباطة الجأش واليقظة، بالإضافة إلى حضور البديهة وسرعة التّذكر وصدق اللهجة، وقوّة العاطفة

والقدرة على مراعاة مقتضى الحال وقوّة الملاحظة، وسعة الثّقافة وكثّرة الاطلاع وقوّة الشّخصية والجرأة، و أخيرا التّجمل في الإشارة والملابس).[10] بمعنى أنّه يمتلك الاستعداد الفطريّ، وجوّدة الإلقاء والفطّنة وحسن السّيرة والمسيرة، وسعّة الاطلاع، وتبليغ الانتفاع، وجمال المظهر وحلاوة المخبر.

2- الخطبة (الموضوع): وتتضمّن الخطبة ثلاثة أركان رئيسيّة هي: المقدّمة والعرض والخاتمة.

المقدّمة: هي فاتحة الخطبة والممهد للموضوع، وهي من أهمّ عناصر الخطبة التي تشدّ انتباه المتلقين، وتشدّ سمعهم لمقالة الخطيب و(الهدف منها إعداد السّامعين لتقبل الموضوع، لذلك تأتي موجزة جذابة متّصلة بالموضوع اتّصالا وثيقا)[11] وهذا يعني وجوب اضطلاع المقدّمة بدور تهيّئة المتلقين لتقبل الموضوع الذي سيطرح في العرض بحيث تكون موجزة غنيّة مشوّقة تسترعي انتباه السّامع وتمنع عنه الملّل.

العرض: وهو(الجزء الرّئيس من الخطبة وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمسّتمعين ومحاولة إقناعهم، بتوظيفه للبراهين والشّواهد، بحيث يفند آراء الخصم مع مراعاة اللياقة، ذاهبا إلى الإقناع والتّأثير).[12] وتحقيق التّأثير مع الإقناع يستوجب حتما توفر معايير معينة في سياق العرض مثل: انتقاء الكلمات الملائمة لطبيعة الموضوع العامّ للخطبة، و مراعاة وحدة الموضوع، والتّركيز على تحقيق التّرابط والانسجام، بين الأفكار الثّانوية والفكّرة الرّئيسية (الموضوع) الذي تعالجه الخطبة مع توفر الأدلة والحجج المقنعة، التي تغذي نهم المتلقي وفضوله المعرفيّ. كما يجب أن

تجمع لغة الخطبة بين الصّيغة المنطقيّة والطّبيعة الانفعاليّـة، لأنّ الجمهـور المخاطـب عادة ما يكون مختلف ومتعدّد المستويات المعرفيّة، وليس كلّـه عـلى حـظ وفـير مـن الثّقافة، فتغدو ملامسة العاطفة بلغة بسـيطة، لـدى الفئـة -محـدودة الثّقافـة- محـل التّركيز من قبـل الخطيــب ليحقّـق هدفـه المرجـو. ومـن هنـا انقسـمت البراهـين المستخدمة في العرض إلى موضوعية وذاتيّة، ولكلّ سـياقها المناسـب فـــ **البراهـين المنطقيّة الموضوعيّة**: وهي التي تظهر في علاقـة الخطابـة بـالمنطق، فجـل الخطبـاء لا تخرج حججهم عن المثل والقياس المضمر، وفي هذه الحكمـة هـي شـبيهة بالقيـاس المضمر لأنّها قول موجز.

البراهين الخَلْقِية الذّاتية: وهي الأسّس النّفسية للخطابة منها ما يتصـل بالخطيـب ومنها ما يتعلّق بالسّامعين، وذلك لسهولة التّسلل إلى أنفسهم والتّأثير فيهم.

الخاتمة: وفيها يلخص الخطيب موضوعه ويجذب سامعيه، لذا وجب أن تكون الخاتمة موجزة وواضحة وقويّة داعيّة إلى مذهب الخطيب لأنّها هي آخر ما يبقى في أذهان السّامعين.[13] وحسب الباحثين وجب توفر الخاتمة على جملة من الشّروط أهمّها:[14]

- أن لا تكون بعيدة عن الموضوع، ولا تطرح أدلة أو آراء جديدة، لأنّها حينذاك لن تكون خاتمة، بل جزء من الخطبة فحسب؛
- وبما أنّ الخاتمة آخر ما يستقر في أذهان السّامعين وآذانهم فيجب أن تكون عصارة لمعاني الخطبة، قويّة الصّياغة، رنانة الإلقاء، حتى تستميل النّاس وتأخذ بألبابهم؛
- الخاتمة كذلك يجب أن تتسم بالإيجاز، والموقف الحاسم، والتّشويق والإحاطة بفكرة الخطبة بصورة شموليّة.

3- المتلقي (المُخَاطب): وهو (الشّخص المستقبل للخطاب، والمستهدف لموضوع الخطبة، لذا وجب أن يكون الخطيب على درايّة بطبيعة جمهور المتلقي ومستواه الثّقافي وهو يحضر لخطبته أي عليه أن يراعي مقتضى الحال الذي يمكن يكون عليه جمهوره سواء كان عاميا أو مثقفا أو عالما)[15] بمعنى أنّ الخطيب قبل تنسيق وبناء خطبته عليه أن ينطلق من فكرة تراعي المستوى المعرفيّ لجمهور متلقيه حتى يؤدي الدّور المنوط به والمنتظر من درسه الخطابيّ طبعا.

أمّا عن موضوع الخطبة، فلا شكّ أنّه وبالنّظر إلى الطّبيعة البينويّة المركبة للخطبة والتي تستند إلى الحجة والدّليل اللذين يختص بهما العلم لتحقيق المعرفة اليقينيّة والجمال الأسلوبي والإلقاء المؤثّر اللذين هما من خصائص الفنّ، ما يوسع نطاق الخطابة، (إذ ليس للخطابة موضوع خاصّ، تبحث عنه بمعزل عن غيره، فهي لا تخيّم عن النّظر في كلّ العلوم والفنّون، ولا شيء حقيرا أو جليلا، معقولا أو محسوسا، إلاّ يدخل تحت حكمها، ويخضع لسلطان لسانها، ومن ثمّ يترتب على الخطيب، أن يكون له إلمام بكلّ صنف من المعارف، بل ينبغي له أن يوسع كلّ يوم نطاق مداركه، وذلك حق لا ريب فيه، فإنّ كلّ مسألة عامة لها صلة بشأن عامّ يصح أن تكون موضوع للخطابة: كحب الوطن، وإقامة العدالة، وتسكين الفتن والتّمسك بالفضيلة وغير ذلك بل من المسائل الخاصّة ما هو موضوع للخطابة كالخصومات... والعقود والمداينات ونحو ذلك).[16]

وهذا ما عدد موضوعات الخطابة، حيث تنوّعت الخطب بتنوّع مضامينها ومراميها بين: الخطب السّياسية، الخطب القضائيّة، الخطب العلميّة، الخطب الحفليّة، الخطب التّأبينية، الخطب الاجتماعيّة و(الخطب الدّينية: وهي الخطب التي تنطلق من الدّين وتتجه إليه تأسيسا وتوسلا وإعمالا، وهي تعمد إلى إثارة العاطفة لتحبب إلى النّفوس الخير وتنفّرها من الشّر وتوجهها إلى تقوى الله وحبّه وخشيّته وثمرتها سعادة الفرد والمجتمع، وطاعة الله ﷻ وإحياء الفضيلة وإماتة الرّذيلة

وإصلاح الفساد).[17] حيث يغدو الخطيب المرشد إلى الصّواب، الهادي إلى الخير المبصر بمكارم الأخلاق، الزّارع لمحاسن الصّفات.

وبعد هذا التّمهيد والفرش النّظري، جاز لنا أن نلج الجانب التّطبيقي لهذه الدّراسة، ومحاولة رصد ميزات الأسلوب الخطابيّ، لدى الدّكتور **أمحمّد صافي المستغانمي**، في برنامج (مع القرآن) حلقة (الأمثال في القرآن الكريم) ونحاول في هذا السّياق، كشف مميزات الدّرس الخطابيّ القائم على الحواريّة، والمشاركة الوجدانيّة وتوظيف الصّورة الإعلاميّة بوصفها المنبر الخطابيّ المحقّق للفعل الخطابيّ.

ونبدأ بتحليل عنوان البرنامج: (مع القرآن) ومع هنا حرف جر يحقّق المعيّة والمصاحبة، وماذا تحقّق مصاحبة القرآن للإنسان لاشكّ أنّه خير عميم وفضل عظيم، ألاّ يأتي كتاب الله شفيعا لصاحبه ليوم القيامة؟ ألاّ يدر عليه بالحسنات فالحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها كما صدق ذلك حديث رسولنا الكريم عليه الصّلاة والسّلام- هذا إذا قرأناه، فماذا لو تدبرنا في معانيه وأمعنا النّظر في دروسه وعبره وأسلوبه الفريد؟ ذاك ما يتولاه العالمون بخباياه، المتدبّرون في دلالاته المفسّرون لعلومه الغزيرة ويقودنا الباحث اللغويّ في علوم القرآن **أمحمّد صافي المستغانمي** إلى هذه العوالم الرّحبة من خلال البرنامج سابق الذّكر، في حلقات متعدّدة المضامين، والفوائد منها حلقة (الأمثال في القرآن الكريم)، ليكون هذا التّخصيص بوابة تداوليّة، أكثر تحديدا نلج من خلالها كمتلقين إلى طبيعة البرنامج والذي يعنينا هنا ليس طول العنوان أو قصره، بل قدرتنا على تحليله وتأويله.

ويبدو أنّ عنوان الحلقة، يعبر ببساطة بيد أنّه مشحون بطاقة دلاليّة واسعة، إذ ما علاقة (الأمثال في القرآن) كجزء بالكلّ (القرآن) ثمّ ما علاقة هذه بالأمثال بنظيرتها في العربيّة، والأهمّ من ذلك كيف نستفيد منها في واقعنا، ونقيم جسر التّواصل الإيجابي معها، بتسرب الدّروس والغايات الإلهيّة المبثوثة في نسقها اللغويّ ومضمونها الفكريّ؟

يحيلنا هذا العنوان مباشرة على دلالات ساميّة مفادها، أنّ القرآن الكريم ليس كتاب تشريع فحسب، بل كتاب شامل يستهدف بناء فرد متّزن فعال، ومجتمع قويّ متماسك، وخير أمّة ومن أبرز الجوانب التي عني بها الرّحمان في القرآن، جانب الأمثال التي تضرب لنا أمثل التّوجيهات وأبلغها في تكوين الشّخصية المسلمة وتحصينها من الزّيف والضّلال والشّبهات والانحرافات الذي يموج به الواقع فالمسلم لا يحيا وحده في هذا الكون بل في احتكاك دائم مع المسحيين واليهود والملحدين والعلمانيين... إلخ.

واختيار هذا العنوان ينم عن بعد نظر لدى الباحث اللغويّ والمتبحر في علوم القرآن الدّكتور **أمحمّد صافي المستغانمي**، الذي سلط الضّوء على هذا الموضوع باعتبار الأمثال صورة ناصعة عن تفرد الأسلوب القرآني في دعوته للنّاس عامّة والعلماء خاصّة لينهجوا نهج القرآن في الدّعوة إلى الحقّ.

والأصل في المثل إعطاء شيء منزلة شيء عن طريق التّشبيه وبيان وجه الشّبه ولا يلزم في الشّبيه المطابقة من كلّ الوجوه، بل يكفي فيه أنّ يلمح منه جانب فيه شبه ما

يحقّق الغرض من التّشبيه. ويعد المثل في القرآن الكريم نموذجا لقضايا أو مواقف أو أحداث في حياة الأفراد والأقوام السّالفة، تمكننا من القياس على ما شابهها على مدى الأزمان، والحكم على المستجدات سلبا أو إيجابا.

ومن ثمّ صلح القول أن عنوان الحلقة (الأمثال في القرآن الكريم) هو جملة من العلامات اللسانيّة، التي اتخذها البرنامج نصا موازيا (لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكليّ، ولتجذب جمهوره المستهدف).[18] فعنوان الحلقة هنا حسب الباحث **أمحمّد صافي** يحقق الوظيفة التّعيينية للحلقة، أو وظيفة المطابقة التي تسعى لتحقيق الرّبط بين العنوان ومضمون البرنامج.

ونبدأ من حيث انتهينا، فبعد محاولة الإحاطة بدلالة عنوان البرنامج عموما والحلقة خصوصا، نحاول القيام بدراسة تحليليّة واصفة للحلقة سابقة الذّكر. حيث استهل الدّكتور **أمحمّد صافي** الحلقة بالبسملة والحمدلة والصّلاة على رسول الله – عليه أفضل الصّلاة وأزكى تسليم– ولعمري يعدّ هذا أجمل وأطيب استهلال لبرنامج دينيّ ذو منهج خطابيّ، يقوم على الدّليل والحجة بالاستناد إلى القرآن والسّنة. وقد تمّت هندسة الدّرس إعلاميّا في شكل أسئلة وأجوبة بين مقدّم البرنامج وضيفه الدّكتور **أمحمّد صافي المستغانمي** بيد أنّ الباحث **أمحمّد صافي المستغانمي** كان يعمد في كلّ مرة إلى طرح أسئلة صميمة لإشراك المتلقي(السّامع/ المشاهد)، في حيثيّات الموضوع المطروح (الأمثال في القرآن الكريم) بمعنى أنّنا نلاحظ تبادل

الأدوار بين الخطيب **أمحمّد صافي المستغانمي**، والمخاطب (مقدّم البرنـامج) في إدارة دقّة الحديث في الموضوع، والذي يأخذ صبغة دينيّة من خلال:

- القناة أو بيئة التّواصل: خطبة كلاميّة؛
- النّظام اللغويّ: لغة عربيّة فصحى شديدة الوضوح.[19]

ليكون تقييّم هذا الخطاب رسالة تؤّمن بالحوارية والاعـتراف بـالرّأي المخاطـب وأهميّته في تحقيق الفعل التّداوليّ التّواصلي وبلوغ الهدف من الخطابة الثّنائية.

ومن النّباهـة المعرفيّـة، ودقّـة إعـداد البرنـامج أن يقـدّم الباحـث **أمحمّـد صـافي المستغانمي** حديثه عن غزارة الأمثال في القرآن الكريم وأنّها ليسـت مقصـورة عـلى القرآن، بل إنّ القرآن جارى العرب، وجـاء عـلى ديـدن أسـاليبهم البليغـة ولغـتهم البديعة، التي احتفت بضرب الأمثال في شـتى المواقـف والمناسـبات، إلاّ أنّ القـرآن تحدى لغة العرب وفاقها بيانا وسحرا، ويبـدو أنّ عقـد هـذا اللقـاء والتّقـارب بـين القرآن واللغة العربيّة في المقدّمة، من العوامل الملهمة القويّة التي تعمل على شدّ انتباه السّامعين والمشاهدين على حد سواء، وتهيـأ أذهـانهم لمـا سـيرد في عـرض الـدّرس الخطابيّ التّلفزيوني الذي يستوجب ألفاظـا سـهلة مفهومـة، تحقّـق رسـالة الـدّرس وتخدم أهدافه، لأنّه يستهدف سوادا أعظما مـن الجمهـور في حـدود مسـاحة البـثّ المباشر. ما يجعلنا نقول أن هذه (المقدّمة متّصلة بالموضوع خادمة له، موطئـة لأكنافـه مفضيّة إليه).[20] كـما أنّهـا واضـحة بينـة الغايـة ومصـيبة للدّلالـة المـرادة في نفـوس المشاهدين، ولا يعوزها عنصر التّشويق خاصّة أن الله تحدى العرب بأن يأتوا بسـورة

من مثل القرآن الكريم، ثمّ أبان قطعا ونفيا أنّهم لم ولن يستطيعوا لذلك سبيلا، فماذا عن الأمثال في القرآن وهي جزء من هذا التّحدي الإلهيّ سعى من خلالها ﷻ إلى ملامسة الحواس والعقل معا.

وتبدو المقدّمة هذه مقتضيّة، لأنّها تمهيد للموضوع فحسب، لذلك لم يجعلها الباحث تطول أكثر.

ويبدأ الباحث أمحمّد صافي المستغانمي العرض المزدوج التّلفزيوني الخطابيّ و(العرض: عرض الخطبة في أفكارها ومضامينها وأدلتها وحججها وما شابه)[21] وذلك بالحديث عن فائدة الأمثال، وكونها توضح الخفيّ، وتبين المسّتتر مستشهدا بقول الزّمخشري «الأمثال تظهر خبيئات المعاني»، ثمّ في بديهة متيقظة، يثير مقارنة بين تركيبتين جمليتين يعبران عن المعنى ذاته، أحدهما كلام عادي، والثّاني بيت شعري فقال: (الدّنيا قصيرة ونعيمها زلال) وثنى بقوله: (ما المال والأهلون إلاّ ودائع* ولا بدّ في يوم أن ترد الودائع) ولا شكّ أن هناك فرقا بين التّركيبين فالأوّل تركيب توصيفيّ، يصف حال الدّنيا ومآل نعيمها إلى زوال، بينما يصيب التّركيب الشّعري المعنى ذاته بصورة أكثر عمقا توحي بدلالات متعدّدة، مفادها أن الإنسان وما امتلكه من مال وأكرم به من أهل فهو مجرد مستخلف في هذه النّعم، ولا بدّ أنّ يرد الودائع إلى خالقها، ويفارقها يوما، وأنّ حال الإنسان مع الدّنيا مؤقّت، فهو في نعيم الغرور.

ويبدو أنّ الباحث **أمحمّد صافي** هنا، يستحضر الآية الكريمة الآتية، استحضارا ضمنيا، إذ يقول تعالى:﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (سورة الكهف الآية 46). ليشير تلميحا لا تصريحا في لمحة تربويّة للنّفس أن تبادر لترك النّعيم الزّائل، وتقبل على النّعيم الباقي من تسبيح وتهليل وتكبير وقرب من الله.

ويبدو أنّ التّركيب الشّعري تركيب بياني، جزءه الثّاني يوضح أوّله كما أنّه اختار أسئلته على شاكلة الأسلوب القرآنيّ المشكل من الأسماء التي تعبر حتما عن الثّبوت فالحقائق التي عرضها القرآن ثابتة لاسيما في وصف حال الدّنيا والآخرة والجنّة والنّار فهي لا تحتمل تأويلات بل تستدعي الإيمان القطعيّ بها. ويوضح أنّ الكلام المرسل يقنع العقل أمّا الشّعر في المثال السّابق يهز العاطفة، وهذا حتما دليل على حسّه الخطابيّ العاليّ، الذي يدرك أنّ الدّرس الخطابيّ يجب أن يزاوج بين الحكمة العقليّة، والاستثارة الوجدانيّة.

ثمّ يسوق لنا الباحث **أمحمّد صافي** مثال قرآنيا، يصوّر مشهدا مركبا لحال - المغتاب) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[22] (سورة الحجرات الآية 12). وبين بلاغة الأسلوب القرآني في تصوير كراهيّة وسماجة فعل الغيّبة والجريمة الشّنعاء التي يرتكبها المغتاب والغيّبة هي ذكر أخاك بما يكّره، وتدرج الخطيب هنا في تحليل

الصّورة بأسلوب منطقيّ دقيق، إذ يرى أنّ الإنسان بطبعه وفطرته يتقزّز من أكل لحم البشر (الإنسان)، ويعقب بأسئلة إنكاريّة.

فما بالك لو كان هذا الإنسان أخاه؟ وما بالك لو كان هذا الأخ ميتا حتما إنّ الصّورة تزداد بشاعة وفظاعة، وقد وظف المثل القرآنيّ الفعل المضارع الذي يفيد الاستفهام الدّائم، أي الذي يتعدى الحاضر إلى المستقبل (أيحب)، حيث ينكر الله على عباده سلوك (الغيّبة) في كلّ الأزمنة، ويكره لهم أن يحبوا الغيّبة ويتفكّهوا بها. وهذا ما عبر عنه بالإجابة القطعية (فكرهتموه). والدّلالة في هذا السّياق دلالة عقليّة، و(تقتصر أمثلة الدّلالة العقليّة على دلالة الأثر على المؤثّر، نحو دلالة الدّخان على النّار و ما شابه ذلك).[23]

وكما أن الدّخان يدل على النّار، (فالغيّبة) تدل على قبح الخلق وفظاعة السّلوك وكره الآخر، الذي يولد شعور الكراهيّة من مجموع الآخرين تجاه المغتاب، حيث يولد كره واحد (أيحب) كراهيّة جمعيّة (فكرهتموه).

ويبدو أنّ اختيار الدّكتور **أمحمّد صافي** لأمثلة قرآنيّة بعينها له مغزى وهدف، فهذا المثل أيضا يؤكّد السّمة الحواريّة التي أثرناها سابقا فيختار حوارا ربانيا ليكسب كلامه الحجة الدّامغة التي لا مراء فيها، وذلك إدراكا منه أنّ الدّرس الخطابيّ (أقرب إلى الحوار والمؤانسة والمفاتحة والحكاية لقرب المدرّس من المتلقين وتحلقهم حوله ومشابهة منزلته بمنزلتهم وتساويهم في المجلس إلى حد ما)[24] وهنا لقرب (المدرس

الخطيب) **أمحمّد صافي** من جمهور المشاهدين، حيث يضع الشّاشة أداة وصل ولقاء لا بعد.

وينتقل إلى جانب آخر إذ يبين الباحث الأثر النّفسي للمثل القرآنيّ، ويؤكّد أنّ القرآن الكريم ضرب الأمثال للنّاس، لعلهم يعقلون ويتعظون، ويستحضر شاهدا قرآنيا مكين الغور في النّفس، والعقل معا، في مقام وصف الله تعالى لأهل الكتاب إذ قال تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ (سورة الجمعة- الآية 05). والتّشبيه في هذه الآية كما في سابقتها منتزع من متعدّد، فالله شبه أهل الكتاب (اليهود)، بالحيوان ثمّ خصّصه (الحمار) ثمّ جعله (حمل كتبا) وحتى تترسخ صورة الجهل لحقيقة (التّوراة) فهم (اليهود) لم يفقهوا (التّوراة) بل حرفوها وقتلوا الأنبياء بغير حق وتجرؤوا على الله في مواقف ووقائع متعدّدة. فكان تركهم للعمل بالعلم الرّباني كمثل الحمار الذي يحمل كتبا على ظهره، ولا ينتفع بها.

ويواصل الباحث في سوق الأمثلة القرآنيّة في كلّ سؤال وإجابة، ما أكسب كلامه رونقا وتشويقا، وجعله (يدفع السّآمة عن النّفوس، وذلك بالإكثار من ضرب الأمثلة الشّائقة المثيرة والتّشبيهات البديعة الموقظة للأفهام).[25] وهذا ما نلمسه في إجابته عن سؤال المقدم للبرنامج: هل الأمثال الواردة في القرآن الكريم تستهدف العلماء فحسب، أم عامّة النّاس؟ وهذا ما يبدو للوهلة الأولى في الآية الكريمة ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت- الآية 43). بمعنى أنّ الأمثال القرآنيّة ما يفهمها إلاّ المتدبّرون

الرّاسخون في العلم المتضلعون منه. فكان جواب الباحث **أمحمّد صافي**، بأنّ القرآن خاصّ وعامّ ومقيد ومطلق، والدّليل قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الحشر- الآية 21)، وقد ضرب الله تعالى هذا المثل في سياق تعظيمه للقرآن الكريم، وتبيانه لعلو قدره وأنّه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الحشر – الآية 21)، وهو الجزء من الآية السّابقة، للجزء الأوّل. فالله تعالى يسوق هذا المثل ليبين قسوة البشر، فالصّورة تعبر عن مشهد مهيب فالجبل بجبروته وعنفوانه وقساوته لو نزل عليه القرآن وفهمه لخشع للرّحمان فما بال البشر قد فهموا القرآن وأدركوا آياته تقسوا قلوبهم ولا تلين للرّحمان؟ والباحث بدوره يختار المثل المعبّر عن مقصده – هنا – أي المثل السّابق الذكر، فإنّ كانت الأولى خصّصت (العالمون) فالثّانية عمّمت جميع (النّاس) وأوعز هذه المفارقة إلى أنّ القرآن موجه إلى عامّة النّاس، بيد أنّ المقتدرين على إدراك درّره والغوص في علومه وإدراك كنوزه اللغويّة والمعرفيّة هم العلماء بالدّرس البلاغي فكلما كان الإنسان عالما بأسرار العربيّة تيسر عليه فهم الدّلالات البعيدة والقريبة للآيات.

ويواصل الدّكتور **أمحمّد صافي** عرضه الخطابيّ الحواريّ برصد أثر الأمثال على السّلوكيات. حيث تبدو براعته كخطيب متمكن، في إشارته إلى آية قرآنيّة تمدح الرّسول الكريم، وصحبه الأخيار، وتصف حالهم مع الله في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ

فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ ﴾(سورة الفتح- الآية 29). وهنا يسأل الخطيب مقدّم البرنامج ومن خلاله السّؤال لكلّ المشاهدين المسلمين، ما شعور كلّ مسلم لما يقرأ الآية السّابقة الذّكر ألاّ يشعر بالرّحمة وحبّ الصّحابة ومؤازرتهم لرسول الله ﷺ ونصرتهم لدين الحقّ، فكأنّما الله تعالى يؤكّد نصرتهم للدّعوة عندما كانت شطأ، هذا التّصوير البديع يحقق الأثر النّفسيّ بخلاف لو كان الكلام عقليا. فالكلام الحسيّ أرسخ بالأذهان والوجدان، وها هو الخطيب (المستغانمي) يمدّ جسور المشاركة الوجدانيّة ويسقطها، فكما تحقّقت بين الرّسول وصحابته، من خلال الآية الكريمة، يحقّقها واقعا بينه وبين جمهور مشاهديه، و (مشاركة الخطيب وجدان الجماعة في الإحساس والشّعور سلبا وإيجابا يجعله قادرا على إثارة ميولها وإصابة أهوائها، فالخطيب- **أمحمّد صافي**- يستدرج المستمعين بلباقة... حيث يتمكن من أداة التّأثير في الجماعة، فيستخدمها في استفزاز مشاعرها أو تهدئة ثائرتها وتحقيق مقاصده).[26] وقد تحقّقت المشاركة الوجدانيّة من خلال اعتماد نظام الحوار القائم أساسا على السّؤال والجواب، فيكون السّؤال لتحفيز أذهانهم وتغذيّة وعيّهم الفكريّ، ويكون الجواب لتحقيق الغاية الخطابيّة المنشودة من الدّرس وهي تحصيل الفائدة من توظيف الأمثال في القرآن.

ويعدّد الدّكتور مفاتيح تدبر الأمثال، ويقدم لذلك بقوله: (أن المسلمين مطالبون بتدبر القرآن)، مستشهدا بآية تناسب سياقه الكلاميّ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(سورة محمّد- الآية 24). ويرى أنّ من محقّقات التّدبر ثلاثة مفاتيح:

أوّلها: أن يحيط علما باللسان العربيّ المبين كما ورد في قوله تعالى: ﴿ الر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴾(سورة يوسف- الآية 01)، وقوله أيضا: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(سورة يوسف- الآية 2). وكأنّ الله ﷻ يخبرنا أنّه من أراد أن يدرك معاني القرآن ويفهم حقائقه، عليه بإتّقان اللغة العربيّة فهي المفتاح لذلك. وتكراره للآيات التي تفيد ذات المعنى، يفيد التّوكيد، فالخطيب هنا يدرك أن (التّوكيد والتّكرار عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها، وهما أداة للتّربية في كثير من المسائل).[27] حيث أجاد استعمال هذه التّقنيات الأسلوبيّة بدقّة ومهارة ما حقّق انجذابنا كسامعين لدعوته، فالإحاطة باللسان العربيّ يجب أنّ تكون إحاطة شموليّة نحوا وصرفا وعروضا وبيانا وبديعا... إلخ.

وثانيها: مفاتيح تدبر القرآن يحدده الخطيب بإتّقان (فنّ البيان) ويتدرج في تحديد موقع الأمثال في البيان، فالبلاغة تنقسم إلى بيان وبديع ومعان من أقسام البيان التّشبيه، ومن أقسام هذا الأخير التّشبيه التّمثيلي، و هنا تقع الأمثال القرآنيّة، حيث يعمد القرآن إلى تشبيه صورة مركبة بأخرى تشبهها، ويكون وجه الشّبه دائما منتزع من متعدّد، ليؤدي المثال وظيفته التّواصلية والتّداولية على أكمل وجه.

ويشير الباحث الخطيب **أمحمّد صافي**، إلى كمال وجمال اللغة العربيّة، محتفيا بكتاب الله مستشهدا بآيته، مستدعيا دلالات الكوثر ومرادفاته عند المفسرين فهو: الخير، والحوض المبارك، والقرآن، والإسلام... إلخ، و(التّرادف هو تعدّد الدّوال التي تشير إلى مدلول واحد).[28] والحال ذاته بالنسبة لألفاظ متعّددة، كما (السّيف) وكما (الأسد)، حيث بلغت مترادفات الأسد خمسمائة اسم وهذا يدل على غنى العربيّة وسعتها وتفردها في هذا الوصف. ويرجع فصاحة القرآن وروعة بيانه، أنّه نزل على الرّسول العربيّ الذي بلغ ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان فلا يستقم أن يكون القرآن مبهما.

ويرى أنّ المفتاح **الثّالث**: لتدبّر الأمثال في القرآن هو دراسة الآية في سياقها ويستشهد بآية من سورة البقرة للإشارة للكافرين حيث قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة- الآية 17-18). والمثل القرآنيّ هنا يستهدف استثارة وجدان المتلقي بهذا التّدرج في التّشبيه في وصف مآل المنافقين الذين ارتدوا كفارا بعد إيمانهم، فبعد إدراكهم لنور الإيمان، يعودون إلى الضّلالة والكفر وتتضاعف قسوة ظلمتهم كونّهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يتكلمون. أي أنّ حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم عكس ما يضمرون كحال من استوقد نارا ليضيء بها، فانطفأت فلم يعد يبصر شيئا وهو تشبيه تمثيليّ متنوّع من متعدّد.

ويعرض الخطيب ملاحظة مهمّة، تخصّ الجمهور المتلقي الذي ينقسم حسّه إلى فئة سمعيّة تكتفي بالدّليل العقليّ، وفئة أخرى تستدعي حضور الأمثلة الحسيّة لتفهم المقصد الإلهي من المثل القرآني، وهذه الإشارة الذّكية من الخطيب، تساهم في (تحقيق الرّوح الخطابيّة في الخطبة، بالخطاب التّفاعلي بين الخطيب ومخاطبيه، ذلك للخطاب الذي يعبر إلى المخاطبين بسرعة فائقة، بحيث يتحوّل الخطاب إلى تيار خطابي يسري في وجدان المخاطب وتتغذى به الدّارة الخطابية بين الخطيب ومخاطبيه بما يشبه الرّاتب الخطابيّ الضّروري في الحياة الخطابيّة).[29] فالتّفاعل الخطابيّ بين الخطيب وجمهوره حتما ينتج ثمارا خطابيّة يانعة، إذ ينتقل الدّرس من الشّاشة التّلفزيونيّة إلى ميدان الواقع، بتجسيد الفعل الخطابيّ. ونجد **أمحمّد صافي** يدعم حديثه الخطابيّ في كلّ مرة بآيات بينات لا يتسع المقام لذكرها كلها.

ويستمر الدّرس الخطابيّ، لعرض **أمحمّد صافي** أنواع الأمثال في القرآن الكريم مقسما إياها على منوال العلماء إلى ثلاثة أنواع:

- أمثلة صريحة ظاهرة: كقوله تعالى:﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾ (سورة الكهف- الآية 32)؛

- أمثال كامنة: وهي التي لا يذكر في نصّها (لفظ المثل، إنّما يكون حكمها أنّها تضرب في سياق يشبهها. مثل قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (سورة البقرة- الآية 143). وأشار إلى اتّفاق هذه الآية مع آيات متعدّدة في معنى الوسطيّة كقول الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا

﴿فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ (سورة البقرة- الآية 68) والبقرة ليست بالمسنة ولا حديثة السّن بل بينهما. وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (سورة الإسراء- الآية 29) فالإنسان عليه أنّ يكون وسطا بين البخل والإسراف أي أنّ يكون كريما فلا يبخل بالنّفقة، ولا يبسط بالعطاء كلّ البسط؛

- **الأمثال السّائرة**: وهي الأمثال التي نقتطفها من القرآن للتّدليل على موقف يناسب مقتضى السّياق القرآنيّ.

كقولنا لمن يخفي الحقيقة دائما: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾(سورة يوسف- الآية 51).
وقولنا لمن يدعي الإحاطة بالعلم: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف- الآية 76).فقولنا لمن لم يجتهد فخسر: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾(سورة النّجم- الآية 39).

ويشير الخطيب **أمحمّد صافي المستغانمي** في رؤّية لطيفة مستشعرا عظمة الله وسمو كتابه؛ أنّ لو كان القرآن كتب على منوال ما كتبه العرب، فلا يمكن لكلام المخلوق أن يضاهي كلام الخالق، وهنا تكمن روّعة المثل القرآنيّ وغناه الدّلالي مقارنة بالمثل العربيّ.

ليختم عرضه بتعداد خصائص الأمثال القرآنيّة في عجالة بأنّها تتناول مضامين عقائديّة شريعة، ذات لغة ربانيّة حكيمة حيث يكون موردها هو عين مضربها، كما

أنّها تختص باللازمة (ضَرب الله مثلا) أو (ضُرب مثلا)، وهـذه الخصـائص منعدمـة في كلام العرب.

ثمّ يفتح المجال لمخاطبيـه وسـامعيه ومشـاهديه بـأنّ يتوسـعوا في المجـامع التـي اختصت بالأمثـال، كــ (مجمـع الأمثـال) للميـداني و(أمثـال القـرآن) لابـن القـيّم الجوزيّ، وهي إشـارة ذكيّـة منـه كمـدرس خطيـب ذلـك أن مـدّة الـدّرس خمـس وأربعون دقيقة، وهي مدّة لا تكفي للغوص في موضوع عميق أي (أمثال في القـرآن الكريم)، كما أنّه يستميل المخاطب إلى آخر لحظة مـن خـلال التّوأمـة بـين العـرض التّلفزيوني والأسلوب الخطابيّ الحواريّ، وهـو يقاسـم جمهـوره منهجيّـات الطّـرح وطرق التّفكير وعمليات استحضار القرآن وأمثلته، والإسقاط عـلى الواقـع إدراكـا منه بأنّ (جمهور التّلفزيون جمهور واسع وعريض، لسعّة انتشـار البـثّ التّلفزيـوني في نقاط غير محدودة من العالم).[30] لذلك فمراعاة وقت الدّرس ودقّـة إدارتـه الحواريّـة وتكثيف أدلته، وعمق لغته وقصر جمله كلّهـا مـن عوامـل نجـاح الـدّرس الخطـابيّ التّلفزيونيّ، وأمحمّد صافي في درسه زاوج بين لغـة العلـم والشـّرع، ليقـرب الـدّين لأذهان جمهوره، ويستغل إمكانات التّلفزيون في تأّدية واجبـه التّبليغـيّ التّعليمـيّ في الدّين والحياة.

ومن خصائص الدّرس الخطـابيّ التّلفزيـوني، التـي لا يمكـن إغفالهـا، الصّـورة البصريّة، والتي تُعد من الوسائط المهمّة في تحقيق التّواصـل التّفـاعلي بـين الخطيـب وجمهوره، وتتموّقع طرفا مهما في تحقيق الرّسالة التّعليمية والغايـة التبّليغيـة الدّعويـة

لأنّها تستهدف الذّكاء البصريّ الفضائيّ، فلابد للمخاطب (الجمهور المشاهد) في(إدراك الصّورة أن يكون منتبها، لأنّ الانتباه هو الحركة الأولى في العمليّة الإدراكيّة تليها عملية الإحساس، حتى تمكنه أنّ يدمجها في صورة ذهنيّة يستثمرها استقبالا ويفترض فيه الثّبات والتّركيز على الصّورة من حيث مكوّناتها وعناصرها فكلما طال التّركيز ودامت نظرته كلما استطاع فهمها واستيعابها).[31] واستخدام الصّورة كوسيط في العمليّة الخطابيّة أصبح ضرورة يمثلها العصر الذي نحن فيه، إذ يمكن الاستفادة من الصّورة في التّخطيطّ الخطابيّ للمادة الملقاة كما تسهم الصّورة بدفع المخاطب إلى تقبل المادة الخطابيّة، وتحفيزه للإقبال على الدّرس الخطابيّ والتّحصيل منه، فكلما كان الخطيب على دراية بطرق اشتغال الصّورة تبليغيا كلما حقّق التّفاعل النّفسي بينه وبين جمهوره، فتصبح الصّورة بذلك (استراتيجيّة وطريقة في التّفكير والتّعقل والتّنظيم).[32] والذي يعنينا في السّياق سابق الذّكر صورة الخطيب **أمحمّد صافي المستغانمي** بالنسبة لنا كمشاهدين متلقين للدّرس الخطابي حيث تمنحنا استعدادا لتقبل صورة المتعلّم، المقبل على الدّرس بكلّ حواسه ولاسيّما حاسة البصر فلغة الجسد كفيلة بمنحنا العديد من الإشارات التّواصليّة مع الخطيب بالإضافة إلى الاهتمام بالجانب الملفوظ للغة، فحركات الخطيب هنا وإشاراته استطاعت في درس (**الأمثال في القرآن الكريم**) أن تحقّق تصوّر متوافق وخيط ناظم للمفاهيم والمعاني بينه وبين الجمهور المتلقي. فالفواصل الإشهاريّة والصّورة والموسيقى استغلها الخطيب لتحقيق هدفه الخطابيّ، بتخطي قصر الزّمن واختلاف

المعارف، كما أنّها حقّقت لـه فعـل المشـاركة الحسـيّة إلى جانـب المشـاركة الذّهنيـة فالخطيب سخر لغة جسديّة حركيّـة لجلـب انتباهنـا، والتّـأثير الإيجـابيّ في شـعورنا فبالإضافة إلى امتلاكه ناصية اللغة وتطويعه للحجج القويّة السّاطعة، امتاز بحضـور يجمع بين الوقار واللّين، ففي خطابه حكمة ورقيّ وعلى محياه بسمة لم تفارق ملامحـه وحسبه في ذلك أنّه شكّل لنا صورة عن الإنسان المؤمن بأنّ (الابتسامة في وجه أخيه صدقة) وأنّه في ذلك يقتدي بخير خلق الله الذي كان بساما كما روي عنه رغم عظـم شأنه، وثقل مسؤولياته، فالبسمة علامة بصريّة طبيعية تترجم انسجام التّواصل بـين أطراف العمليّة الخطابيّة، وتحقيق التّفاعل النّفسي بشكل كبير، ضـمن نسـق خطـابيّ مزدوج الهويّة لغويّ إعلاميّ يحقّق التّفاعل الصّوتيّ، حيث تختلف نـبرات الخطيـب كما شاهدناها حسب مقتضيّات الحال ومقامات الكـلام وبحسـب العبـارات التـي تعرض الصّوت المناسب لها، بين علو وانخفاض حتى بلوغ الخاتمـة، كـما أنّ **أمحمّـد صافي** تفاعل حركيا مع موضوعه الخطابيّ لينقـل مسـتواه التّفـاعلي ذاك إلى مخاطبيـه فتارة يرفع يديه وتارة يحرك رأسـه... إلـخ. وهـذا يجـلي التّنسـيق العـاليّ للبرنـامج الخطابيّ، والتّنسيق لعناصر الدّرس بين لغة وصورة، وبين تصريح وتلميح ما جعلـه يضمن حسن الإصغاء وجذب الانتباه لدرسه الخطابيّ الذي جمع بين الجانب الجماليّ والذّوقي للخطابة، بالجانب الحسـيّ البصـريّ للصّـورة وتأثيرهـا السّـحري عـلى المشاهد محققا بذلك غايته من إقناع وإمتاع في الآن ذاته.

الإحالات:

---

[1] – مبروك بن عيسى: التّحفة السّنية في الخطابة المنبريّة، دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة- الجزائر، دط، 2010، ص06.

[2] – ينظر: الزّمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمّد باسل، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، مادة خطب.

وينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، مادة خطب.

وينظر: ابن فارس: مقياس اللغة، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الفكّر للطبّاعة والنّشر والتّوزيع لبنان، مادة خطب.

[3] – أبي الحسين بن وهب الكاتب: البرهلي في رجوة البيان، تحقيق حقبي محمّد شرف، مطبعة الرّسالة، دط، دس، ص 151-152.

[4] – أرسطو طاليس: الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرّحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار العلم، بيروت، دط، 1979، ص05.

[5] – علي بن محمّد الشّريف الجرجاني: كتاب التّعريفات من فهرست، مكتبة لبنان ساحة رياض الصّبح، بيروت، دط، 1985، ص 104.

[6] – جورج غريب: صدر الإسلام، دار الثّقافة، بيروت-لبنان، ط4، 1983، ص57.

[7] – أنطوان القوال: فنّ الخطابة، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، 1996.

[8] – طارق سويدان: فنّ الإلقاء الرّائع، شركة الإبداع الفكريّ، الكويت، ط3، 2004، ص 18-20.

[9] – الهنداوي فريد بن أمين إبراهيم: دليل الخطيب، دار الثّقافة، الدّوحة- قطر، ط1، 2005 ص07.

[10] – للتّوسع أكثر، ينظر: مبروك بن عيسى، التّحفة السّنية في الخطابة النّبوية، ص: من 25 إلى 32.

[11] – إميل ناصف: أروع ما قيل في الخطب، دار الجبل، بيروت– لبنان، ط1، 1990، ص05.

[12] – المرجع نفسه، ص05.

[13] – المرجع نفسه، ص05.

[14] – ينظر: محمّد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، العصر السّامي عصر-الدّولة الأمويّة ج2، دار المعارف، مصر، 1967، ص26.

[15] – للتّوسع في الفكرة، ينظر: محمّد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ص27.

[16] – محمّد أبو زهرة: الخطابة تاريخها وأصولها وأزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربيّ دط 1970، ص14.

[17] – مبروك بن عيسى: التّحفة السّنية في الخطابة المنبريّة، ص61.

[18] – عبد الحق بلعابد: عتبات(جيرار جنيت من النّص إلى المناص)، الدّار العربيّة للعلوم بيروت– لبنان، منشورات الاختلاف– الجزائر، ط1، 2008، ص67.

[19] – جان نعوم طنوس: تحليل الخطاب (مفاهيم نظريّة ونصوص تطبيقيّة)، دار المنهل اللبنانيّ بيروت– لبنان، ط1، 2014، ص67.

[20] – مبروك بن عيسى: التّحفة السّنية في الخطابة المنبريّة، ص51.

[21] – المرجع نفسه، ص52.

[22] – خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدّلالة (نصوص وتطبيقات)، بيت الحكمة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط2، 2012، ص64.

[23] – المرجع نفسه، ص64.

[24] – مبروك بن عيسى: التّحفة السّنية في الخطابة النّبويّة، ص93.

[25] – المرجع نفسه، ص37.

[26] – محمّد أبو زهرة: الخطابة تاريخها أصولها وأزهر عصورها عند العرب، ص55.

[27] – المرجع نفسه، ص 65-67.

[28] – خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدّلالة (نصوص وتطبيقات)، ص116.

[29] – مبروك بن عيسى: التّحفة السّنية في الخطابة النّبويّة، ص75.

[30] – المرجع نفسه، ص165.

[31] – عبد المجيد بلعابد: السّميائيات البصريّة (قضايا العلامة والرّسالة البصـــريّة)، النّايـا ومحاكـاة- سورية، الشّركة الجزائريّة السّورية للنّشر والتّوزيع- الجزائر، ط1، 2013، ص50.

[32] – المرجع نفسه، ص52.

(أنماط المقاربة التّفسيرية في علم مقارنات السّور عند صافي المستغانمي)

دراسة نماذج من كتاب جواهر الدُّرر

أ.د. جيلالي بن يشو

ج. عبد الحميد بن باديس، مستغانم

الملخص: تروم هذه الدّراسة حول بيان جهود العالم أحمّد صافي المستغانمي في حقل الدّراسات القرآنيّة، وتقف على استنباط معالم الرّؤية التّأصيلية الجديدة في فكّره انطلاقا من بيان آليّات المقاربة التّفسيرية الجديدة في علم مقارنات السّور، وتتّخذ من كتابه جواهر الدُّرر نماذج لتحليل هذه الأنماط.

- **الكلمات المفتاحيّة:** علم مقارنات السّور- مقاربة تفسيريّة- جواهر الدُّرر.

- **تقديم:** تنوّعت مناهج تفسير القرآن الكريم، وتعدّدت رؤاه الرّامية إلى فهم سوره وآياته معنى ومبنى، ولا شكّ أنّ هذه الآليّات قد اختلفت بين المفسّرين قديما وحديثا بداية بالإمام ابن جرير الطّبري(ت: 310 هـ)، والنّيسابوري (ت: 405هـ)، والزّمخشري (ت: 538 هـ)، والرّازي (ت:606هـ)، وابن كثير(ت: 774هـ)، والقرطبي(ت:671هـ)، والآلوسي(ت:1270هـ)، وجمال الدّين القاسميّ(ت:1914م)، وابن عاشور(ت:1973م)، محمّد عبده (ت:

1905م)، **السّيد قطب** (ت: 1966م)، وهـي تفاسـير تراوحـت بـين الموضـوعيّ والتّحليلي والمقارن، وانصبّت على معرفة أسباب النّزول وترتيبه، وبيـان المكّـي منهـا والمدنيّ، ومعرفة دلالة الكلمة اللغويّة ودلالتها الشّـرعية، والتّعرف على الرّابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في الآية وبين الآيات في السّـورة وكـذلك التّعـرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية، وبيـان وجـوه الإعـراب والأبنيّـة الصّـرفية والمعاني المعجميّة والسّياقية، ودورها في الأساليب البيانيّـة وإعجـاز القـرآن الكـريم وغيرها من الوجوه التي تساعد عـلى إخـلاء المعنـى وتوضـيح المـراد، واسـتخراج الأحكام الشّـرعية، والتّنصيص عـلى التّوجيهـات الخلقيّـة والتّربويـة التـي تحملهـا النّصوص القرآنيّة.

انطلاقـا مـن هـذه المنـاهج والـرّؤى بـرزت جهـود العلاّمـة (**أمحمّـد صـافي المستغانمي**)[1] الذي يعدّ من العلـماء المحـدثين المهتمـين بحقـل الدّراسـات القرآنيّـة والذين أولوا هذا الجانب عنايـة خاصّـة، وأبـرزوا تلـك الخصـائص الجماليّـة التـي تضمنها القرآن، سواء في جانب اللفظ والعبارة، أم في جوانـب الـنّظم والتّركيـب أم في جانب الصّوت والإيقاع.

1- معالم الرّؤية التّأصـيلية الجديـدة عنـد صـافي المسـتغانمي: رسـم **صـافي المستغانمي** في كتابه (جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّـور)[2] معـالم رؤيـة تأصـيليّة جديدة تستمد مرجعيّاتها من جهود علماء التّفسير الذين اجتهدوا في حقـل التّفسـير القرآني، وبيان المجالات التي بحثوها، وقد رأى أنَّ النّهج الذي انتهجه سـابقوه هـو

نهج سليم وصحيح، من خلال التّفسير التّحليلي والموضوعيّ لسور القرآن الكريم وبيان شخصيتها، إلاّ أنّ الدّراسة الفاحصة لنصوص التّنزيل والباحثة عن أسرار إعجاز النصّ القرآني تحتاج إلى بَيانٍ وتَجْليةٍ أكثر ذلك أنّ: (جماليّات النّص القرآني لا تنحصر في شرح المفردات المستعملة، وإعرابها، وبيان أبنيّتها الصّرفية، وفهم كلّ جملة على حدّة، واستنباط الأحكام فقط، وإنّما ثمّة جوانب أخرى كانت تقضّ مضاجع كثير من العلماء، وتبعد الكرى عن أجفانهم وهم يتدبّرون هذا النَصِّ المُعْجَزِ).[3]

إنّ عبقريّة الشّيخ صافي المستغانمي القويّة في مضمار التّأليف والدّعوة والإعلام والمتمكنة في علوم اللغة، وتفسير القرآن الكريم، والبارعة في اكتشاف تلك الفنّون البلاغيّة المتنوّعة، أفضت به إلى بيان نوع خاصّ من الإعجاز القرآني يستمدّ خصائصه من ثروته اللغويّة الغنيّة الثريّة، ذات القدرات التّعبيرية الفائقة والتّراكيب البديعيّة ذات الصّور الرّائعة، والمطالع البارعة، والألفاظ المختارة فحين نتدبّر قوله تعالى﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: 1–3]وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾[المدثّر: 1–7] ونتمعّن في هذه الأنساق التّعبيرية التي ابتكرها القرآن: أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ/ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ/ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَر، نجد أنّ ثمّة ثورة لغويّة ابتكرها واصطنعها القرآن الكريم تتحدّى تلك الأنساق التّعبيرية التي جاء بها طرفة بن العبد، وامرؤ القيس، وزهير

بن أبي سلمى وغيرهم من شعراء العرب الفصحاء والبلغاء التي انحنت رقابهم أمام فصاحته، وظلّت أعناقهم لها خاضعين، فالكثير من الألفاظ التي جاء بها القرآن الكريم تداولتها ألسنة الشّعراء والكتّاب، فهم عرفوا (فكّر) و(قدَّر) و(قتَل) (نظَرَ) (عَبسَ) (أَدْبَرَ) (اسْتكْبَرَ)، وغيرها من الكلمات البسيطة التي وردت في أشعارهم، ولكنّهم لم يأتوا بها بهذا الوزن وهذه الموسيقى، التي تسيطر على كلّ قارئٍ، وتغزو وجدان كلّ مسّتمع.

فحين ننظر إلى هذا البناء اللغويّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾[المدثّر: 18-23] نستنتج أنّ الإعجاز القرآني جاء لغويا في انتقاء الكلمات وصرفيا في بنيّة الكلمة، وبلاغيا في بناء الجملة، هذا الإعجاز القرآني من منظور صافي المستغانمي (أحدث ثورة لغويّة في أنماط تعبيريّة مُتَنوعة، مُتحدِيا بأسلوبه الفذّ، وبَيانِه العذبِ، وتأليفِه البديعِ ونَظْمِه المُعْجَز جَهابذَةَ البَيان من فُحولِ الشُّعَراءِ، ومَصاقِعَةِ الخُطَباءِ)،[4] هذه الأنماط اللغويّة تنسكب في الحسّ، يصعب تحديد مصدرها: أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصّور والظّلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاصّ المتميّز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهي هذه العناصر كلّها مجتمعة؟ أم إنّها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟[5] ممّا جعله متميّزا بملامح وسمات تعبيريّة خاصّة تجعله يتفرّد متساميا على جميع الأصناف الأدبيّة والأجناس التّعبيريّة المعروفة، وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، كما يقول ابن عطيّة الأندلسي (يبطل

قول من قال إنّ العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن، فلمّا جاء محمّد ﷺ صُرِفوا عن ذلك وعَجزوا عنه والصّحيح أنّ الإتيان بمثل القرآن لم يكن قطّ في قدرة أحد من المخلوقين).[6] وكان مشركو العرب أهل بلاغة وفصاحة، استشعروا عظمة القرآن في نفوسهم، وعرفوا أثره في قلوبهم، ألا ترى إلى قَول الوَلِيد بن المُغيرَة حَيْثُ اسْتمع إلى القُرْآن وتَحَيَّر فِيهِ فَقالَ: (قَدْ عَرضْتُه على رجْز الشّعْر وهَزجِه وقَريضِه فَلم يُشبههُ، لَيْسَ بِسِحْرٍ ولا كَهانَةٍ، وإنَّ عَلَيْهِ لطلاوة وإنَّ لَهُ لحَلاوة وإن أسْفَلَه لَمُغْدقٌ وإن أعْلاهُ لَمُثْمِرٌ)،[7] لذلك عجزوا أنّ يأتوا بمثله، فلم يكن قطّ في قدرة أحد من المخلوقين الإتيان بمثله، وفي ذلك يتحدّى المستغانمي كلّ باحث مجتهد أدار لسان العرب بغيّة أن يجد كلمة تعوض كلمة قرآنيّة، وتكون أحسن منها موقعا، وأفضل تناسقا مع السّياق والموضوع الذي جاءت تعبّر عنه، ما هو بظافر ببغيته حتى يلج الجمل في سمّ الخياط،[8] فالقرآن الكريم كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه، ونظّم آيّاته، ولعلّ الذين قالوا إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك.[9]

2- **المقاربة التّفسيرية في علم مقارنات السّور:** استلهمت المقاربة التّفسيريّة الجديدة التي تحدّث عنها المستغانمي آثارها من جهود سابقيه، ذلك أنّ الفيض البياني والبلاغي الذي غرف ونهل منه لا يمكن أن ينضب أو ينحصر في رؤى ومناهج متشابهة، بل كلّ عمل تفسيري للقرآن الكريم يُعدّ في نظره حلقة مكمّلة

لجهود سابقيه، ويعدّ إبداعا متناسقا في علوم القرآن، يُعزّزُ رؤاه المتجـدّرة والمتجـدّدة لتفسير القرآن الكريم.

تعود جذور المقاربة التّفسيرية في علم مقارنات السّـور عنـد المسـتغانمي إلى مـا اعتبره المفسّرون القدامى باب تناسب أجزاء القرآن، أو ما أسموه بالمناسبة في القـرآن الكريم،[10] وقد أبان العلماء[11] فيما كتبـوه بجـلاءٍ عـن أهميّـة هـذا العلـم لأنّـه علـم شريف، تحزر به العقول، ويُعْرفُ بِه قدر القائلِ فـيما يَقـول،[12] وهـو عظـيم الفائـدة بمعرفته، لِأَنَّ أَكْثَرَ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَـاتِ وَالـرَّوَابِطِ.[13] ينظـر إلى وجـه الارتباط بين الآيّ، ووجه الارتباط بين السّورة وبيـان العلاقـة بـين مطـالع السّـور وخواتيمها، ووجه الارتباط والائتلاف في كافة مستويات الأداء القرآني وصـولا إلى الوحدة الموضوعيّة التي تجمع القرآن الكريم كلّه، الذي هو كما يقـول الشّـيخ محمّـد الزّرقاني: (محكم السّـرد، دقيق السّبك، متين الأسلوب، قوي الاتّصال، آخذ بعضـه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله يجري دمّ الاعجاز فيه كلّه من ألفه إلى يائه، كأنّـه حلقة مفرغة، أو كأنّه سـمط وحيـد وعقـد فريـد يأخـذ بالأبصـار نظمـت حروفـه وكلماته ونسقت جمله وآيّاته وجاء آخره مساوقا لأوّله وبد أوّاه مواتيا لآخره).[14]

غير أنّ الزّاوية التي ينظر منها المستغانمي في هذا الحقل ليست هـي ذات الزّوايـا التي نظر منها العلماء القدماء والمعاصرون، ومردّ ذلك إلى أنّ أوجه الـربّط والتّنـاغم بين السّور القرآنيّة من خلال بيان علاقة السّورة بالسّـورة اللاحقـة، وبيـان ارتبـاط مطلع السّورة بمقاصدها، ومطلع السّورة بخاتمتهـا والتّناسـب بـين اسـم السّـورة

ومضمونها، جعلته يتفحّص ويتمعّن في هذه الدّقة التي تميّز كافة مستويات الأداء اللغويّ، والانسجام الذي يكشف عن مراتب أخرى للإعجاز البلاغيّ.

فمنظور المقاربة عنده يؤسّس شبكة روابط نصيّة منطقيّة متكاملة تندرج ضمنها سور القران الكريم بتراتب مواقع السّور ودلالة أسمائها، ودراسة الرّوابط التي تربط بين السّور التي تتشابه مطالعها مثل سُور ﴿الحَمْد﴾ وهي: الفاتحة، وفاطر والأنعام، وسبأ، والكهف، والسُور المسبّحات وهي: الإسراء والحديد، والحشر والصّف، والجمعة، والتّغابن، والأعلى، والسّور التي تتشابه فواصلها، مثل سورتي الإسراء والفرقان، وسورتي الكهف والجنّ، والسّور المفْتَتَحة بأنساق تعبيريّة متشابهة مثل سور الصّافات، والذّاريات، والمرسلات، والنّازعات.

ففي سياق حديثه عن أسرة ﴿يا أيُّها النَبِيّ﴾ وهي الأحزاب، والطّلاق والتّحريم يحيلنا صافي المستغانمي إلى تقاطع السّور الثّلاث إلى موضوع أسريّ هامّ، حيث تناقش سورة الأحزاب أحكاما تتعلّق بأعظم أسرة في الوجود، وهي أسرة نبيّنا محمّد ﷺ، أمّا سورة الطّلاق فتناقش موضوع الطّلاق والعدّة والنّفقة وهي شؤون تهمّ الأسرة المسلمة بشكل عامّ، أمّا سورة التّحريم فتناقش موضوع تحريم الرّسول على نفسه أكل العسل، أو تحريم معاشرته إحدى أزواجه من هنا تظهر عبقريّة المستغانمي في استنباط الأحكام التّشريعيّة الموجّهة للنّبيّ محمّد ﷺ.

من هذا الطرح جاءت رؤيته الجديدة لهذا العلم، الذي يعتبره بحرًا لا ساحل له عميقا عمق البيان القرآنيّ، الذي صاغته العناية الإلهيّة على أعلى مستويات الإبداع،[15] والتي تتجلّى ملامحه وغاياته فيما يلي:

- التّأصيل لهذا النّوع من التّحليل اللغويّ لمجموعات الأسر القرآنيّة، وفتح المجال أمام الباحثين وعشّاق البيان القرآني للخوض في لجّة علم مقارنات السّور والتدّبر في نصوص التّنزيل، وتذوّق جماليّات البناء المحكم للسّور القرآنية؛
- إيضاح العلاقات والرّوابط المضمونيّة واللّفظيّة بين مجموعات السُّور القرآنية، وإيضاح المناسبات التي تجمعها، والوشائج التي تميّزها عن أخواتها؛
- بيان الهندسة اللّفظية الموزّعة في طيّات السُّور المتشابهة المطالع، والسُّور المتشابهة الفواصل، والسُّور التي تبدأ بأنساق وأنماط تعبيريّة متشابهة، وبيان الهندسة اللغويّة التي تشيّدها وتبنيها، وهو إيضاح الملامح اللفظيّة التّعبيرية التي تتّسم بها سور القرآن الكريم.

ومن الأمثلة التي يسوقها لبيان ذلك، حديثه عن سورة الفرقان التي تتميّز بصيغة لفظيّة تميّزها عن غيرها من السّور القرآنية المكيّة والمدنيّة، فهي السّورة الوحيدة في القرآن الكريم الذي تردّد فيه التّركيب اللّغويّ ﴿حِجْرًا مَحْجورًا﴾ مرتين:

الموضع الأوّل: خاصّ بواقع في الحياة الدّنيا، حيث جعل الله تعالى بين البحرين حاجزا، وبرزخا مانعا، وحجرا محجورا، من خصائص كلّ بحر، بحيث لا يمتزجان

ولا يختلطان، ولا تفنى خصائص أحدهما في خصائص الآخر[16]﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[الفرقان: 53].

الموضع الثّاني: فهو خاصّ بيوم القيامة، حيث يندم الكافرون ندما كبيرا، ويروّن بأعينهم عذاب السّعير، وينظرون يمينا فلا من مخرج، وينظرون شمالا فلا من مَنجى، فيلهجون: حجرا محجورًا، هل لنا من حاجز يمنع هذه النّار المتأجّجة عنّا ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[الفرقان: 22].

3- **نماذج من المقاربة التّفسيريّة عند المستغانمي:** ستقتصر هذه الدّراسة فقط على تقصّي نماذج من المقاربة التّفسيريّة في السّور المتشابهة المطالع، والتي خصّص لها المستغانمي فصلا في كتابه (جواهر الدُّرر) وصنّفها إلى سبع أسر رئيسيّة:

1- سُورُ ﴿الحَمْد لله﴾وهي: الفاتحة، وفاطر، والأنعام، وسبأ، والكهف.

2- سُورُ ﴿يا أيّها النّاس﴾، وهي النّساء، والحجّ.

3- سُورُ ﴿يا يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ آمَنُواْ﴾: المائدة، والحجرات، والممتحنة.

4- السُّورُ ﴿المسبّحات﴾: الإسراء، والحديد، والحشر، والصّف، والجمعة والتّغابن، والأعلى.

5- سورة ﴿الفرقان والملك﴾.

6- سُور ﴿يا أيّها النّبي﴾.

7- سورة ﴿المطففين والهمزة﴾.

تتّسم جميع النّصوص القرآنية بأنّها مبنيّة بإحكام يدعو إلى المزيد من التَّدبّر ولِحِكَمٍ ربّانيةٍ تشابهت مطالع سور قرآنية وتطابقت، والله سبحانه وتعالى لا ينوّع في المطالع والخواتيم لمجرد التّنويع، ولا يجعلها متشابهة إلى حدّ التّطابق أحيانا لمجرد التّكرير، وإنّما ثمّة حكما تتجلّى ملامحها عند تدبر المغزى من تشابه مطالع بعض سور القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك سُورُ ﴿الحَمْد لله﴾ وهي: الفاتحة، وفاطر، والأنعام وسبأ، والكهف.

3-1 التّكامل في مدلول (النّعمة) في سور الحمد: يبيّن المستغانمي الخيوط الرّابطة والأعمدة الهندسة القويّة التي تقوم عليها سور سُورُ ﴿الحَمْد لله﴾ وهي: الفاتحة، وفاطر، والأنعام، وسبأ، والكهف، والتي تشكّل نسيجا قويّا من المضامين والمحتويّات والألفاظ يجعلها تنتمي إلى أسرة واحدة، والذي نريد التّركيز عليه ما أسماه بالنّعمة الكبرى، منطلقا من تصنيف الرّازي الذي يجمع كلّ النّعم في نعمتين كبيرتين، نعمة الإيجاد، ونعمة البقاء، وقد صوّر لنا المستغانمي هذه القدرة الالهيّة في ترابط، وتسلسل النّعمتين في السّور الخمس:

1-فسورة الأنعام تتحدث عن نعمة الإيجاد الأوّل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: 1 – 2]، بيان لنعمة الله في خلق السّموات والأرض.

2-وسورة الكهف بعدها تتحدث عن نعمة الإبقاء، وكيف يـتمّ الإبقـاء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: 1]، فبدون كتاب لا بقاء للبشـر والشّرائع تبقي على البشـر.

3-ثمّ تأتي سورة سبأ التي تتحدث عن نعمة الإيجاد الثّـاني: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1] بدون الإيجاد الثّـاني لم تكتمل حكمة الله، أَمِنَ من المعقول أنّ يعيش مسلم مؤمن يؤمن بـالله ويخـاف الله سبحانه وتعالى، ويعيش كافر ظالم يظلمه ثمّ لا توجد قيامة ولا يوجد حسـاب ولا يأخذ كلّ واحد جـزاءه وحسـابه، والحكّمـة والعقـل البشــري يقتضـيان أنّ الأوّل يأخذ جزاءه من عمله الصّالح، والثّـاني العكـس، فالإيجـاد الثّـاني هـو تتّمـة (وَهُـوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ).

4-سورة فاطر تعطينـا الإبقـاء الثّـاني: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فـاطر: 1]، هنـا يتساءل المستغانمي متى يكون جميع الملائكة رسلا؟ يوم القيامة في ذلـك العـالم، كـلّ الملائكة تسلّم فتكون للملائكة وظيفة كبـيرة ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103].

5-الفاتحـة جمعـت كـلّ الـنّعم، والكليّـات الإيمانيّـة الكـبرى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: 2]، نعمة الإيـمان بـالله تعـالى، بكونـه ربّـا للعـالمين، ونعمـة الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العـلا، ونعمـة الإيـمان اليـوم الآخـر، لـيخلص إلى

ضرورة تدبّر هذا الرّبط في السّور المتشابهة المطالع، وليس من قبيل الصّدفة أن تبدأ سور بعينها ببدايات متطابقة، وتُفْتتح سور أخرى بافتتاحيّات مختلفة، ثمّ لا ينتبه القارئ المتدبّر والمسّتمع المنصت الى ما يجمعها وما يربطها، بل عين الحكّمة والرّشاد أن يتطلّع الباحث إلى ما يجمع بين السّور التي تكون مطالعها متشابهة ومتطابقة وعدم فعل ذلك هو مظنّة التّساؤل والاستفسار.[17]

يقرّ صافي المستغانمي في سياق حديثه عن السّور المتشابهة المطالع أنّ كلّ ما في القرآن محكّم ومفصّل في وضعه وترتيبه أثناء النّزول، فإنّ لتشابه المطالع في القرآن الكريم حكما كثيرة، لا تدرك إلّا بالتّدبر، فكلّ سورة تشترك مع أختها في مطلع معيّن، فهي ترتبط معها بوشائج وروابط لفظيّة تعبيريّة، وأخرى مضمونيّة.

3-2 مقاصد تكّرار الأنماط التّعبيرية في السّور المتشابهة المطالع: ذكر المستغانمي نماذج الأنماط التّعبيريّة التي تكرّرت في السّور المتشابهة المطالع، ووقف على بيان مقاصدها ونذكر نماذج منها:

✓ السُور المُفْتَتَحة بالنّمط التّعبيريّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهي المُمتحنة والمائدة، والحجرات التي تكّررت فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فتكرار مناداة المؤمنين بالنّداء المحبّب إليهم، الذي يذكّرهم بالعقد العظيم الذي دخلوا فيه مع مولاهم الحقّ، وهذه أشدّ الرّوابط التي تجعل السّور الثّلاث كأنّها سلسلة آيات متواصلة المعانيّ والدّلالات المتقاربة والقوالب اللغويّة المتشابهة[18] ففي سورة المائدة تكرّرت

هذه الصّيغة أربعة عشر (14) مرّة، وفي الحجرات خمس(05) مرّات، وفي الممتحنة ثلاث (03)مرّات؛

✓ الظّاهرة تتكرّر في سورة النّساء والحجّ، حيث تكرّرت في التّعبير ﴿يا أيّها النّاس﴾ أربع (04) مرّات في سورة الحجّ، وثلاث (03) مرّات في سورة النّساء ولهذا التّكرار كما لا يخفى على كلّ عاقل لبيب حكم وأسرار يبسطها العليّ الحكيم لعباده ليتدبروها.

✓ كما تشترك سورة الأحزاب والطّلاق والتّحريم في المطلع ﴿يا أيّها النّبيّ﴾ وهو مطلع يوحي بعظمة المكانة التي يتبوأها محمّد ﷺ عند ربّه وعظمة التّوقير، وقد جاءت مناداة الرّسول ﷺ بلقب النّبوّة ﴿يا أيّها النبيّ﴾ في السّور الثّلاث: ثماني(08) مرّات، خمس(05) مرّات في سورة الأحزاب، مرّتين (02) في سورة التّحريم، ومرّة واحدة في الطّلاق، علما أنّ عدد مرّات مناداته في القرآن كلّه بهذا اللقب هو ثلاثة عشر(13) مرّة، ومردّ هذا التكّرار إلى المقاصد الآتية:

- إظهار مقام النّبي ﷺ ومكانته وحقوقه، وخصوصه، وحمايته من أذيّة النّاس وأذية المنافقين؛
- ذكر أسمائه السّتة في سورة الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: 45-46] فهذه الأسماء هي في إظهار شأنّه ﷺ وفضائله بهذه الأسماء، هي صفات له وهي من أسمائه؛

•ذكر ما أحلّ الله له مـن الأزواج ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾[الأحـزاب: 50] وهذا من خصائصه ﷺ وفضائله وعناية الله تعالى به.

3-3 العلاقات والرّوابط والتّقاطعات اللّفظية والمضمونيّة في السُّورِ المسبّحات:

ومن صوّر العلاقات والرّوابط والتّقاطعات اللّفظيّـة والمضـمونيّة التـي ذكرهـا المستغانمي من خلال قراءته المتفحصة والمتأنيّة للسُّوَرِ المتشابهة المطالع والتي تكـوّن أسرا فيما بينها، حديثه عن السُّورِ المسبّحات وهـي: الإسراء، والحديـد، والحـشــر والصّف، والجمعة، والتّغابن، والأعلى، وقد سميّت بالمسبّحات لأنّها افتتحت بـمادة التّسبيح، والتي جاءت بصيّغ متنوّعة:

بصيغة المصدر (سُـبْحانَ الـذي) في سـورة الإسراء، صـيغة المـاضيّ (سَـبَّح لله) وردت في سورة الحديد، والحشر، والصفّ، صيغة المضـارع (يُسَـبِّحُ للهِ) في سـورتيّ الجمعة والتّغابن، صيغة الأمر (سَبِّحْ) في سورة الأعلى، فهذا التّنوّع في صيغ التّسبيح من المصدر إلى الفعل الماضي إلى الفعل المضارع، والانتهاء بالأمر تأكّيد على تواصـل التّسبيح دون انقطاع من كلّ موجود في السّـماوات والأرض، فهـذه البُنـى المختلفـة للتّسبيح كلّها في أعلى درجات البلاغة في الحثّ على التّسبيح وتؤكّـد أنّ التّسـبيح لا يحدّه زمن، فهو في كلّ وقت وحين.

وتحمل هذه المسبّحات دلالات مشتركة أشار إليها المستغانمي وهي:

- الاستهلال بالتّسبيح في السّور السّبع؛
- وحدانيّة الله والدّعوة إلى الإيمان به عزّ وجلّ في السّور السّبع؛

- تقرير البعث والحساب في خمس سور: الإسراء، الحديد، والحشــر والصّـف والتّغابن؛
- الحـديث عـلى بنـي إسرائيـل في خمـس سـور: الإسراء، الحديـد، والحشــر والصّف، والجمعة؛
- الحثّ على الانفاق والتّرغيب فيه في خمس سور الإسراء، الحديـد والحشــر والصّف، والتّغابن؛
- التّشريع والفرائض في أربع سور: الإسراء، الحديد، والحشر، والصّف.

ومن الرّوابط المضمونيّة التي تُوحِد بـين هـذه السُّـوَر المُسـبّحاتِ ذكرهـا لكـلّ الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل، فجاء ذكر موسى عليه السلام وهو نبيّ بنيّ إسرائيل في ﴿الإسراء﴾ و﴿الصّـــف﴾، وجــاء ذكــر داود ﷺ في ﴿الإسراء﴾ وعيســى في ﴿الصّف﴾ والمتدبّر لهذا الاختيـار الربّـاني لهـذه الكوكبـة العظيمـة مـن أنبيـاء بنـيّ إسرائيل يدرك كما يقول المستغانمي (القصد والحكّمة الرّبانيّة العالية لبيان أنّ الأنبيـاء والمرسلين يخرجون من مشكاة واحدة، ويصدرون عن مصـدر واحـد هـو مصـدر التّوحيد، وكلّ نبيّ جـاء مبشــرا بالـذي يـأتي بعـده إلى أن وصـلت رايـة التّوحيـد وسُلّمت إلى محمّد ﷺ).[19]

الخاتمة: بعد هذه الدّراسة في معالم المقاربة التّفسيريّة وأنماطها، يمكننا أن نطمئن إلى النّتائج الآتية:

1- رسم صّافي المستغانمي في كتابه (جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور) معالم رؤّية تأصيليّة جديدة تستمد مرجعيّاتها من جهود سابقيه.

2- إنّ عبقريّة الشّيخ صافي المستغانمي القويّة في مضمار التّأليف والدّعوة والإعلام، والمتمكنة في علوم اللغة، وتفسير القرآن الكريم، أفضت به إلى بيان نوع خاصّ من الإعجاز القرآني يستمدّ خصائصه من ثروته اللغويّة الغنيّة الثّريّة.

3- تؤسّس المقاربة التّفسيريّة وأنماطها عند المستغانمي شبكة روابط نصيّة منطقية متكاملة تندرج ضمنها سور القرآن الكريم بتراتب مواقع السّور ودلالة أسمائها، ودراسة الرّوابط التي تربط بين السّور التي تتشابه مطالعها.

4- إنّ التّأصيل لهذا النّوع من التّحليل اللغويّ لمجموعات الأسر القرآنيّة، هو دعوة من المستغانمي لفتح المجال أمام الباحثين وعشّاق البيان القرآني للخوض في لجّة علم مقارنات السّور، والتدّبر في نصوص التّنزيل، وتذوّق جماليّات البناء المحكم للسّور القرآنيّة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم مُصحَف المدينة النّبوية، مُجَمع المَلِكِ فهد لطباعة المصحف الشّريف، المدينة المنورَة.

1- البرهان في علوم القرآن، بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشي، تح: الدّكتور يوسف عبد الرّحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ج1.

2- تصريف القول في القصص القرآني، دراسة بلاغيّة تحليليّة لقصّة موسى عليه السلام، د.أمحمّد صافي المستغانمي، دار ابن كثير بيروت، لبنان، ط1 1439هـ- 2018م.

3- التّفسير الكبير، فخر الدّين الرّازي، دار إحياء التّراث العربيّ- بيروت لبنان، ط3: 1420 هـ، ج 10.

4- جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور، رؤّية تأصيليّة للرّوابط المضمونيّة واللّفظيّة لمجموعة الأسر القرآنيّة، أمحمّد صافي المستغانمي، دار ابن كثير بيروت سوريا، ط1، 1439ه – 2018م.

5- في ظلاّل القرآن، سيد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 1972، ج3.

6- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة الأندلسيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، ج1.

7- مفاتيح الغيّب، فخر الـدّين الـرّازي، دار إحيـاء الـتّراث العـربيّ، بـيروت لبنان، ط3، ج 4.

8- مناهل الفرقان في علوم القرآن، الشّيخ محمّد الزّرقاني، دار الكتـاب العـربيّ ط1، 1415ه- 1995م، ج1.

9- نوادر الأصول في أحاديث الرّسول ﷺ، محمّد بن علي بن الحسـن بـن بشـر أبو عبد الله، الحكيم التّرمذي، تح: عبد الرّحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ج3.

الهوامش

[1]- الدّكتور أحمّد صافي المستغانمي، يحمل دكتوراه في اللغة العربيّة، تخصّص: البلاغة العربيّة تقلّد العديد من الوظائف في ميدان التّربية والتّعليم في الجزائر، وفي دولة الإمارات العربيّة المتّحدة يشغل الآن منصب الأمين العامّ لمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة، وهو عضو في اتّحاد المجامع اللغويّة والعلميّة و المدير التّفيذيّ للمعجم التّاريخي للّغة العربيّة، معدّ ومقدّم برامج تلفزيونيّة مثل: (البيان القرآني) في قناة مجد العلميّة، وبرنامج (في رِحاب سورة) في قناة الشّارقة الفضائيّة، له العديد من المؤلّفات: (تصريف القول في القصص القرآنيّ)، الخطيب النّاجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، (بلاغة النّظم في لغة الجسم في القرآن الكريم) (الأساور المرصّعة في أسرار الأحرف المقطّعة)، (مفاتيح النّجاح وسنن السّعادة، وأخرى تحت الطّبع.

[2] – صدر هذا الكتاب عن دار ابن كثير ببيروت، في طبعته الأولى 1439ه- 2018م، يشتمل على مقدّمة، ومدخل يتضمن ملامح التّجاذب اللّفظيّ في السّور القرآنيّة، والفصل الأوّل من ثمانيّة مباحث عالج فيه السّور المتشابهة المطالع، والفصل الثّاني من ثلاثة مباحث تدور حول السّور المتشابهة الفواصل، والفصل الثّالث من ثلاثة مباحث تناولت السّور المفتَتحة بأنساق تعبيريّة متشابهة.

[3]- جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور، رؤّية تأصيليّة للرّوابط المضمونيّة واللّفظيّة لمجموعة الأسر القرآنية، أحمّد صافي المستغانمي، دار ابن كثير، بيروت، سوريا، ط1، 1439ه – 2018م ص: 10.

[4]- تصريف القول في القصص القرآنيّ، دراسة بلاغيّة تحليلية لقصّة موسى عليه السلام، د.أحمّد صافي المستغانمي، دار ابن كثير بيروت، لبنان، ط1، 1439هـ- 2018م، ص: 19.

[5] – في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 1972، ج3ص: 3399.

[6]- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة الأندلسي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ط1، 1422هـ، ج1، ص: 52.

[7]– نوادر الأصول في أحاديث الرّسول ﷺ، محمّد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، تح: عبد الرّحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ج3، ص: 259– 260.

[8] – جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور، ص: 32.

[9]– مفاتيح الغيّب، فخر الدّين الرّازي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت ، لبنان، ط3، ج 4، ص: 112.

[10]– المناسبة لغة: المقاربة والمشاكلة، واصطلاحاً: علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، ووجوه ارتباط أجزائه بعضها ببعض، عِلْمٌ شَرِيفٌ قَلَّ اعْتِنَاءُ الْمُفَسِّرِينَ بِهِ لِدِقَّتِهِ وَمِمَّنْ أكثر فيه الإمام فخر الدّين وقال فِي تَفْسِيرِهِ أَكْثَرُ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ.

ينظر: الإتّقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، 1394هـ/ 1974، ج3، ص: 369.

[11]– ومن أبرز من اعتنى بهذا العلم نذكر:

أبو بكر النّيسابوري (ت: 324هـ)ـ الفخر الرّازي(ت: 606 هـ) في تفسيره الكبير: «مفاتيح الغيّب»، أبو الحسن الحرالي المغربيّ (ت: 637هـ)، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الغرناطي(ت: 708هـ) في كتابه «البرهان في ترتيب سور القرآن»، برهان الدّين البقاعي (ت 885 هـ) في كتابه: « نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور»، جلال الدّين السّيوطي (ت:911هـ) في كتابه «تناسق الدُّرر في تناسب السّور»، وكتاب «أسرار التّنزيل» الشّيخ محمّد عبده (ت: 1905م) في تفسيره «المنار» الأستاذ سيد قطب (ت: 1966م) في كتابه «في ظلاّل القرآن»، وفي كتابه الآخر «التّصوير الفنيّ في القرآن، الشّيخ مصطفى المراغي (ت:1364هـ)، الشّيخ عبد الله بن الصّديق الغماري(ت: 1380ه) في كتابه «جواهر البيان في تناسب سور القرآن» الشّيخ طاهر الجزائريّ(ت: 1338هـ)في كتابه «التّبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن»، الفراهي(ت: 1349هـ) في تفسيره «نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان».

[12]– البرهان في علوم القرآن، بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشي، تح: الدّكتور يوسف عبد الرّحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ج1، ص: 131.

[13] – التّفسير الكبير فخر الدّين الرّازي، دار إحياء التّراث العربيّ – بيروت، لبنان، ط3: 1420 هـ ج 10، ص: 10.

[14] – مناهل الفرقان في علوم القرآن، الشّيخ محمّد الزّرقاني، دار الكتاب العربي، ط1ــ 1415ه-1995م، ج1، ص: 53.

[15]– المصدر نفسه، ص: 24.

[16] – المصدر نفسه ص: 204.

[17]– المصدر السّابق: ص: 81.

[18]– نفسه ص: 152.

[19]– المصدر نفسه، ص: 168.

نحو نظريّة للسّورة القرآنيّة
قراءة في كتاب جواهر الدُّرر
للدّكتور أحمد صافي المستغانمي.

د. آمنة بلّعلى

ج. مولود معمري، تيزي – وزو

مقدمة: يضعنا كتاب (**جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور**) من خلال هذا العنوان المركّب، أمام تحدّ مفهومي واصطلاحي كبير، يتعلّق بطبيعة الدّراسات التي تناولت القرآن الكريم. فالمتأمّل في هذا العنوان يلاحظ اقتفاء طريقة القدامى في صياغته وهو ما يؤكّد الارتباط الوثيق بمنظومة المصطلحات التّراثيّة، القائمة على السّجع والاستعارة، ما يعني أنّنا أمام افتراض مسبق، يحيل إلى أنّ الدّراسة هي امتداد في أحد جوانبها للدّراسات القرآنيّة السّابقة التّراثيّة منها والحديثة، وإلى وجود تقاطع معها، سوف تؤكّده الآليّات الإجرائيّة المعتمدة، ومنظومة المفاهيم والمصّطلحات التي تؤطّرها وكذا اللّغة الواصفة التي تميّز هذا الكتاب.

أمّا ما يحيله العنوان الفرعيّ باندراج هذه الدّراسة ضمن علم مقارنات السّور فمرتبط بما أسفرت عنه الدّراسات القرآنيّة، كما تجلّت لدى علماء القرآن والإعجاز والمفسّرين، وعلماء الأصول، ولكن بطرح تصوّر جديد هو ما اصطلح عليه بالرّؤية

التّأصيليّة. لموضوع مخصوص، هـو (تشـابك المضـامين وتقـاطع الأثـواب اللفظيّـة للسّور القرآنيّة التي تنتمي إلى أسـرة واحدة).[1]

وتتّضح هذه الرّؤيّة في مقدّمة الكتاب والمدخل، حيـث يموضـع الباحـث طبيعـة الدّراسة، موضوعا وإجراء وغايّة، في محاولة فهـم قـوانين الحركـة التـي تشـتغل مـن خلالها السّورة القرآنيّة في القرآن الكريم، من خلال دراسة وصـفيّة اسـتقرائيّة تحليليّـة لمجموع العلاقات الشّكليّة والمضمونيّة بين مجموعة من السّور المنتقاة، التي اسـتجابت للفرضيّة بانتظام بعض السّور القرآنيّة المدروسة ضمن مجموعات أسريّـة تتفاعـل فـيما بينها كتفاعل عناصر البنية مع بعضها، وتشتغل من خلال هـذا التّفاعـل وفـق قـانون أساس هو مفهوم **التّجاذب** الـذي خصّـص لـه مـدخل الكتـاب، لعـرض مـبرّرات استعماله، ثمّ برهن على فعاليّته من خلال تحليل مستوياته على مدار البحث كلّه.

يلخّص عنوان الكتاب، إذن، بصيغته المركّبة مسعى الباحـث العلمـيّ في معاينـة السّورة القرآنيّة، ما يجعل القارئ يستنتج أنّ المصّطلحات الواردة في عنـوان الكتـاب تؤكّد البعد التّنظيريّ للمشروع، ويتأكّد من خلال ما طرحه الكاتب في المدخل حين راح يتحدّث عن مختلف الدّراسات التي أقيمـت حـول السّـورة القرآنيّـة، ويطـرح إمكانيّة للحديث عما سماه شخصيّة السّورة، وهو ما يدعم التّوجّه الذي يـرى أنّ أي دراسة جادة لسور القرآن الكريم لا يمكن إلاّ أنّ تنطلق من الإحاطة بطبيعة السّورة ذاتها على الرّغم من الصّعوبات التي تواجه الباحث في مثل هذا النّوع مـن الدّراسـة نظرا لضخامة العمل، ولتنوّع السّور القرآنيّة.

ودفعا لأيّ لبس حدّد المستغانمي الهدف من الدّراسة بالتّذكير بجهود السّابقين لتتأكّد رؤّيته التي أرادها أن تكون تأصيليّة، تقوم على تجديد النّظر في أساليب فهم السّورة القرآنيّة انطلاقا من كونّها مجموعات أسريّة، حيث قام باستنطاقها، وكشف عن طبيعة هذه العلاقات الأسريّة التي تجمعها، وبيّن طرائق اشتغالها، وبذلك يتبيّن للقارئ البعد التّنظيري المتعلّق بطبيعة السّورة وإمكانيّة إيجاد معايير تسهم في التّنظير لها انطلاقا من فهم طريقة اشتغالها.

ثمّة جهود كثيرة في هذا المجال أشار إليها المستغانمي غير أنّها، وعلى الرّغم من قيمتها، ظلت جهودا تطبيقيّة شأنّها شأن كلّ المعارف في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة الأمر الذي سيطرح مسألة المنهج الذي ينبغي تبنيه أو الاستعانة به في التّصدي لمثل هذه الموضوعات، وخاصّة أمام الثّورة المنهجيّة العالميّة التي تتزايد يوما بعد يوم وهو ما لم يشر إليه المستغانمي، واكتفى بالرّؤية التّأصيليّة التي توحي بتجاوز صرامة المنهج وإكّراهات النّظريّة.

1 -منطق الإشكاليّة ومنهجيّة الدّراسة: على الرّغم من أنّ العنوان قد وضّح طبيعة الدّراسة، التي تندرج في علم مقارنات السّور، إلاّ أنّ المستغانمي قدّم إبدالا منهجبا يموضع فيه عمله، بقوله بالمقاربة التّفسيريّة، ويكون، بذلك، قد وضعنا أمام سؤال إشكاليّ، يتعلّق بمنهجيّة الدّراسة وتصنيفها، وهل يمكن أن يستقيم القول بالمقارنة العلميّة والمقاربة في الوقت نفسه؟ لأنّ الحديث عن علم بعينه ليس بالأمر الهيّن، وتبنّي المقاربة تجعله قابلا للدّحض بسهولة مثلما أكّد ذلك بعض المنظرين

للنّص القرآني كأبي القاسم حاج حمد، ممّن يرون أنّ المقاربة Approche تحيلنا مباشـــرة إلى منظومة المفاهيم الغربيّة التي تحتكم إلى العلمنة والحداثة، وقد أدّت عنـد الغـرب أنفسهم إلى ضرب من التّنـاقض البنيـوي، لأنّهـا قامـت عـلى التّلفيـق. أمّـا منطـق المقارنات، فإنّه يستوجب المفاضلة بين مختلف الطّروحات، ويفـرض عـلى الباحـث نوعا من الانتقاء.[2]

غير أنّ الكاتب يزيح هذا الشّك الذي تضـعنا فيـه هـذه المفارقـة، عنـدما يـدرج عمله ضمن الدّراسات التّفسيريّة والدّراسات حول الإعجاز، ويستعرض مجموعـة من المفسرين بدءً من الطّبري والرّازي إلى الألوسي فالشّعراوي في العصـر الحـديث وكلّهم سعوا إلى استنباط معاني القرآن واسـتخراج الـدّلالات الشـّرعيّة، فحلّلـوا السّور ودرسوا أسباب النّزول، وسبروا معاني الألفـاظ وإعرابهـا وجماليّـات الـنّص القرآني، غير أنّ إشكالا ظل يقضّ مضاجعهم، وهو: أيـن يكّمـن إعجـاز القـرآن؟ وتمّت الإجابة عن كثير من مسائله من خلال علماء القرآن من البلاغيين الذين ألفـوا في علم مناسبات السّور كالبقاعي والغرناطي والسّيوطي والوحدة الموضوعيّة التـي تطوّرت فيما بعد لدى العلماء والمفسّرين إلى ما يُسمّى التّفسير الموضوعي للقرآن.[3]

وهذا الإقرار يجعل القـارئ يطمـئن إلى أنّ البحـث هـو امتـداد لـتراث ضـخم في الدّراسات القرآنيّة، بل إنّه يجعل الهدف الأوّل من الدّراسـة هـو تحقيـق أمـرين اثنـين أوّلهما: (إبراز جهود السّـابقين الـذين اجتهـدوا في حقـل السّـورة القرآنيّـة، وإيضـاح المجالات التي بحثوها، والإضافات التي أنتجتها قرائحهم وأقلامهم)[4] على الرّغم ممّـا

يمكن ملاحظته من نزوع إلى المفاضلة بين الطّروحات الإسلاميّة بمنطق الأصالة ولذلك لم نلاحظ إشارة إلى دارسين آخرين في مجال الاهتمام بالنّص القرآني.

وبعد أن أشار إلى جهود من أسهموا في هذه العلوم القرآنيّة، أقرّ بأنّ عمله لا يتعلّق بشيء ممّا يريده هو من مقاربته التّفسيريّة ما يعني أنّ مقاربته سوف تكون مختلفة عمّا قام به هؤلاء وبمنطق التّأصيل مثلما أعلن عن ذلك.

يطرح المستغانمي أسئلة إشكاليّته هي: لماذا ثمّة سور تتشابه مطالعها إلى حدّ التّقاطع، ولماذا ثمّة سور تتشابه فواصلها من البداية إلى النّهاية؟ ولماذا ثمّة سور تبدأ بنفس الأنساق التّعبيريّة والتّراكيب اللغويّة من غير أن تتشابه موادّها المعجميّة؟

إنّ هذه الأسئلة تقوم على إستراتيجيّة تداوليّة في بنائها تهدف إلى إقناع المتلقي بأهميّة الجهد الذي يقوم عليه الكتاب، وهو جهد واضح، وتشتغل باعتبارها استراتيجيّة تضامنيّة لتوجيه البحث واستجماع المعارف والبراهين، ولذلك صاغ الأسئلة التي ستسهم في بناء طرحه، والإقناع به، وهو أمر مشروع يقتضيه البعد التّداولي لكلّ متكلّم يقدّم عرضا، وحججا لدفع أي اعتراض. غير أنّ ما أثارته هذه الأسئلة أو جزءا ممّا أثارته، يُشعر القارئ أنّه قد تمّ التّطرق إليه، من قبلُ، تحت مباحث مغايرة ومختلفة، لدى علماء القرآن، وهذا يعني أنّ القارئ الذي يتلقّى هذه الأسئلة استنادا إلى هذا الأفق من الانتظار، سوف يتوقّع إجابات أخرى غير التي توصّل إليها السّابقون، وهو ما يؤكّده اعتبار الدّراسة مقاربة جديدة وقد تكرّرت

الصّفة عدّة مرات، إضافة إلى ما تثيره عبارة رؤيّة تأصيليّة مـن توقّـع للجديـد، كـأن يقوم بتحويل ما بذره الأولون متفرقا إلى جذور قابلة للإنتاج.

غير أنّ الملفت في أسئلة الكاتب الإشكاليّة، هـو تضـمينه سـؤال: لمـاذا قسّـم الله تبارك وتعالى القرآن إلى مجموعات؟ وهو سؤال مفرّع عن ملاحظة التّشابه الموجـود بين بعض السّور سواء في المطابع أم الفواصل، أم الأنساق التّعبيريّة، وهو في الحقيقة إعادة عرض التّشابه الذي سبق أن رصده العلماء في التّفسـير الموضـوعيّ أو تفسـير القرآن بالقرآن أو ترتيب سور القـرآن الكـريم وتقسـيمها، خاصّـة مـا ورد في علـم المناسبات؛ غير أن إثارة إشكال من قبيل أن الله تعالى قسّم كلامـه الى مجموعـات قـد لا يصمد كثيرا أمام بعض الحقائق المتعلّقة بالقرآن الكريم كمراحل التّنزيل وأسباب النّزول، ممّا يجعلنا نرجع مسألة التّقسيم التـي أثارهـا الكاتـب إلى كونّهـا لا تعـدو أن تكون عمليّة تجريد تحيلنا على تقسيم يكون وليد نظر محايـد، تسـمح بـه بنيّـة الـنّص غالبا ما يكون أوسع من منطق اللّغة التّداولي.

هذا التّجريد يشبه تجريد الكـلام في بدايـة التّقعيـد للّغـة عنـد اللغـويّين وعلـماء العربيّة، في مسائل كالحقيقة والمجاز، حيـث أمكـن تجريـد الكـلام ووصـفه إلى أنّـه ينقسم إلى حقيقة ومجاز، لكن على مستوى آخر حدثت عـدّة اشـكاليّات أفضـت الى صراعات تأويليّة بين الفرق الإسلاميّة.

ولكن القول بذلك مصحوبا بتخريج دلاليّ مخصوص، وجعل كـلّ قسـم بمثابـة آليّة تفسيريّة، يضعنا أمام عدّة إحراجـات علميّـة، ولـذلك يمكـن الاخـتلاف مـع

المستغانمي عندما نلاحظ بأنّ هناك سورا لا يمكن أن تندرج في مجموعات، وهو ما يتأكّد لنا حين يقرّ بانتقاء سور بعينها، و عند فحص معايير تقسيمه الذي نستنتج منه أنّه ضمنيا قد عرّفَ وبيّن مفهوم وطبيعة هذا المقسّم وأنواعه وهي السّور المتشابهة المطالع والفواصل والأنساق التّعبيريّة، لكن هناك سور أخرى لا تخضع لهذا التّقسيم، ويمكن أن يقوم أحدهم بتقسيم آخر للسّور ذاتها ويجعلها في مجموعات أخرى، الأمر الذي يجعل فكرة التّنظير والتّأصيل جزئيّة تنحو نحو النّظريّة ولا تحقّقها لوجود سور أخرى لا تخضع لنفس المنطق، ومن ثمَ، تسقط الفرضيّة الكليّة بأنّ الله قسّم السّور القرآنيّة إلى مجموعات أسريّة.

وعلى الرّغم من عدم تحقّق الفرضيّة التّنظيريّة كاملة، فقد قدّم المستغانمي معايير مناسبة ومقّنعة، وأفاض في الأمثلة والاستشهادات لكي يثبت سلامة تقسيمه والنّتائج التي توصّل إليها وصدقيّة أطروحة التّجاذب، التي تفرض علينا ، رغم نجاعة طرحها، تساؤلا عن مصير الدّلالات المحصّلة من الأدوات التّفسيريّة المعروفة، هو ما نجد الإجابة عنه في فكرة التّدبّر التي أشار إليها عدّة مرّات، حتى أنّه أنهى كتابه بوصف عمليّة بأنّه (**جولة تدبريّة**) وهو ما يجعلنا نفترض من الرّجل إجابة وموقفا قبليا واضحا من الدّلالات الأصليّة، التي يبدو أنّه احتفظ بها وزاد عنها بشيء من التّدبّر والتّأمّل، فأصبحت الدّلالات التي توصّل إليها من قبيل الدّلالات الزّائدة التي تستفاد من جهة التّدبّر في كلام الله، وهذا مشروع بالنّسبة لكلّ متدبّر في القرآن.

ولذا جاز لنا الحكم أنّ ما توصّل إليه المستغانمي من نتائج قد حافظ فيها على الأصول والثّوابت ولم يجتهد إلاّ في الدّلالات الزّائدة التي تخصّ المتدبّر والسّياق والفترة التّاريخيّة ولم يجزم بصحتها إلّا في بعض المواضع القليلة من الكتاب، فتكون بذلك محض اجتهاد، قد لا يرقى إلى أن يكون علما، وهو ما يبرّر الإرباك الذي وضعنا فيه العنوان حين صنّف الكتاب بأنّه في علم مقارنات السّور، ثمّ نجد عبارات تدحض الجزم بعلميّة البحث، حين يقول بالمقاربة التّفسيريّة مثلما أشرنا إلى ذلك سابقا، ثمّ ينتهي إلى أنّه جولة تدبريّة. فيتأكّد لنا أنّ الفهوم مفتوحة كما جاء في قول علي رضي الله عنه: "إلا فهما يؤتاه الرّجل في القرآن".[5] ومن ثمّ، نطمئنّ إلى أنّ الكتاب جاء لكي يثمّن ويضيف إلى ما نجده مبثوثا عند المتقدمين والمتأخّرين كفكرة انتظام السّور المأخوذة من أصول التّفسير من أنّ بعضه يفسّر بعضا، وانتظام المكّي والمدنيّ حول دلالات معيّنة، وغيره ممّا نبّه إليه في المقدّمة، وكلّف نفسه عناء التّجاوز بجعله موضوعا مستقلّا، وساق له عددا معتبرا من الأمثلة القرآنيّة، ولكنّ الأهمّ الذي يمكن أن نعلّل به هذا التّميّز والاختلاف عن القدامى، أنّه استنبط من الظّاهرة قانونا تنتظّم من خلاله هذه المجموعات من السّور القرآنيّة وهو (**التّجاذب**) الذي أفرد له مدخلا مطوّلا، بسط فيه المفهوم وحدّد العلاقة التي يقوم عليها وهي التّشابه، وآليّاته المختلفة، وفق مبدئي الثّبات والتّغير ووضّح مستويّات التّحليل والقواعد التي حقّقها.

2 -**المرجعيّات والمرجعيّات المضمرة:** أشرنا سابقا إلى أنّ المستغانمي نـوّه بجهـود من سـبقوه مـن القـدامى وبعـض المعـاصرين، مـا يعنـي وجـود مشـاريع مشـابهة لمشروعه، وتقترب من همومه، لكنّها قصُرت عمّا تمّ البدء به أو حالـتّ دون تطـويره إكراهات معيّنة. والذي ينبغـي الانتبـاه اليـه أنّـه لم يعـرض لنـا موقفـه مـن قواعـد المفسّرين الذين ذكرهم، هل تعلّق الأمر بضعف الأدوات الإجرائيّة، أم باجتهـادات ارتبطت بنسبة الفهم وطبيعته؟ ولذلك كان استعراضه لهم بمثابـة تـذكير بـما ورد في بعض كتب علم التّدبّر والتّفسير الموضوعيّ والبيانيّ وكذا كتب علم المناسـبة. وهـو ما يؤسّس لانطباع بـأنّ الكاتـب وبهـذا الإصرار عـلى فرضـيّة المجموعـة الأسريّـة يسعى إلى البحث عن نظريّة للسّـورة القرآنيّـة، وهـو مبحـث جليـل، حالـت دون تحقيقه طبيعة الدّراسات التّطبيقيّة سـواء لـدى علـماء الإعجـاز أم لـدى المفسـرين الذين يمكن عدّهم محلّلي خطاب، وليسوا منظـرين. لأنّ المفهـوم المعـاصر للنّظريّـة يقتضـي بناء منظومة مصطلحاتيّة تعكس نسقا معرفيّا متكـاملا، وأهـمّ مـا فيـه هـو القدرة المنهجيّة والتّفسيريّة التي ترتبط بهذا النّسق المعرفي المتكامل، ولذلك عثرنـا في تاريخ الدّراسات القرآنيّة قديما وحديثا على نظريّات جزئيّة، اتّسعت لدى البعض في محاولة اكتشاف النّظريّة مثلما لاحظنا لدى بعض الدّارسين **كمحمّد دراز أبي القاسم حاج حمد و فاضل السّامرائي** وغير ذلك من المحاولات التي راح أصحابها يتقصّون مسلكا نظريّا من خلال اكتشاف منهجيّـة معرفيّـة للقـرآن الكـريم، أو تحليـل بيـاني مقصدي، وهو الأمر الذي حدث أيضا مع العلماء القدامى الـذين كانـت إشـاراتهم

من النّباهة بحيث كانوا في دراساتهم مشدودين إلى فكرة الإعجاز التي مارست هيمنتها وسلطتها، ووجهت هؤلاء إلى فهم الدّلالات الشّرعيّة من أجل نفع يصيب قارئ القرآن تعميقا لعلاقته به باعتباره نصّا معجزا.

لا يختلف مقصد المستغانمي عن هذا الطّرح وقد تكرّرت عبارات إثبات إعجازه وتجلي قدرة الله فيه في أغلب مواضع الكتاب، حتى أنّها أصبحت في الكتاب بمثابة التّعويذة التي تمّ استبدالها بنتائج التّحليل، ولذلك كثرت التّبريرات التي تؤكّد عظمة النّص القرآني.

لكن بخلاف الكثير من دارسي النّص القرآني، وعلى الرّغم من هذه القصديّة التي تؤطّرها الحالة الإيمانيّة، فإنّنا نجده يعرض لقانون التّجاذب، كما أسلفنا، وهو مطلب تنظيريّ سعى إلى تبرير صلاحيته لغة واصطلاحا، وهيّأ له من الآليّات المنهجيّة ما يثْبِتُه في كل الأمثلة والتّصنيفات التي قدّمها عن السّور المتشابهة المطالع والمتشابهة الفواصل والمتشابهة الأنساق التّعبيريّة، على الرّغم من المفارقة الملاحظة في الجمع بين منطق المقارنة ومنطق المقاربة التي تبنّاها كمنهجيّة للتّحليل، كما أسلفنا ذلك أنّ المقارنة تفضي إلى التّفضيل، في حين المقاربة تفضي الى تغييب المرجعيّات ولعل هذا ما يجعل القارئ يشعر بأنّ الكاتب على اطلاع ببعض المشاريع التّفسيريّة الحديثة التي تحدّثت عن التّقابل، والتّفسير البياني وعن التّدبّر كمحمّد بازي وفاضل السّامرائي وحبنكة الميداني الذي تتجلّى قواعده في التّدبّر واضحة لدى المستغانمي لكنه فضّل أن تبقى بعض مرجعيّاته صامتة لم يفصح عنها، لغرض مضمر، أو

لتفطّنه لمشاكل العمل المنهجي، فانتبه إلى معضلاته وحاول تجنّبها، مثلما وقف على ذلك أبو القاسم حاج حمد على الرّغم من أنّه هو أيضا وقع في بعضها.

غير أنّ المؤكّد أنّ هناك وشائج قويّة نتلمّسها بين المستغانمي وبعض دارسيّ القرآن المعاصرين تتأكّد من خلال تناصّه مع ما جاء في كتاب **حبنكة الميدانيّ** عن قواعد التّدبّر الأمثل قوله في القاعدة الأولى: "كلّ متدبّر كلام الله أن يبحث عن ارتباط المعنى المستفاد من جملة قرآنيّة بما تفرق في القرآن من معان تجتمع معه في موضوع واحد، وبمعاني الآية التي منها، والسّورة التي هي فيها".[6]

كما نتلمّسها من خلال دوران مفاهيم بعينها أو متقاربة، صيّرها أدوات إجرائيّة فتدبّرها وكشف عنها من خلال المطالع والفواصل والأنساق التّعبيريّة المتشابهة وهو يعني أنّه اتّخذ من تلك القواعد منهجا للتّدليل على قانون التّجاذب.

غير أنّنا إذا نظرنا إلى التّجاذب بين آفاق الطّرح التّنظيري وطبيعة الإجراءات والعلاقات التي يتجلى من خلالها، سوف نلمس ذلك التّداخل بين التّشابه الذي أقام عليه تصوّره، وبعض المفاهيم كالتّقاطع والتّرابط والتّكامل، والتّناسق والاتّساق، وغيره، فيكون التّشابه متعلّقا بالشّكل وباللّغة وبقيّة المفاهيم تتعلّق بالدّلالة، وهو ما يجسّد ما ورد في العنوان بالتّرابطات المضمونيّة واللّفظيّة، وما تكرّر في التّحليل من حديث عن الثّوب اللّغوي، ما يعني أنّ التّجاذب قائم على توجّه مزدوج هو الذي سيتأكّد كمظهر ثابت في هذ النّوع من السّور التي تتكوّن في مجموعات بفضله. وأنّ التّرابط الشّكليّ والمضمونيّ سيتأكّد من خلال وظائف

استنتجها المستغانمي وهو يحلّل السّور كالتّكميل والشّرح والتّفصيل والتّوزيع الذي يكون في سورة في علاقتها بسورة أخرى أو ببقيّة السّور من المجموعة نفسها.

3 – مستويات التّحليل وآليّاته: اعتمد المستغانمي القاعدّة الذّهبيّة التي تداولها علماء القرآن والمفسّرون، وحتى شراح الشّعر القدامى، في البدء بمعاينة اللفظة لغويا، وهو مستوى مهمّ من التّحليل؛ حيث كان يشير الى المعنى اللّغوي كما تقرّه المعاجم العربيّة، وكذا بعض الدّلالات التي استنبطها المفسّرون بما يتوافق مع المعنى اللغويّ وهذا جزء من توجّه عامّ للمفسّرين وعلماء القرآن، كما أسلفنا، إذ يرى الزّركشي في حديثه عن القرآن وتفسيره أن الذي "يَجِبُ عَلَى الْمُفَسِّرِ البَداءَةُ بِهِ العُلُومُ اللَّفْظِيّة وأوَّلُ ما يَجِبُ البَداءَةُ بِهِ مِنها تَحْقِيقُ الألْفاظِ الْمُفْرَدَةِ فَتَحْصِيلُ مَعانِي الْمُفْرَداتِ مِن أَلْفاظِ القُرْآنِ مَن أوائِلِ المَعادِنِ لِمَن يُرِيدُ أنْ يُدْرِكَ مَعانِيَهُ وهُوَ كَتَحْصِيلِ اللَّبِنِ مِن أوائِلِ المَعادِنِ فِي بِناءِ ما يُرِيدُ أنْ يَبْنِيَهُ".[7]

وبذلك يكون المستغانمي قد استعاد نموذج علماء القرآن في التّحليل، يبدأ فيه بالمعيار اللغويّ ثمّ المعيار الغرضيّ أو الموضوعيّ، فيعرض لموضوع السّور التي يحلّلها؛ ليس لأنّ التّشابه اللفظيّ أو وحدة الموضوع يوجبان وجود التّجاذب وحسب، ولكن لكونّهما مؤشّرين للكشف عن أوجه التّجاذب، ومن ثمّ تحديد نوعيّة العلاقات التي يتيحها بين السّور التي تنتمي إلى مجموعة واحدة، وغالبا ما تكون في طبيعة الدّور الوظيفيّ الذي تقوم به هذه السّور لحساب الأخرى؛ من ذلك، مثلا، أن سورة ﴿فاطر﴾ جاءت لبيان الآيتين العظيمتين لفاتحة الكتاب

فشرحت وفسّرت الحمد لله ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم، وأنّ ﴿سبأ﴾ بسطت القول في بيان يوم الدّين، وأنّ سورة ﴿الأنعام﴾ قرّرت ما جاء في سورة ﴿فاطر﴾ وعمّقت المعنى فيها[8] وأنّ سورة ﴿الكهف﴾ قرّرت ما جاء في سبأ، وكانت من جهة أخرى سورة التّطبيق العمليّ لما جاء في سورة ﴿الحمد﴾[9] وهناك سور جاءت لتتّم ما جاء في أخرى، وأخرى تفصّل أو تذكّر وغيرها ممّا يمكن أن نطلق عليه **تبادلا وظيفيّا للسّور**، هو ما عناه بالتّرابط المعنويّ بين السّور، وتتكرّر النّتائج في جميع المباحث وإن اختلفت بحسب طبيعة التّبادل في كلِّ مجموعة ، كما أنّه يتقاطع بشكل واضع مع علماء القرآن في حديثهم عن ترتيب السّور والآيات وقانون المناسبة، مثلما نجده لدى السّيوطي في حديثه عن سورة المائدة قوله: وأقول: "هذه السّورة أيضًا شارحة لبقيّة مجملات سورة البقرة؛ فإنّ آيّة الأطعمة والذّبائح فيها أبسط منها في البقرة وكذا ما حرّمه الكفار تبعًا لآبائهم في البقرة موجز" وفي هذه السّورة مطنب أبلغ إطناب في قوله: ﴿ما جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ ولا سائِبَةٍ... ﴾[10]

هناك إشارات ذكيّة كثيرة أشار إليها السّيوطي وغيره ، وسع النّظر إليها في إطار قانون التّجاذب، من قبيل تحليله لسورتيّ ﴿الإسراء﴾ و﴿الفرقان﴾ المكمّلتين لبعضهما على الرّغم من أنّ الأولى تتحدّث عن معجزة ماديّة والثّانيّة تختصّ بمعجزة عقليّة، وقد انتبه كيف أنّ المطالب في سورة ﴿الإسراء﴾ أخذت شكل التّرقّي والصّعود انسجاما مع التّرقّي في العروج أي من الأدنى إلى الأعلى لتتناسب مع معجزة الرّسول ﷺ في حين أخذت سورة ﴿الفرقان﴾ وانسجاما مع تنزيل القرآن

شكل النّزول من الأعلى، أي من الأصعب إلى الأسهل، ولكنّ السّورتين مع ذلك تتلاحمان من خلال تبادل الدّور الوظيفي.

والملاحظ أنّ المستغانمي ربط السّياق اللّغوي بسياقه الحالي حين كان يعرض في كلّ مرّة الى أسباب النّزول، وذلك حرصا على عدم الابتعاد عن مقاصد الشّريعة وعدم الفصل بين السّياق اللغويّ والسّياقين السّببي والظّرفي، ولكن، أيضا، لأنّ القانون الذي افترضه وهو التّجاذب فرض عليه هذا النّوع من التّكامل المسؤول عن اتّساق السّور والانسجام الحاصل بينها؛ ولذلك حين ينتقل إلى المستوى الثّاني من التّحليل المرتبط بالدّراسة الغرضيّة أو الموضوعيّة، فإنّه يقوم بإحصاء مواضيع الآيات والسّور التي يفترض تجاذبها، من خلال تبيين العلاقات التي تجمعها والرّوابط اللفظيّة والمضمونيّة المختلفة، ثمّ يُبيّن مناحي اتّساقها وكيفيّة انسجامها داخل السّورة الواحدة أو في علاقتها بمجموعتها الأسريّة. وهي ظاهرة تأكدت لدى المتقدّمين والمتأخّرين من العرب وحتى المستشرقين **كجاك بارك** الذي أكّد بأنّ النّص القرآني يقدّم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السّورة الواحدة، كما يقدم نفسه بوصفه نصا واحدا في إطار السّور المتعدّدة.[11]

توزّعت الدّراسة، إذن، على مستويين: صيغة الخطاب القرآنيّ وبنيّته اللغويّة ومضمون الخطاب وموضوعاته، وكان المعيار المشترك هو قانون التّجاذب، الذي يجعل من المجموعة الأسريّة للسّور القرآنيّة ممارسة خطابيّة تتقاطع فيها سورة مع سور أخرى سبقتها أو كانت لاحقة لها، وهي علاقة حواريّة تؤكّد أنّ الدّلالة النّصيّة

لكلّ سورة تتأسّس من خلال سور أخرى؛ أي أنّها تشتغل وفق حركيّة تبادليّة، ما يعني أنّ مفهوم التّجاذب عند المستغانمي سيعمّق النّظر في التّصوّرات السّابقة التي تلمّست الآثار والنّتائج والظّواهر التّرابطيّة المختلفة في تفسير القرآن، إلاّ أنّها كانت دراسات تطبيقيّة جزئيّة، ركّزت على الظّواهر ولم تتبيّن البؤرة التي تنطلق منها باعتبارها محرّكا ديناميا للعلاقة بين السّور القرآنيّة، ومحدّدا في الوقت نفسه هويّة السّورة كنص جامع، وهنا نلاحظ التّقاطع بين مفهوم **التّجاذب**، ونظريّة **التّعلق النّصي**/ Transcendance textuelle في الدّراسات النّصيّة المعاصرة لدى **جيرار جينيت**، هذا التّعلق الذي يقوم على علاقات جليّة ظاهرة في البنيّة اللغويّة، أو على علاقات خفيّة على مستوى المضامين. وقد أشار الزّركشي إلى ما يماثله في إشاراته إلى التّعلّق أيضا، في حديثه عن علاقات السّور بعضها ببعض.

تشتغل الإيقونات والمطالع المتشابهة وكذا الفواصل كنداءات للمتدبّر القرآنيّ توجّهه لإدراك طبيعة التّعلّق، أو التّجاذب، غير أنّه ليس رهين هذه النّداءات القائمة على التّشابه، بل يمكن إدراكه من خلال علاقات خفيّة ينبغي للمتدبر أن يكتشفها، وهو ما وضّحه المستغانمي في الفصل الثّالث في تحليله للأنساق التّعبيريّة حيث يتأكّد من خلالها أنّ الأساس في هذه المقاربة هو المشترك الموضوعي، فلا تجاذب دون مضمون مشترك بدرجة أو بأخرى، وتكون بذلك التّشابهات اللفظيّة كالمطالع والفواصل وتردّد إيقونات بعينها في سور المجموعة درجة عليا من درجات التّجاذب، أو المستوى الظّاهر، وتتدرّج الأسر منه إلى مستويات أقلّ

وضوحا لفظيّا حتّى يختفي التّشابه اللفظي وتكون هناك تقاطعات مرتبطة بتماثل صيغي و بتشاكلات دلاليّة على مستوى المحتوى وليس على مستوى التّعبير؛ ما يعني أن التّجاذب في المجموعات الأسريّة للسور، قد تدرك تقاطعات السّور فيه من خلال السّياق، وهو ما يجعلنا نستنتج بأن ّالسّورة يمكن أن تعلو على اطرادات الأسلوب التّعبيري وهو ملمح تنظيري مهم في الحديث عن شخصيّة السّورة القرآنيّة مثلما توحي به دراسة المستغانمي. فهناك إحساس بأنّ شخصيّة السّورة تستند إلى معايير منظّمة من داخل السّورة كالصّيغة التّعبيريّة والدّلالة، وذلك هو الطّبيعي لدى منظري الأجناس والأنواع، ذلك أنّ ملامح النّوع تتحدّد من خلال الأنساق المهيّمنة داخل الظّاهرة المدروسة، وهو ما مكّن المستغانمي من تحديد طبقة **الأنساب** التي تتحقّق بها مجموعات الأسر القرآنيّة.

والنّسب، مفهوم أساسيّ يتقاطع فيه المستغانمي مع بعض المنظّرين، مثلما نجده لدى الغربيّين كما أورده القاموس الموسوعيّ لعلوم اللسان، فإذا اعتبرنا أنّ السّورة هي عبارة عن نسق، وكلّ سورة تتشكّل مستقلة عن الأخرى، فإنّ ارتباطها بهذه السّور الأخرى، يتحدّد تبعا لنوع العلاقة ودرجتها من التّشابه الذي جعله المستغانمي علاقة ضروريّة لتشكّل المجموعة الأسريّة، ويمثّل الإطار الذي تتوحّد من خلاله السّور، وتنتظم في مجموعات، مهما تنوّعت درجة المشابهة وآلياتها.

ولذلك، فالارتباط الأسري يتجلّى هرميّا، تكون فيه القرابة نصيّة بين السّورة وبقيّة السّور الأخرى، وتتجسّد تلك القرابة من خلال الدّور الوظيفيّ الذي تقوم

به السّور في علاقتها بعضها ببعض، كالتّفصيل والتّكميل والشّرح والتّبرير والتّلخيص وغير ذلك من الوظائف المختلفة، والأساليب التي أشار إليها ابن عاشور كالاستئناف الابتدائي الذي يتّخذ فيه الكلام اللاحق وجهة غير وجهة الكلام السّابق دون أن تنقطع بينهما العلاقة،[12] ما يعني أنّ الدّور الوظيفي ملمح تنظيري له شأن في الدّراسات القرآنيّة، وهو ما يجعلنا نقرّ بالتّقاطع، مع مفهوم التّعلّق النّصي كما أسلفنا الذّكر والذي عرفه بقوله: " كلّ ما يجعلنا في علاقة جليّة أو خفيّة مع نصوص أخرى"[13] وكذلك التّجاذب لدى المستغانمي هو كلّ ما يجعل السّورة القرآنيّة في علاقة جليّة أو خفيّة مع سور أخر، وهو ما يبرّر فكرة المجموعة الأسريّة، وبعدها التّنظيريّ.

إنّ فكرة التّعلّق أو التّجاذب تفرض بطريقة أو بأخرى فكرة الأسبقيّة، وأي النّصوص اشتقّ من الآخر، وهو ما أشار إليه جيرار جنيت فيما اصطلح عليه النّص الموجود سلفا/ préexistant والنّص المولَّد/ dérivé والمستغانمي يشير في سياق تحليله إلى أسباب النّزول ومكانه، بحيث قد يتوسّع السّياق بين السّور من المجموعة الواحدة، إلاّ أنّه أثار في مواضع عدّة هذه المسألة، سواء عند حديثة عن الأدوار الوظيفيّة التي توحي بأسبقيّة هذه السّورة على تلك التي تأتي لتوضّح ما أجمل فيها أم تشرحه وتفصّل فيه، أم يُطرح سؤال في سورة يأتي الجواب عنه في سورة أخرى مثل **الفرقان والإسراء** أو **الكهف والجنّ**؛ حيث بيّن أن نسج سورة ﴿**الجنّ**﴾ هو من نسج ﴿**الكهف**﴾ والمجمل في ﴿**الأعلى**﴾ مفصّل في ﴿**طه**﴾ وهذه قاعدة نجدها

لدى المفسّـرين مفادها (شرح كلّ سورة لإجمـال مـا في السّــــورة قبلهـا)[14] فســورة ﴿آل عمران﴾ مثلما يرى، قرينة سورة ﴿البقرة﴾وهي مكمّلة لها، فتصبح ﴿البقـرة﴾ ذات ابتداء و﴿آل عمران﴾ عرضا متمّما، ما يؤكّد التّرابط والتّكامل بـين السّـورتين. مثلما أكّد ذلك السّيوطي وغيره ممن تحدّثوا عن أسرار ترتيب القرآن، وقد اسـتثمرها المستغانمي لتصبح إحدى قواعد القانون الأساس الذي تترابط مـن خلالـه السّـور وهو التّجاذب.

يتعمّق هذا الوعيّ حين تساءل المستغانمي عن خطـاب إبلـيس الـذي يتكـرّر في القرآن الكريم حين قال: "ما الكلام الـذي قالـه إبلـيس فعـلا، وفي أي سـورة"؟[15] لكنه يحيل إلى ما أفاد به علماء القرآن والتّفسير مثل ابن عاشور كتجنـب التّطويـل في الحكاية الواحدة أو أن يكون بعـض القصّـة المـذكور مناسـبا مـن الحالـة المقصـودة لسامعيها، ثمّ يعترف أنّ هذا التّفسير لا يشفي الغليل ليجيب عن سؤال فرعـيّ هـو اختلاف أقوال إبليس التي يرجعها إلى مراعـاة الجـو العـامّ للسّـورة التـي ورد فيهـا التّعبير، وإلى الخصائص التّعبيريّة التي ورد فيها التّعبير وثوبها اللّفظي العامّ[16] ليـدلّل بها على فكرة التّجاذب.

وعلى الرّغم من أنّ هذه الإشارة ومثيلاتها في الكتاب تـدلّ عـلى إمكانيّـة وجـود سورة سابقة، وسورة متولّدة عنها، لكن العلاقة التّعبّديّة التي كان عليها الباحث مع النّص القرآني في بحثه، وهو ما يظهر في تعليقاته التي تؤكّـد إعجـاز الـنّص القـرآني حالتّ دون بلورة تصوّر واضح المعالم عن هذه الفكرة، ولذلك نجده يكـرّر القـول

في مواضع كثيرة من الكتاب، واستنادا إلى فكرة المجموعة الأسريّة، بأنّ هذه السّور تصدر من معين واحد ومن مشكاة واحدة.

قد نلمح في بعض توصيفاته ما يؤكّد الفكرة وخاصّة عندما توصّل إلى أنّ سورة **الصّافّات**، تحتوي على أصول الشّبكة التي منها توزّع المواضيع والدّلالات على أخواتها **الذّاريات والمرسلات والنّازعات**،[17] وهي إشارة ذكيّة ذات بعد تنظيري حصيف، تؤكّد ما أشرنا إليه في مفهوم النّص السّابق الوجود والنّصوص المتولّدة عنه، لكنّه يكتفي بالإشارة والوصف ولا يذهب إلى التّفسير مذهب من يرى أهميّة الفكرة، ولذلك يتوجّه إلى القارئ وتسيطر الوظيفة الانفعاليّة التّأثيريّة كقوله: (**ألا فما أعظم هذا الاتساق– فانظر إلى روعة هذا الاتساق– ألا ما أعظم هذا القرآن وما أبدع أحكامه– سبحان من أنزل هذا الذّكر العظيم بهذا الإحكام الدّقيق**).

إنّه يقع في الإشكال الذي لاحظه عن الزّمخشري حين أكّد أهميّة ما بدأه ولم يواصل الحفر فيه، في قوله: "قلت لعمر الله، لقد أطلّ الزّمخشري في كشّافه عن النّبع الفياض كملمح الاتساق اللفظيّ بين السّور المتشابهة الأنساق التّعبيريّة في مطالعها ولكنه لم يواصل الحفر فيه"[18] بل يوجه بعض الانتقادات للسّابقين من المفسّرين بعد الزّمخشري ولكنهم لم يواصلوا النّهج وقضوا أحقابا في تكرير ما قاله السّابقون دونما إعمال فكّر ثاقب لماح فيما بين أيديهم من نصوص".[19] ولعل هذا ما جعله يؤكّد في المقدّمة أنّ الزّاوية التي ينظر منها هذا البحث ليست هي ذات الزّوايا التي نظر منها الذين درسوا بها علم المناسبة بين السّور والمناسبات بين الآيات.

لعلّ أهمّ ملامح هذه الزّاويّة الجديدة التي نظر بها إلى السّور، هو حديثه عن وجود نقطة بدايّة تبدأ من خلاله العلاقة بين السّورة القرآنيّة، وهي بمثابة المقولة الدّلاليّة الأوليّة أو البنيّة العميقة المسؤولة عن تشكّل الخطاب مثلما نجده في نظريّة المعنى في علم السّيميائيات، وهي مقولة دلاليّة تكون مسؤولة عن تشكّل النّص من خلال مجموعة من الاستثمارات التي تحدث عن طريق مجموعة من العلاقات التي يفرضها التّشابه كالتّقاطع والتّكامل والتّناظر والاتساق يتمّ تحيينها بمجموعة من العمليات كالإثبات والنّفي، كأن يثبت التّشابه الموجود في السّور، وينفي وجوده في سائر القرآن الكريم، ولذلك تكرّرت لديه عبارات من قبيل: ولم يرد في القرآن كلّه و وهذه الصّيغ تختص بها هاتان السّورتان ولا توجد في بقيّة القرآن إلخ...

إنّ توالد هذه العمليات وتناسلها في السّور، هو ما يجعلها تتشكّل في هيئة مجموعات تؤطّرها حقول دلاليّة معيّنة، وهذه المنهجيّة نجدها تتقاطع إلى حدّ ما مع تنظير **غريماس** لتشكّل الدّلالة في النّصوص السّرديّة، في حديثه عن وجود بنيّة عميقة يتولّد منها النّص، ثمّ يتمّ استثمارها وفق عمليات تقوم على تكّرار وحدات تشكّل أقطابا دلاليّة هي ما سمّاها النّظائر، وهذا التّكرار سيكون مسؤولا عن انسجام الخطاب كما يبدو في بنيته السّطحيّة.

إنّ هذا التّقاطع الذي نشير إليه يؤكّد ضرورة تغيير آلياتنا القرائيّة في الدّراسات القرآنيّة، فنستفيد من نتائج العلوم ونختار منها ما لا يتعارض مع طبيعة النّص القرآني المقدس، ومقاصد الشّريعة، لكي يقدّم الباحث في هذا المجال دراسات

أخرى تجدّد رؤيّتنا لهذا النّص بما يتماشى مع فكرة صلاحيّته لكلّ زمان ومكان، وفي ضوء فكرة التّدبّر ذاتها التي ليست حالة إيمانيّة تعبّديّة، فحسب، بل، علاقة تفكّريّة وحالة وعيّ بالنّص القرآني، ولذلك يمكن للقارئ أنّ يعثر في تدبّره على ظواهر أخرى، تحدّدها أفعال الكلام مثلا، أو الذّات المتكلمة في الخطاب القرآني أو حتى السّياقات المرتبطة بالسّور، وكذا نوع المتلقي الموجّه إليه الخطاب، ومن هنا يمكن أن يصبح التّجاذب مقولة تفرض نموذجها التّحليلي بحسب كلّ باحث واستنادا إلى مرجعيّاته وأدواته التّحليليّة القائمة على التّصنيف والوصف والمحاججة.

إنّ التّجاذب كقانون نظري، يمكن اعتماده للتّنظير للسّورة القرآنيّة، ولئن أبان عن صلاحيّته، إلّا أنّه مفهوم من الاتّساع بحيث لا يمكن التّحكّم في تحديد الظّواهر التي تتجاذب من خلالها السّور لفظيّا ومضمونيّا، وخاصّة إذا أخذنا في الاعتبار طبيعة السّياقات التي ارتبطت بالسّور القرآنيّة قديما كالسّياق السّببي والظّرفي، وكذا السّياقات التي تمّ فيها النّظر إليها في تاريخ تلقّيها لدى علماء القرآن جميعا من مفسّرين وعلماء اعجاز ومتصوّفة وما تفرضه أيضا في العصر الحديث من تغيّر الزّمان والمكان؛ ما يعني وجود مجموعة لا متناهيّة من السّياقات الممكنة[20] وخاصّة إذا سلّمنا بانفتاح التّدبّر الذي يستدعي من كلّ متدبّر حالة سياق واقعي تضاف فيه دلالة جديدة في كلّ مرّة، شرط توافقها مع مقاصد القرآن، وخاصّة تلك الجهود التي ينصرف أصحابها لحلّ مشكلات دلاليّة متعلّقة بمضامين يكون الباب فيه مفتوحا.

أشار المستغانمي إلى أنّ محاولة الإلمام بكل سور القرآن أمر عسير جدّا وهو ما يتماشى مع ما أكّد عليه علماء القرآن مثلما نجده لدى السّيوطي أيضا في قوله: "وأعلم أنّه ما من نوع من هذه الأنواع إلّا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثمّ لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من كلّ نوع على أصوله والرّمز إلى بعض فصوله، فإنّ الصّناعة طويلة والعمر قصير وماذا عسى أن يبلغ لسان التّقصير"؟[21]

قد يقول قائل إنّ مشروع الرّجل لا يختلف عن الجهود التي قام بها علماء القرآن حين أكّدوا أنّ كلّ سورة منها (تشتمل على وحدات معان تشبه حلقات مترابطة مشمولات بحلقة أكبر منها وهي داخلة فيها ومتعلّقة بها، ولا يشترط في كلّ حلقة موجودة على مسير خطّ النّص أن تكون مرتبطة بالتي قبلها مباشرة كما نعرف في حلقات السّلسلة التي هي في الحبل، بل قد يكون الارتباط مباشرة بالحلقة الكبرى التي هي أساس الموضوع، أو بحلقة دونها قد سبقت وليست هذه الحلقة المباشرة في تسلسل وصف الحلقات).[22]

فما وجه الادعاء الوارد في مقدّمة الرّجل بأنّ عمله مختلف عما قدّم من قبل، وبأنّه يؤسّس لرؤيّة جديدة هي جزء من علم مقارنات السّور؟ فهل كان ذلك نتيجة تردّد في نفسه لإيمانه بأنّ منطق المقاربات يوقع في التّلفيق منهجيا مثلما رأى ذلك أبو القاسم حاج حمد، لأنّها في عمقها المنهجيّ لا ترقى لبناء نظريّة، أم أنّه راجع لاكتشافه المقولة المولّدة للتّرابط بين الآيات وهو قانون التّجاذب، النّاظم النّظري الذي يمكن تعميمه ليشمل كلّ سور القرآن، بعد اكتشاف حالات أخرى يتحقّق

بها ومستويات أخرى للتّحليل تنسجم مع طبيعة السّور وموضوعاتها. وخاصّة إذا علمنا أنّ الباحث أشار من خلال تحليلاته إلى أنّ نقطة التّجاذب قد تنطلق من المطالع والفواصل والأنساق التّعبيريّة، ولكنّها مؤشّرات فقط ؛ لأنّ التّجاذب يمكن أن يبدأ من أي منطقة من السّور كما أنّه يبدأ من سورة أخرى تسبق سورة أخرى أو تكون لاحقة لها زمنيّا، بل قد يمتد إلى سور أخرى، قد لا تنتظم في مجموعة أسريّة، كما تجلّى في قوله: "وحين أقول إنّ سورة الصّافات اشتركتا في المركّب الوصفي (سلطان مبين) لا يعني أنّ هذا التّعبير لم يرد في القرآن الكريم وإنّما ورد في سور أخرى لمقتضيّات أخرى"،[23] وهي ملاحظة قد تجيز توسيع مفهوم التّجاذب ليشمل كلّ سور القرآن، وحينها يتعيّن البحث عن الظّواهر التي يتحقّق بها، وهي نفسها المقتضيات الأخرى التي ألمحنا إليها سابقا، من إمكانيّة وجود سياقات لا متناهيّة ترتبط بطبيعة الخطاب القرآني، وينبغي لمتدبّر القرآن الاشتغال في إطارها وفق ما تمليه عليه كفايته التّحليليّة والتّأويليّة.

4-**الإعجاز أفقا معرفيا:** يموضع المستغانمي أطروحته ضمن بحوث الإعجاز بل إنّه يؤكّد في المقدّمة أنّ موضوع هذه المقاربة هو الإعجاز اللغويّ المتعلّق بتشابك المضامين وتقاطع الأثواب اللفظيّة للسّور القرآنيّة، ثمّ يفترض اعتراضا من قارئ يتساءل عن السّبب الذي جعله يدرج هذا النّوع من الدّراسة ضمن البحوث التي تهتمّ بالإعجاز ليجيب بمثال يثبّت من خلاله أنّ الإنسان عاجز عن الإتيان بمثل كلام الله ونستنتج بعد هذا، ومن خلال البحث كلّه، أنّه سعى إلى تحقيق الهدف

الأسمى من هـذه الدّراسـة، التـي تقـوم عـلى (توطيـد الإيـمان في قلـوب المـؤمنين وتبرهن بالأدّلة القاطعة والحجج السّاطعة، بأنّ هذا القرآن هو كلام الله المعجز).[24]

غير أنّ هذا الهدف يثير إشكالا من عدّة أوجـه، أهمّهـا؛ أنّ فيـه مـن العمـوم مـا يصطدم مع خصوصيّة مشروعه، فهو يدفع إلى التّساؤل كيف يتمّ الجمع بـين طـرح أكاديميّ عميق يفهمه المتخصّصون؛ وتخصيص المؤمنين عامّة بالإقنـاع بـأنّ القـرآن كلام الله المعجز؟ وهذا النّوع من المشاريع ينبغـي أن يوجّـه إلى الرّاسـخين في العلـم الذين يطلبون الوقـوف عـلى أسرار التّنزيـل وأوجـه إعجـازه، الـذي لا يمكـن أن ينحسر في لغته مثلما أشار إلى ذلك مالك بن نبي، حين لاحظ التّعارض القـائم بـين الفهم التّقليدي للإعجاز القائم على الأسلوب العربيّ الرّفيع وواقع المسلم المعـاصر وخاصّة في البلاد غير العربيّة الذي لا يمكنـه أن يـوازن موضـوعيًا بـين آيّـة قرآنيّـة وفقرة موزونة أو مقفاة من أدب العصر الجاهليّ، لأنّنا لم نعد نملك في أذواقنا عبقريّة اللّغة العربيّة الذين يراهن دارسو الإعجاز عليها وعلى متذوق اللّغة العربيّة الـذي لم يعد مثلما كان من قبل.[25]

غير أنّ البحث في قضايا الاعجاز يبقى توجّها مشروعا، فبفضله تمّ الكشف عن الكثير من الحقائق المتعلّقة بلغة القـرآن الكـريم وجماليّـات أسـلوبه في التّعبـير وأداء المعنى، وتبعا لذلك وضعت نظريّات مهمّة كنظريّة النّظم للجرجاني مـثلا، ولـذلك فنتائج مثل هذه الكشوفات تتجاوز نطاق البحث المتعلّـق بـالقرآن الكـريم إلى فهـم منطق اللغة العربيّة وقـدراتها التّعبيريّـة وجماليّاتهـا البلاغيّـة والشّـعريّة. ونعتقـد أنّ

تفكير المستغانمي في قضيّة الاعجاز يبقى مهمّا، ما لم يتحوّل الكشف عن معجزة القرآن البيانيّة والبلاغيّة إلى هدف تربويّ إيمانيّ لا شكّ في نفاسته، لكنّه لا ينبغي أن يكون هدفا للمشروع وإنّما ثمرة له يجنيها المتدبّر في كلام الله.

ولذلك، فإنّ الإشكال الذي أشرنا إليه آنفا قد تتلاشى حدَّتُهُ بعد معاينة البحث حيث لاحظنا الهدف التّربويّ يبرز في نتائجه، على الرّغم من أنّ الطّابع التّربوي للنّتائج، لا يمكن للقارئ من اختبارها وفحصها، بل يدفعه؛ إمّا إلى الاعتراف بذلك، أو إنكاره لأنّه من مسائل القلب التي لا تملك العلوم فيها شيئا؛ فقد أدرك الكفار أنّ القرآن كلام الله ووقفوا على آياته المعجزات ومع ذلك أنكروه، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعدوانا واستكبارا عن المعجزة مع أنّها قائمة.

لا شكّ أنّ اكتشاف مفهوم الإعجاز من القرآن الكريم من أجل توصيفه كان حدثا تنظيريّا مهما لدى علماء القرآن، لما وفر من جهود في مجال الدّراسات القرآنيّة امتدّت ليكون لها تأثير واضح في مختلف المعارف التّراثيّة، من نحو وبلاغة ونقد وعلم أصول وتصوّف وفلسفة، وغيرها. وقد ظلّ النّص القرآني هو النّص المطلق الذي انبثقت عنه، ومن التّأمل فيه كلّ هذه المعارف، وظلّ الإعجاز جهازا معرفيّا معجزا يمارس سلطته ويُوجّه فهم الدّارسين للنّص القرآني، كما ظلّ ولا يزال يشتغل كأفق انتظار، يحدّد طريق التّلقي، ويفرض محاذيره، ويصوغ الباحثون من خلاله مقايس القراءة والتّلقي، وتقنين التّدبّر الذي أراده الله منفتحا متكوثرا بتكوثر العقول والفهوم وتغيّرات الزّمان والمكان، وبما لا يتعارض مع طبيعة الوحيّ فيه.

وعلى الرّغم من أنّ مفهوم الإعجاز، دلَّ على وجـود وعـي نظـريّ ظـلّ يشـتغل لدى دارسيّ القرآن، إلاّ أنّه ظلّ يشتغل كجهاز معرفيّ يقـول إنّ الـنّص القـرآني غـير قابل للتّفكير فيه خارجه، وقد أكّد المستغانمي ذلك، حين افترض سؤال من يسـأل: "أوَ كلَّما فكّر مفكّر أو كتب كاتب عن الذّكر الحكيم؛ يُعد من الإعجاز؟" وكان قـد أجاب عنه مسبقا بإقراره بأنّ دراسـته تنـدرج في هـذا المجـال، عـلى الـرّغم مـن أنّ العنوان لا يصرّح بذلك وأدرجه في علم مقارنات السّور.

هل يمكن إيعاز خلو التّراث العربيّ الإسلاميّ إلى دراسـات مسـتقلة في التّنظـير إلى سلطة مفهوم الإعجاز الذي أعجزهم عن بلورة نظريّة للقرآن الكريم؟

لقد بدا الإعجاز، مفهوما مؤسّساتيّا؛ تبنّته المؤسّسة الدّينيّة، وظـلّ يـؤطّر عمليّـة البحث في القرآن الكريم، واقترن مع مفهوم التّدبّر الذي ذكره القرآن الكريم ووجـه إليه أولي الألباب، وتمّ تقنين قوانين اشتغاله، التي امتدّت إلى العصـر الحديث ليعـبر ذلك عن سؤال مضمر مفاده كيف يمكن أن نوفّق بين كون الـنّص القـرآنيّ معجـزا وأن نطلق العنان للعقل لكي يتدبّر في عبقريّة هذا الإعجاز؟ ولذلك حصـل الخلـط بين التّدبّر كعمليّة تفكير وتأمّـل مفتوحـة تختلـف مـن قـارئ عـلى آخـر بـاختلاف الآليّات ومقتضيات الزّمان والمكان، والنّصّ القرآني المعجز الذي هـو محـلّ دراسـة والوعيّ بأنّ إعجازه هو الذي يضمن انفتاح التّدبر، وأنّ الله صرف النّـاس أن يـأتوا بمثله ولم يصرفهم عنه بأن يعجزهم عن التّدبّر فيـه، بـالتّفكير المنطقـي للوصـول إلى دلالات جديدة تحتملها مقاصد القرآن، بما منحه لبعضـهم مـن قـدرة عـلى التّفكـر

والتّأمل، مثلما أقرّه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

وفي مشروع المستغانمي علامات تدلّنا على طبيعة المسافة الفاصلة بين إعجاز النّص القرآني والانفتاح المقنّن لفعل التّدبّر، ولعلّها المسافة نفسها بين المنهجيّة التي يفرضها علم مقارنة السّور، والتّدبّر الذي تفرضه المقاربة التّفسيريّة.

خاتمة: في ظلّ غياب نظريّة كليّة للقرآن الكريم، قارب المستغانمي السّورة القرآنيّة، مقدّما مقترحا تطبيقيّا دلّل به على معالم رؤيته التّأصيليّة التي قدّم لها في مدخل الكتاب، القائمة على مفهوم التّجاذب. ويمكن من طرحه، هذا، استنباط قواعد صنافيّة تخصّ طبيعة السّورة القرآنيّة استنادا إلى سمات لغويّة أسلوبيّة وأخرى مضمونيّة، وهو الأمر الذي يمكننا من تعميم الطّرح، في تقصّي السّور القرآنيّة انطلاقا من المقولة الدّلاليّة الأساسيّة التي تشتغل كبنيّة عميقة تتمفصل من خلالها كلّ العلاقات والعمليات الممكنة التي تشتغل من خلاله سور القرآن الكريم.

– ولذلك يمكن اعتبار هذا المشروع جزءا من توجه حداثي للتّعامل مع تفسير القرآن الكريم ومحاولة التّنظير للسّورة القرآنيّة أملا في استنباط نظريّة متكاملة للقرآن الكريم. ومثل هذه الدّراسة، ستمكّن الدّراسات القرآنيّة، وبخاصّة ما له علاقة بالإعجاز من أن توجد لنفسها إجراءات موضوعيّة علميّة، يمكن أن توازي منظومة المفاهيم والنّظريات المعاصرة، بل يمكن أن تتجاوزها نظرا لطبيعة النّص القرآني المعجزة؛

– لا شكّ أنّ هناك معايير مقنعة في الدّراسات القرآنيّة التّراثيّة المختلفة سواء لدى علماء الإعجاز أم المفسّرين، ذات أبعاد أسلوبيّة بلاغيّة ودلاليّة مقاصديّة أسّست مفاهيم ظلّت متفرّقة في بطون هذه الدّراسات نظرا للطّابع التّطبيقي الذي اتّسمت به هذه الدّراسات، وقد حاول المستغانمي استثمارها بلمّ شتاتها ليقدّم رؤية أكثر شموليّة، اكتشف من خلالها القانون المولد لدلالة السّورة القرآنيّة، هذا القانون

الذي يمكن سحبه على سور القرآن قاطبة، للكشف عن علاقات أخرى وعمليات أخرى يشتغل من خلالها التّجاذب، أملا في الخروج بنظريّة كليّة للسّورة القرآنيّة ومنها للنّص القرآني، وهو ما جعلنا نؤكّد أنّ التّجاذب الذي تتفاعل من خلاله السّور القرآنيّة التي تشكل مجموعات سوريّة هي نفسها يمكن أن تدخل في علاقات أسريّة أخرى مع سور أخرى لتشابه في وحدات معجميّة أخرى مع سور أخرى، وهو ما يجعلنا نمعن النّظر أكثر في هذه الفكرة التي تعبّر عن رؤية جديدة في تحليل الخطاب القرآني؛

– شكّلت مقولة الإعجاز سلطة، كان لها الفضل في نشأة تراث بأكمله من الدّراسات حول القرآن الكريم، غير أنّ هذه المقولة، ظلّت تمارس إكراهات على الدّارسين ناتجة عن عد التّمييز بين الإعجاز كخصيصة قرآنيّة يتميّز بها، وطبيعة التّدبر فيها الذي ينبغي أن يقدّم تحليلات علميّة لها ولا يكتفي أصحابها بتبريرها عاطفيّا حتى أصبحت فكرة مثاليّة ينبغي إنزالها إلى روح العلم لتفسيرها وتقديم قراءات ورؤى جديدة للقرآن الكريم؛

– على الرّغم من أنّ علاقة التّشابه قد وجدت في انتقاء سور بعينها وجعلها محلّ معاينة، مبرّرا موضوعيّا للإقناع بها، إلّا أنّ انتفاء التّشابه في المطالع والفواصل والأنساق التّعبيريّة، في سور أخرى من القرآن الكريم، سيفتح الباب للتّساؤل عن علاقة الاختلاف التي تؤسّس لها عبقريّة التّنوّع في المطالع والفواصل في بقيّة السّور

ولعلّ بعض عبقريّة القرآن وإعجازه متأتيّة من هذا التّنوّع، الأمر الذي يدعونا إلى الكشف عن تجليّات التّجاذب في المختلف وليس، فقط، في المتشابه والمؤّتلف؛

- نتيجة التّقاطعات التي لاحظناها في هذه الدّراسة مع بعض المفاهيم المعاصرة، مثل نظريّة التّعاليات النّصيّة ونظريّة المعنى في السّيميائيات، والتي لا نجزم أن تكون من مرجعيّات الباحث الصّامتة، تبدو ضرورة الاستفادة من نتائج العلوم والنّظريات الغربيّة المعاصرة ملحّة، واختيار ما يتناسب ومقاصد النّص القرآني ودون تجاوز طابع الوحيّ فيه، كاعتباره ظاهرة تاريخيّة واسقاط المناهج الغربيّة بطريقة آليّة مثلما عكف على ذلك بعض محلّلي الخطاب القرآني المعاصرين؛

- كان التّنظير للسّورة القرآنيّة في هذا الكتاب هاجسا مثلما ورد في مقدّمته، غير أنّ الحسّ الإيماني التّعبدي كان جليّا واضحا في مفاصل الكتاب، وكأنّي بالباحث قد تلبّسته بعض النّفحات الايمانيّة، وتجلّت خاصّة من خلال النّتائج التي حال هذا الحسّ دون تبلورها بطريقة موضوعيّة واضحة، فكانت شحيحة غلب عليها التّعميم والانطباعيّة والبعد التّضامني مع القارئ الذي كان هدفا بالنّسبة للباحث بالتّأثير فيه من أجل إقناعه أنّ القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز، ويبدو أنّ النّتيجة قد تحقّقت في هذه الدّراسة التي بدت دراسة تعبديّة بامتياز؛

- قامت المنظومة الاصطلاحيّة واللّغة الواصفة في هذا الكتاب على بعد بلاغي واضح تجلّى، من جهة، في كثرة المصطلحات التي قامت بدور المترادفات التي كان يقدّمُ بها توصيفاته للعلاقات بين السّور، وكان يستبدل إحداهما بالأخرى، أو

يسوق بعضها للتّدليل على طبيعة الظّاهرة، ومن جهة أخرى، نلاحظ البعد الاستعاريّ الذي يبدأ من العنوان في تسميّته بجواهر الدُّرر إلى تمثيلاته للنقطة التي يبدأ منها التّجاذب بالمعين والينبوع والثّوب والسّلالة والشّجرة كقوله: "تجعل كلّ ذي لبّ سويّ يحكم بأنّها تتفجّر من ينبوع واحد، وهي أغصان جذع واحد تفتّحت أكمامها وأينعت أوراقها بشتّى الأشكال والألوان" ص364؛

- إنّ هذا الملمح البلاغي هو ما جعل المنظومة الإصلاحيّة تبدو على تنوّعها تؤدي الدّلالة نفسها، وقد تداولها علماء القرآن إلاّ أنّ دورانها في مجال تحليل الخطاب ولسانيات النّص والسّيميائيات، يشير إلى تخصيصها بمفاهيم مضبوطة لا يمكن مثلا أن يتساوى فيها الاتساق والانسجام أو التّناظر والتّشابه، والإيقونة واللفظة لكنها بدت في الكتاب أقرب إلى المترادفات؛

- لقد عنوّنا بحثنا بـ: نحو نظريّة للسّورة القرآنيّة، ولامسنا هذا الهاجس التّنظيري في هذا المشروع المنفتح الذي يحتاج إلى تعميم قانون التّجاذب على بقيّة السّور القرآنيّة، من أجل تقديم نظريّة كليّة متماسكة تقربنا من شخصيّة السّورة القرآنيّة. ولذلك لم نجد من كلمة نختم بها هذا المقال حول جهد المستغانمي سوى كلمة استعرناها من محمّد الدّراز في حقّ مالك بن نبيّ في تقدّيمه كتاب الظّاهرة القرآنيّة قال فيها: "فعساك تجد أعظم ثوابك في ذلك النّجاح المعنوي الذي يستحقه كتابك. وعسى نداؤك المنطقي والشّاعري الذي أطلقته ليلامس أصحاب العقول النّيرة، يتسرّب إلى عميق نفوسهم فيبعث فيهم من جديد حياة القلب والعقل معًا".

الهوامش:

[1] – ينظر جواهر الدُّرر، في علم مقارنات السّور، رؤية تأصيليّة للرّوابط المضمونيّة واللفظيّة لمجموعات الأسر القرآنيّة، ط:1، دار ابن كثير، بيروت 2018، ص:16.

[2] – ينظر أبو القاسم حاج حمد، جدليّة الغيب والإنسان والطّبيعة، الإسلاميّة العالميّة الثّانيّة، ط1 دار الهادي، 2004، ص: 123.

[3] – ينظر جواهر الدُّرر، المقدمة، ص:15.

[4] – م ن، ص: 9.

[5] – السّيوطي الإتّقان في علوم القرآن، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب القاهرة 1984، ج4، ص: 209.

[6] – عبد الرّحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد التّدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ، ط1، دار القلم بيروت، 1980، ص:9.

[7] – يراجع الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمّد أبو الفضل، ط1، دار المعرفة، بيروت 1957، ج2، ص:173.

[8] – جواهر الدُّرر، ص:89.

[9] –م ن، ص: 115.

[10] – جلال الدّين السّيوطي، أسرار ترتيب سور القرآن، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع، ط 1 2003 ج:1، ص:75.

[11] – ينظر جاك بيرك: القرآن وعلم القراءة، دار التّنوير، ط1، بيروت، 1996، ص: 15.

[12] ـ ينظر محمّد خطابي: لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثّقافي العربي، ط1 1991م، ص: 188.

[13] –Gérard Genette: Palimpsestes، Editions Seuils، Paris 1982,p :10-11.

[14] ـ السّيوطي، أسرار ترتيب سور القرآن، ص: 63.

[15] – جواهر الدُّرر، ص: 69.

[16] – ينظر، م ن، ص: 68.

[17] – جواهر الدُّرر، ص: 376.

[18] – جواهر الدُّرر، ص: ص383.

[19] – جواهر الدُّرر، ص: ص.383

[20] – ينظر دريس صالح، المبادلات السّياقيّة في كتاب البرهان في علوم القرآن للزّركشي، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي-وزو، 2012، ص: 32.

[21] ـ الزّركشي، البرهان ج1، ص:27.

[22] – ينظر أحمد رحماني، التّفسير الموضوعيّ ـ نظريّة وتطبيقا، مطبعة عـمّار قـرفي، منشـورات جامعـة باتنة، 1996، ص: 87.

[23] – جواهر الدُّرر، ص:386.

[24] – جواهر الدُّرر، ص:22.

[25] – ينظر، مالك بن نبيّ، الظّاهرة القرآنيّة، ط4، دار الفكّر، دمشق، 2000، ص:57.

ملاحظات منهجيّة في ضوء علوم القرآن لكتاب (جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّوَر لـ أمحمّد صافي المستغانمي)

أ. د. نوار عبيدي

ج. باجي مختار، عنابة

مقدمة: فاجأ الباحثُ الجزائريّ الدّكتور أمحمّد صافي المستغانمي[1] السّاحة العلميّة التي تُعنى بالدّراسات القرآنيّة بمؤلّف بديع ماتع ودقيق يحمل نظرة جديدة في دراسة القرآن الكريم لصيقة بعلوم القرآن والتّفسير الموضوعيّ. النّظرةُ تنِمُّ عن تطبيق منهج جديد لفهم النّص القرآني، وتريد أن ترقى إلى مصاف (العلم) بمبادئه وأسّسه ومنهجه التّحليلي، سماه صاحبه الدّكتور أمحمّد صافي: **علم مقارنات السُّوَر**. جاء ذلك إثر صدور كتابه الموسوم: (جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّوَر، رؤيّة تأصيليّة للرّوابط المضمونيّة واللفظيّة لمجموعات الأُسَر القرآنية). ونحن في هذه الورقة سوف نقدّم ملاحظات حول النّظرية والمصطلح والمنهج الذي جاء به المؤلّف، وذلك في ضوء المجهودات والدّراسات التي تشتغل في حقل علوم القرآن الكريم من حيث تفسيره والبحث عن أوجه الإعجاز فيه. هي آراء واقتراحات بالنّظر إلى مبادئ العلوم التي عنيت ببديع ألفاظ القرآن وتراكيبه ونظّمه وترتيبه وإن كانت هذه النّظرة السّريعة قد تغمط البحث حقه؛ لكن يكفي الاجتهاد في الملاحظة

والاقتراح. فإن أصبنا فذلك توفيق من الله تعالى، وإن جانبنا الصّواب فحسبنا اجتهادنا لنحصل على الأجر الواحد.

لمحة سريعة حول كتاب جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّوَر:[2] يتكوّن جواهر الدُّرر من مقدّمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، في المقدّمة حاول الباحث على مدى ستّ عشرة صفحة أن يمهد لنظريته (علم مقارنات السُّوَر) بالحديث عن جهود القدماء في هذا النّوع من الأبحاث التي عنيت بالألفاظ والنّظم والتّرتيب والإعجاز وبخاصّة علم المناسبات بين الآيات والسُّوَر، ثمّ قدم رؤيته الجديدة في التّأصيل لعلم مقارنات السُّوَر مؤكّدا قدرة هذا المنهج على اكتشاف كثير من أسرار القرآن الكريم. في المدخل تَحَدَّثَ الباحث عن آليات المقارنة بين الألفاظ حيث اقترح مصطلح (التّجاذب اللفظيّ) لكي يكون أداة للمقارنات بين السُّوَر وذلك عوض مصطلح (المصاحبات اللغويّة أو المتلازمات)، وقد قدّم الباحث أمثلة توضيحيّة عن التّجاذب وعلاقته بالمتشابه اللفظيّ وكيف يشتغل هذا المصطلح للتّفرقة بين الدّلالات المختلفة القابلة للموازنة والتّقابل خاصّة في حقل الاشتقاق. وفي الفصل الأوّل طَفِقَ الباحث في المقارنة بين السُّوَر المتشابهة في المطالع كسُوَرِ الحمد، والمسبحات، وتلك التي مطلعها (يا أيّها النّبي) وما شابهها، وواصل الباحث مقارناته في الفصل الثّاني ليخصصه للسُّوَرِ المتشابهة في الفواصل كسورَتَيْ (**الإسراء والفرقان**) وسورَتَيْ (**الكهف والجنّ**) وغيرها، أمّا الفصل الثّالث

فخصصه للسُّوَرِ المتشابهة في مطالعها بأنساق تعبيريّة متشابهة كسورَتَيْ (**القارعة والحاقة**). وفي الأخير رصد لنا الباحث جملة من النّتائج أودعها في خاتمة الدّراسة.

في هذا المؤلّف الذي يقع في ثماني وثمانين وأربع مئة صفحة؛ عرضٌ مفصل لعلم جديد هو علم مقارنات السُّوَر، وبعد الاطلاع على مضمونه وتقليبه يُمْنَةً ويُسْرَةً فرض علينا البحث طرح الأسئلة الآتية:

هل لهذا العلم أصول في علوم القرآن؟

1. ما هي مبادئ وأسّس هذا العلم ومراحل تحليله المقارن؟
2. وما الجديد الذي أتى به هذا العلم؟
3. وهل يمكن أن يفتح هذا العلم أبوابا أخرى في فحص نصوص القرآن الكريم؟

هذه الورقة البحثيّة تحاول بإذن الله تعالى الإجابة على كلّ تلك الأسئلة؟

ميدان علم المقارنات في الدّراسات القرآنيّة:

أوّلا بالنسبة لمصطلح (علم المقارنات): منذ القديم يُطْلِقُ علماؤنا على أي ميدان بحثي في علوم القرآن مصطلح العلم فيقولون علم القراءات، وعلم النّاسخ والمنسوخ، وعلم أسباب النّزول، وعلم المناسبات وغيرها كثير، فمن هذه الوجهة يكون علم مقارنات السُّوَر علما قرآنيا. والظّاهر أن مصطلح (المقارنة) في علوم القرآن مصطلح جديد، ولم أجد له أثرا عند السّابقين ما عدا إشارة لغويّة بسيطة جدا لابن أبي الأصبع عند حديثه عن بدائع القرآن التي جعلها نحو مئة نوع ذكر منها:

... القَسَمُ، واللّف، والنّشــر والمُشـاكلة والمُزاوجـة، والمبالغـة، والمطابقـة، والمقابلـة والموازبة، والمراجعة والنّزاهة، والإبداع **والمقارنة**، وحسن الابتـداء، وحسـن الختـام وحسن التّخلص والاستطراد.[3] وكلمة المقارنة هذه لم تأّخذ معنى المصطلح المقصود في موضوعنا.

وأصل المصطلح لغة من مادة (ق ر ن)، ولهذه المادة أصلان: (أحدهما يـدل عـلى جمع شيء إلى شيء، والآخر شيء ينتأ بقـوّة وشـدّة. فـالأوّل: قارنـت بـين الشّـيئين. والقِران: الحبل يقرن به شيئان، والأصل الآخر: القَرْنُ للشّـاة وغيرهـا وهـو نـاتئ قوي).[4] وفي التّاج: (قارَنَ الشيءَ مُقارَنَةً وقِراناً: اقْتَرَنَ بِهِ وصاحَبَه).[5] وأقرب تعريف لموضوعنا ما قاله أحمد مختـار عمـر: (قـارن الشّـيءَ بالشّـيء، قـارن بـين الشّـيء والشّـيء: وازَنَهُ به، قابل بينهما، وازن بينهما، قارن نصوصًا بعضها بـبعض... قـارن كاتبًا بآخر).[6]

فالمقارنة بمعنى الموازنة والتّقابل؛ إجراء عقلي يعرفه الإنسان منـذ القـديم ويكـاد يكون عملا إنسانيا طبيعيا عفوّيا يريـد الإنسـان مـن خلالـه الوصـول إلى الأجـود والأفضل من الأشياء والأفكار، أمّا فكريا فقد ذَكَرَتْ كثير من المصادر أنّ أفلاطـون وأرسطو ومن بعدهما من المفكرين والعلماء من كلّ الحضارات؛ لجأوا إلى المقارنـة في الجدال والحوار. أمّا المقارنة كمنهج فقد عرفتها علوم كثيرة وأصـبحت مـذهبا قـائما بذاته، يؤمن به أغلب العلوم لأنّه السّبيل الوحيـد لمعرفـة الـذّات والنّتـائج العلميّـة القائمة على المنافسة والسّرعة والإبداع، فأنت لا تعرف قيمة إنتاجـك العلمـيّ إذا لم

تقارنه بإنتاج الآخرين، ويعتقد كثير من الدّارسين أنّ المقارنة والتّقابل ضروريان لكلّ البحوث العلميّة مهما كان نوعها بما فيها العلوم التّجريبية. ويرى آخرون أنّ المنهج المقارن نتج عن تراكم معارف كثيرة أغلبها منبثق عن المنهج التّاريخيّ كما وقع في الدّراسات اللسانيّة المقارنة، والأدب المقارن، وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانيّة. وفي بحثنا هذا لم نَقِفْ بدقة على تطبيق واضح للمنهج للمقارن في الدّراسات القرآنية ما عدا بعض الإشارات التي لا تسمى منهجا بقدر ما تسمى أسلوبا، ومثل ذلك في علوم التّفسير حيث أكد فهد بن عبد الرّحمن الرّومي أنّه لا توجد مناهج في تفسير القرآن بل أساليب فقط، وحصر أنواع التّفسير في التّفسير التّحليلي، والتّفسير الإجماليّ، والتّفسير المقارن، والتّفسير الموضوعيّ، (أما التّفسير التّحليلي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النّظم القرآني والسّير معه سورةً سورةً وآيةً آيةً، وهو النّمط الذي سلكه سائر المفسّرين القدامى إلاّ القليل النّادر. وأمّا التّفسير الإجماليّ فهو أن يلتزم المفسّر تسلسل النّظم القرآني أيضا سورةً سورةً، إلاّ أنّه يقسم السّورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كلّ مجموعة بتفسير معانيها إجمالا، مبرزا مقاصدها موضحا معانيا مظهرا مراميها... وأمّا التّفسير المقارن فهو أن يعمد المفسّر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة واحدة يورد أقوال المفسّرين السّابقين ويوازن بينهما ويقارن، وينقد الضّعيف ويؤيّد الصّحيح. وأمّا التّفسير الموضوعيّ فهو أن يلتزم المفسّر موضوعا قرآنيا واحدا يجمع الآيات الواردة فيه ليتناولها بالتّفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك – حسب جهده – إلى حكم القرآن النّهائي

في موضوعه الذي يتناوله).[7] نقول هذا لأنّ الباحث أمحمّد صافي اعتبر المقارنة بين السُّوَرِ منهجا حين قال: "ولا أبالغ إذا قلت إنّ هذا المنهج في تحليل النّصوص السُّوَر القرآنية سيفتح أبوبا من التّفكير لدى الأجيال التي ستأتي بعدنا"[8] وهذه دعوة صريحة لجعل الدّراسات المقارنة للآيات والسُّوَر منهجا جديدا في حقل علوم القرآن علّه يفتح أبوابا من التّفكير الجديد تستفيد من عطايا القرآن وأسراره التي لا تنفد،[9] وقد علَّلَ ذلك بقوله: "لأنّ لكلّ عصر صولاته وجولاته، ولكلّ زمن تقنيّاته ووسائله، ولكلّ جيّل مبتكراته ومخترعاته وأساليبه التي يقرأ بها هذا النّص المبدع."[10] والحقّ أنّ هذا التّبرير كافٍ لبعث تفكير جديد يسعى إلى اكتشاف مزيدا من دُرَرِ القرآن الكريم.

فالواضح إذن أنّ (علم مقارنات السُّوَر) ينتمي إلى علوم القرآن الكريم لأنّ علوم القرآن هي (تلك المباحث الكليّة التي تتعلّق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، وغير ذلك)[11] وجواهر الدُّرر لـ أمحمّد صافي يبحث في التّفسير دون شكّ، لأنّه يسعى إلى شرح وكشف أسرار الآيّ بإجراء المقارنة بين الألفاظ المتباعدة في السُّوَر. ونوع التّفسير الذي يمكن إلحاق (علم مقارنات السُّوَر) به هو التّفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم الذي يتناول جانبا واحدا من جوانب القرآن الكريم بالبحث والدّراسة كدراسة المجاز في القرآن، أو المفردات، أو القَسَم،[12] وقد عني بالتّفسير الموضوعيّ جملة من العلماء (فألَّف ابن القيّم كتابه: التّبيان في أقسام القرآن وألَّف أبو عبيدة كتابًا عن مجاز

القرآن، وألَّف الرّاغب الأصفهانيّ في مفردات القرآن، وألَّف أبو جعفر النّحـاس في النّاسخ والمنسوخ، وألَّف أبو الحسن الواحدي في أسباب النّزول، وألَّف الجصـاص في أحكام القرآن، وتتابعت الأبحاث القرآنيّة في العصرـ الحـديث، ولا يخلـو واحـد منها من تفسير لبعض آيات القرآن لجانب من الجوانب."[13]

وبالإضافة إلى كلّ ذلك يمكن أن نؤكّـد أنّ (علم مقارنـات السّـوَر) لا يكـاد -حسب رأينا- يبتعد كثيرا عـن علـم المناسـبات ومختلـف مظـاهره.[14] لأنّ كتـاب جواهر الدُّرر لـ أمحمّـد صـافي اعتنـى بدراسـة ظـاهرتين قـرآنيتين: **الأولى متعلّقـة بالتّشابه في المطـالع** وهـي نوعـان: تشـابه في اللفـظ كالحمـد والتّسـبيح، وتشـابه في الصّيغة كالنّداء والقسم. **والثّانية متعلّقة بالتّشابه في الفواصـل**. ومـا أجـراه الباحـث من مقارنات لا يبتعد كثيرا عن المناسبات كما أسلفنا. لكن الباحث أمحمّدَ صافي ذكر أنّ علم المقارنات لا علاقة له بعلم المناسبات (لأنّ الدّراسـات والكتابـات السّـابقة كانت حول المناسبات بين المطالع والخواتيم، وبـين العلاقـات التـي تـربط السّـورة وسابقتها ولاحقتها في التّرتيب المُصْحَفِيِّ، ولم تتعرض لدراسة الرّوابط التـي تـربط بين السُّوَر التي تتشابه مَطالِعُها، والسُّوَر التي تتشابه فَواصِلُها، والسُّوَر التي تُمَيِّزُ كـلّ أُسْرة قرآنية، ولم تُـبْرِزْ الأثـواب اللفظيّـة التـي تَكْسُـو كـلَّ أُسْـرة، ولم تَقِـفْ عـلى الخصائص التّعبيرية التي تتفرد بها كلُّ أُسْـرة)[15] وعلى هذا الأساس أطلـق الباحـث أمحمّد صافي على بحثه صفة العلم فقال: (إنّ هذا البحث يُؤَسِّسُ عِلْـما جديـدا وهـو

علم مقارنات السُّوَر، وهو بحر لا ساحل له، عميق عُمْقَ البيان القرآني الذي صاغته العناية الإلاهيّة على أعلى مستويات الإبداع).[16]

فالذي يُمَيِّزُ بحث أمحمّد صافي عن القدماء هو البحث عن الرّوابط التي تربط بين السُّوَر التي تشترك في المطالع والفواصل، ولكن – حتى لا نبخس القدماء حقهم – يجب أن نشير إلى أنّ القدماء لم يغفلوا المقارنات بين السُّوَر والأُسَر المتشابهة، والفواصل أيضا، وكانت لديهم إشارات واضحة وأخرى خفيَّة وهي مبثوثة في التّفاسير وبعض الدّراسات الموضوعيّة للقرآن الكريم، لذلك سنذكر هنا أغلب أنواع الإجراءات التّحليلية لآي القرآن وسُوَرِهِ باعتماد آلية المقارنة والتي أجراها علماؤنا وأطلقوا على أغلبها اسم الفنّون.

ثانيا: العلوم القرآنيّة التي عنيت بالمقارنة: ذكر جلال الدّين السّيوطي (911هـ) في الاتقان أنواعا كثيرة من المباحث التي اعتمدت على أسلوب المقارنة لعل أهمها:

1. **الوجوه والنّظائر**: قال عنه السّيوطي: (الوجوه للفظ المشترك الذي يُستعمل في عدّة معان كلفظ الأمّة... والنّظائر كالألفاظ المتواطئة... وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر)[17] وقد ألَّف في الوجوه والنّظائر جملةٌ من العلماء كمقاتل بن سليمان وابن الجوزي وابن الدّامغاني وأبي الحسين محمّد بن عبد الصّمد المصري وابن فارس وغيرهم. وهذا الفنّ يحتاج إلى درايّة كبيرة في اللغة، ويلجأ دائما إلى المقارنة بين الآيات وسياقاتها لفهم اللفظة حيث

قد تأتي اللفظة بأكثر من عشرة معان ولا يُفهم ذلك إلاّ بالنّظر إلى الآيات ومقاماتها المتعدّدة. فلفظة (الهدى) مثلا لها تسعة عشر وجها، و(الصّلاة) و(الكتاب) و(السّوء) كلّها ألفاظ لها عشرات الأوجه. فلا يمكن إذن - بهذا الوجه - البحث في الوجوه والنّظائر دون أسلوب المقارنة.

2. **فواصل الآيّ**: وهي الكلمات الأواخر من كلّ آية (كقرينة السّجعة في النّثر وقافيّة البيت في الشّعر، وما يُذكر من عيوب القافيّة من اختلاف الحركة والإشباع والتّوجيه فليس بعيب في الفاصلة... والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسّجعة؛ المساواةُ)[18] وقد لاحظ كثير من القدماء اختلاف الدّلالة للفواصل في سُوَر متنوّعة، ووصف السّيوطي هذه المقارنات بالبديعة فقال: (ومن بديع هذا النّوع اختلاف الفاصلتين في موضعين؛ والمُحَدَّثُ عنه واحد لنكتة لطيفة)[19] وهذه إشارة إلى مقارنة واضحة، قال السّيوطي: (ونظير ذلك قوله في سورة التّوبة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ التّوبة، الأية: 71، وفي سورة الممتحنة: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الممتحنة، الأية: 5، وفي غافر: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ غافر، الأية: 8 إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ غافر الأية: 8 وفي النّور: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ النّور الأية: 10، فإنّ بادئ الرّأي يقتضي ﴿تواب رحيم﴾ لأنّ الرّحمة مناسبة للتّوبة لكن عبَّر به إشارةً إلى فائدةِ مشروعيّة اللعان وحكمته وهي السِّتْرُ عن هذه الفاحشة العظيمة).[20]

3. **فواتح السُّوَر:** وهي بدايات سُوَر القرآن الكريم. وقد انتبه إليها جُلُّ المشتغلين بالدّراسات القرآنية وأفردوا لها المؤلّفات النّفيسة، ومن أبرز من كتب في الموضوع من الأوائل ابن أبي الأصبع (654هـ) الذي وضع كتابه البديع (الخواطر السّوانح في أسرار الفواتح) وقد ضمنه أعاجيب هذه الفواتح التي حصرها في عشرة أنواع نذكرها هنا دون شرحها المفصل:[21]

1) الثّناء على الله تعالى: وهو قسمان: إثبات لصفات المدح وتنزيه من صفات النّقص، فالأوّل (التّحميد) في خمس سُوَر و(تَبارَكَ) في سورتين والثّاني (التّسبيح) في سبع سُوَر.

2) حروف التّهجي في تسع وعشرين سورة.

3) النّداء في عشر سُوَر.

4) الجمل الخبريّة في ثلاث وعشرين سورة.

5) القَسَمُ في خمس عشرة سورة.

6) الشّرط في سبع سُوَر.

7) الأمر في ستّ سُوَر.

8) الاستفهام في ستّ سُوَر.

9) الدّعاء في ثلاث سُوَر.

10) التّعليل في لإيلاف قريش.[22]

هذا ويجعل بعضهم هذا المبحث (أي فواتح السُّوَر) في باب (فنّ الابتداء في الكلام) وهو نوعان: حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، وكِلتا الخاصيتين عرفها القرآن الكريم (وكلٌّ منهما يتميّز عن الآخر، بَيْدَ أنّ التّمايز خَفِيٌّ يضطر كاشفه أن يتمتع بشفافيّة بلاغيّة، قلّ مثيلها)،[23] وهذه الأنواع العشرة كلها تُمَثِّلُ مجموعات متشابهة أطلق عليها الباحث أمحمّد صافي مصطلح (الأُسَر القرآنية) وهي تسمية بديعة كما سنرى.

4. **خواتيم السُّوَر:** قال عنها السّيوطي: (هي أيضا مثل الفواتح في الحُسْنِ لأنّها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمّنة للمعاني البديعة مع إيذان السّامع بانتهاء الكلام حتى يبقى معه للنّفوس تشوُّقٌ إلى ما يُذْكَرُ بَعْدُ، لأنّها بين أدعيّة ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد، ووعيد، إلى غير ذلك".[24]

5. **مناسبة الآيات والسُّوَر:** وهو أظهر العلوم وأوضحها في إجراء المقارنات بين آي القرآن والسُّوَر، وقد جعلها بعضهم من أبرز مظاهر الإعجاز اللغويّ البياني في القرآن الكريم، وهو عند السّيوطي: (علم شريف قل اعتناء المفسّرين به لدقّته وممن أكثر فيه الإمام فخر الدّين وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في التّرتيبات والرّوابط).[25] وبغض النّظر عن الذين وافقوا على هذا النّوع من التّفسير أو الذين رَدُّوه أو نبَّهوا عن التّكلف فيه؛[26] فإنّ البحث في المناسبات راقَ كثيرا من العلماء والمفسّرين وشجَّعوا عليه، ومن الذين ألفوا فيه: أبو جعفر بن الزّبير الغرناطي (708هـ) في كتابه (البرهان في مناسبة ترتيب سُوَر القرآن) والبقاعي

(885ه) في كتابه (نظم الدُّرر في تناسب الآي والسُّوَر) والسّيوطي (911ه) في كتابه (تناسق الدُّرر في تناسب السُّوَر) ومن المقارنات بين السُّوَر ما ذكره السّيوطي من أنّ عادة القرآن (إذا ذُكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدّينية في الدّنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركا، كما قال في الكهف: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الكهف الأية: 49 إلى أن قال: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ ﴾الكهف، الأية: 54 ، وقال في سبحان: ﴿ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ ﴾ الإسراء، الأية: 71، إلى أن قال: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ الإسراء الأية: 89، وقال في طه: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴾طه، الأية: 102، إلى أن قال: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ﴾ طه الأية: 114.[27] فهذه مقارنة واضحة وجلية تبحث عن الرّابط ودلالته بين كلّ هذه السُّوَر ومن إشارات السّيوطي البديعة في مقارنة السُّوَر المتشابهة في المطالع قوله: (وَرَدَ في القرآن سورتان: أولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في كلّ نصف سورة، فالتي في النّصف الأوّل تشتمل على شرح المبدأ، والتي في الثّاني على شرح المعاد)[28] والسّورتان هما النّساء والحجّ وقد تناولهما الباحث أمحمّد صافي بالمقارنة في الجواهر.

ذكرنا آنفا أن الباحث أمحمّد صافي يستبعد عن بحثه في مقارنات السُّوَر ما جاء به الأولون في المناسبات وقال إنّها لم تتعرض لدراسة الرّوابط التي تربط بين السُّوَر التي تتشابه مَطالِعُها، والسُّوَر التي تتشابه فَواصِلُها، والسُّوَر التي تُمَيِّزُ كلّ أُسْرة

قرآنية، ولم تُبْرِزْ الأثواب اللفظية التي تَكْسُو كلَّ أُسْرة، ولم تَقِفْ على الخصائص التّعبيرية التي تتفرد بها كلُّ أُسْرة. وهذا كلام صائب وصحيح لأنّ إشارات القدماء لم تذهب إلى الحَدِّ الذي ذهب إليه أحمّد صافي في جواهره كما سنرى في الفقرات القادمة بالرغم من أنّه فتح عمله البحثيّ بقضية ترتيب السُّوَر حتى شككنا أنّه لم يخرج عن المناسبة، لأنّ أغلب الذين تناولوا المناسبة أشاروا إلى مسألة وقفيّة ترتيب السُّوَر بالنّزول، أو التّرتيب الحاصل بين الدّفتين.

6. **الآيات المشتبهات:** وهي الآيات التي تشابهت في عمومها واختلفت في بعض أجزائها اللفظيّة بالحذف أو التّقديم والتّأخير، وقد عرّف السّيوطي هذا النّوع بقوله: (إيراد القصّة الواحدة في صُوَرٍ شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدّما وفي آخر مؤخّرا كقوله في البقرة:﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ البقرة، الأية: 58، وفي الأعراف:﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ الأعراف الأية: 161، وفي البقرة:﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾البقرة،الأية: 173 وسائر القرآن ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهَّ بِهِ﴾. وظاهرٌ أنّ هذا النّوع يقتضي المقارنات بين الآيات وما أكثرها، وقد أَلَّف في هذا الفنّ علماء كُثْرٌ لعل أبرزهم: الإسكافي (420ه) في كتابه (درة التّنزيل وغرّة التّأويل) والكرماني (505ه) في كتابه (البرهان في توجيه متشابه القرآن) وابن جماعة (733ه) في كتابه (كشف المعاني عن متشابه المثاني) والسّيوطي في كتابه (قطف الأزهار في كشف الأسرار).

فكلّ هذه الفنّون السّتة عُنيَتْ بأسلوب المقارنة والموازنة والتّقابل.

حاصل القضيّة أنّنا أردنا أن نثبّت أن أسلوب المقارنة ليس جديدا في الدّراسات القرآنية، وهو آلة دقيقة مبدعة وفعالة قديمة استعان بها دارسو القرآن الكريم ومفسّروه لإثبات الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وقد أثبتنا أنّ المقارنة وقعت بين الآي والسُّوَر في أغلب الأمثلة التي قدمناها. لذلك كلّه فإنّ تسميّة دراسة الباحث أمحمّد صافي بعلم مقارنات السُّوَر يُقْصَدُ بها المنهج المقارن ذاته والذي يختلف عن الوصف والتّحليل بالبحث عن الرّوابط اللفظيّة والوشائج الدّلالية التي تؤدي إلى كشف السّحر البياني المؤكّد للإعجاز. وهذا ما سنراه في الفقرات الآتية.

أسّس نظريّة مقارنة السُّوَر لــ أمحمّد صافي:

تتكئ نظريّة الباحث أمحمّد صافي في المقارنة بين السُّوَر على أمرين: الأوّل طرح خمس إشكاليّات نظريّة تبرّر علم المقارنات، والثّاني نقدُ مَنْ سبق من القدماء الذين أشاروا إلى دلالة المقارنة بين السُّوَر.

الأمر الأوّل: تمثّلت الإشكالات التي طرحها الباحث أمحمّد صافي في الأسئلة الخمسة الآتية:[29]

1. لماذا جاءت بعض السُّوَر متشابهة المطالع؟
2. لماذا قَسَّم الله سُوَر القرآن الكريم إلى مجموعات؟
3. لماذا بدأت بعض السُّوَر بأحرف مقطعة، والأخرى بألفاظ ظاهرة الدّلالة؟
4. لماذا جاءت بعض السُّوَر بفاصلة واحدة، وأخرى بفواصل متعدّدة؟

5. لماذا بدأت بعض السُّوَر بالأنساق التّعبيرية والتّراكيب اللغويّة نفسها مع اختلاف في المواد المعجميّة؟

قال أمحمّد صافي إنّ هذه الإشكالات محوريّة في بحثه، وبإمكانها أن تجيب عن فحوى علم المقارنات، ما عدا السّؤال الرّابع المتعلّق بالحروف حيث أحالنا إلى مُؤَلَّفٍ آخر يتناول قضيّة الحروف المقطعة وهو (الأساور المرصّعة في أسرار الحروف المقطعة)[30] وتفيد هذه الإحالة أن موضوع (جواهر الدُّرر) لـ أمحمّد صافي لم يبحث في الحروف المقطعة، وإنّ كنا تمنينا لو جعل للحروف المقطعة أُسَرًا، فهناك التي بدأت بـ ﴿ألم﴾، وأخرى بـ ﴿ألر﴾، والطّواسين والحواميم وأُسْرة الحروف المفردة (ص ق ن) إلخ... ولم نفهم لماذا أخرج الباحث أمحمّد صافي هذه (الدُّرر) من موضوعه وأَرْسَلَنا إلى (الأساور) بالرغم من أنّها تفتح بابا للمقارنة بالمذهب الذي يراه؟

حاصل النّظرية أنّ الباحث اعتمد على سؤالات أربعة، عدّها مهمّة في تبرير منهجه البحثي في المقارنة، والواضح أن هذه الأسئلة دارت في خلد الباحثين والمتأملين في كتاب الله منذ نزوله، فكلهم سأل وبحث عن الفواتح والخواتم والفواصل والحروف المقطعة، تجد ذلك مبثوثا في التّفاسير والكتب التي عنيت بالبيان القرآني، والأخرى التي عنيت بعلوم القرآن. إِذَنْ لماذا طرح علينا الباحث أمحمّد صافي هذه السّؤالات الأربعة؟ وهل هي كافيّة لتبرير منهجه الجديد؟ في الحقيقة أنّ الباحث يعرف جيدا أن هذه الأسئلة مشهورة ومعروفة منذ قرون، لكنّه أراد أن يوصلنا إلى فكرة دقيقة جدا، وهي وجود حِكَمٍ وأسرارٍ (وراء تشابه المطالع

وتشابه الفواصل وتشابه الأنساق التّعبيرية في المطالع، والبحث المتأني والتّلاوة المتدبرة تقودان إلى اكتشاف روابط وطيدة، وأواصر وثيقة ووشائج قُرْبى بين السُّوَر المتشابهة المطالع)،[31] فالرّجل لا يبحث فيما بحث فيه القدماء، إنّه يبحث عن تلك الرّوابط الخفيّة والأساور الذّهبية والحبال المرجانيّة التي تربط بين السُّوَر المتشابهة في المطالع والفواصل. يقول إنّ هناك نسيجا لغويا، وهندسة خفيّة تجعل السُّوَر تنتمي إلى أُسْرة واحدة، وهذا النّسيج ما هو إلاّ الثّوب اللفظيّ والأنساق التّعبيريّة التي تحمل الدّلالة السِّرَّ، والتي يبحث فيها صاحب هذا المنهج لذلك تبين لنا أن لهذه النّظريّة ثلاثة مبادئ أساسيّة وهي:

المبدأ الأوّل: توفّر الأُسَر القرآنيّة بتصنيفها وتحديدها.

المبدأ الثّاني: توفّر التّجاذب اللفظيّ بين أفراد الأسرة القرآنيّة الواحدة.

المبدأ الثّالث: البحث بآلية المقارنة عن الرّوابط التي تثبت الإعجاز البياني.

يقول أمحمّد صافي: (كلّ أُسْرة قرآنيّة لها مميزاتها التّعبيريّة، ولها وشائجها المضمونيّة، ولها أنماطها وأنساقها اللغويّة، ولها قاموسها اللغويّ الذي يميّزها. وكلّ أُسْرة قرآنية تتمتّع بذات الأوصاف التي تتميّز بها الأُسَرُ البشريّة أو الكائنات الحيّة التي تنحدر من السّلالة نفسها أو من الأرومة ذاتها).[32]

إنّ هذه الإشارة العجيبة في تشبيه الأُسَر القرآنيّة بالأُسَر البشريّة أو الكائنات الحيّة تكفي لقبول نظريّة المقارنة بين السُّوَر، وكذا البحث عن الرّوابط والوشائج

التي تربط أفراد الأُسَر والتي أُحِبُّ أنا أن أسمِّيَها بالجينات التـي تميّـز الأُسْـرة عـن الأخرى.

الأمر الثّاني الذي تتكئ عليها نظريّة المقارنة؛ تتمثّل في نقـد بعـض القـدماء ممـن اهتمّوا بالمقارنات أو المناسبات، فقد ذكر الباحث أمحمّـد صـافي أنّ القـدماء تحـدثوا عن المناسبات بشكل عامّ دون التّعمق في البحث، ومن الـذين شـملهم هـذا النّقـد الفخر الرّازي (606ه) في كتابه مفاتيح الغيب، قال عنـه إنّـه تفطـن في وقـت مبكـر لوحدة الموضوع في السّورة (إلاّ أنّ الأمر عنده لم يتجاوز هذا الحدّ، ولم يجعل الفخـر الرّازي هذا الأسلوب ديدنه في تفسير جميع سُوَر القـرآن الكـريم، إذن لوَصَـلَنا منـه خير كثير في هذا الحقل القرآنيّ الخصب، وهذا يدل أيضا على أن المسألة لم تنضـج في ذهنه في ذلـك الـزّمن المبكّـر، وهـو نهايـة القـرن الخـامس الهجـريّ)[33] ثـمّ تحـدث باقتضاب عن الغرناطي الذي حَسْبَهُ لم يخرج في حديثه عن المتشابه اللفظيّ، ثمّ ذكـر شيخ المناسبات القرآنيّة الإمـام البقـاعي في كتابـه البـديع (نظـم الـدُّرر في تناسـب الآيات والسُّوَر) وقال عنه بأنّه بالرغم من أنّه تفطـن لوحـدة الموضـوع في السّـورة وأنّ السّورة كالعقد الواحد في تناسق الآيـات وانسـجامها؛ إلاّ أنّـه لم يلتـزم بمـنهج الكشف عن الغرض العامّ للسّورة في بداية تفسير كلّ سورة، وإنّما اكتفـى بالحـديث العامّ عن السّورة، وعن أهمّ ما تناولـت وعـن كونهـا مـن القـرآن المكـيّ أو المـدنيّ وَأَوْلى عنايةً خاصة بـإبراز المناسـبات بـين الآيـات في السّـورة الواحـدة... وإيجـاد الخيوط الدّقيقة التي تقرب بين معانيها)[34] وفي الأخير أثنى عـلى بعـض المعـاصرين

الذين أشاروا بصورة واضحة إلى وحدة الموضوع كمحمّد عبده ورشيد رضا ومحمّد المدني وشلتوت والمراغي.[35]

وفي الحقيقة للباحث الحقّ والحريّة في نقد من سبقه ومن التحق به لتبرير فكرته لكن يجب تسجيل الملاحظات الآتية:

1. بالنّسبة للفخر الرّازي فلا يمكن الحكم على نظرته للمسألة من خلال مثال واحد أو اثنين، فمفاتيح الغيب يتكوّن من أكثر من ثلاثين جزءا يَفْرِضُ علينا أن نجوبه كاملا لإطلاق حكم موضوعيّ، وحسب قراءتنا للرّازي فإنّه تجاوز مسألة وحدة السّورة إلى وحدة النّص القرآنيّ، وهذه مسألة معقدة لا يزال أصحاب اللسانيات والخطاب والأسلوبية وتحليل النّصوص يبحثون عن خواصها وكيفيّة التّدليل عليها. وللرّازي عدّة مصطلحات في المسألة؛ فهو تارة يتحدّث عن المناسبة وتارة أخرى عن التَّعَلُّقِ، ثمّ يبحث في كلّ مرّة عن وجه النّظم في الآية أو السّورة وهو الذي شرب من معين الجرجاني فلخَّص كتابيه الدّلائل والإعجاز وفهم أنّ من أكبر مظاهر الإعجاز في القرآن هو التّرتيب والنّظم فقال عن سورة البقرة: (ومن تأمل في لطائف نظم هذه السّورة وفي بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظّم آياته)[36] ثمّ إنّ الرّازي لم يتحدث فقط عن وحدة الموضوع بل أجرى عشرات المقارنات بين الآي والسُّوَر المتقاربة والمتباعدة، واستنتج كثيرا من الأسرار الدّالة على الإعجاز.[37]

2. أما الحديث عن البقاعي وأنّه لم يلتـزم بمـنهج الكشـف عـن الغـرض العـامّ للسّورة في بداية كلّ سـورة فلـيس ذلـك دلـيلا عـلى إغفالـه لوحـدة الموضـوع ولا للمقارنات بين السُّوَر، فإشاراته مبثوثة في ثنايـا التفسـير يجـب البحـث عنهـا بدقّـة وبصفة استقرائية أيضا.

حاصل القول في هذه المسألة أنّ الباحث أمحمّد صافي قام بجولة في ثنايـا الـتّراث وعند المحدثين أيضا لبناء هذه النّظرية، وهذا المنهج في النّقد -وإن كـان مشــروعا- فهو يحتاج إلى أدلة كثيرة مع أمثلة دقيقة تكون مطردة حتى يتسنى لنا الحكـم النّهـائيّ على عمل أولئك بموضـوعية تامّـة. ثـمّ إنّ هنـاك عشــرات المؤلّفـات التـي ألّفهـا القدماء، وفيها جولات كثيرة في المقارنات بين المفردات في السُّوَر وهي مفـاتيح ربـما لكثير من الدّلالات في بحر المقارنات القرآنيّة.[38]

إنّ المنهج الاستقرائي في مثل هذه الأبحـاث يُعـد ضروريـا لـما يقتضـيه التّنظـير العلميّ لأيّ فكرة، والظّاهر أنّ الأسّس التي انطلقت منها نظريّة أمحمّـد صـافي مـن حيث النّظر إلى صنيع القدماء والمحدثين من الدّراسات السّابقة تحتـاج إلى سرد عـامّ وإحصاء دقيق لكلّ المؤلّفات التي تحـدثت عـن المقارنـات بـما فيهـا المناسـبات مـع فحصها ووضعها في إطارها الملائم.

نماذج تطبيقيّة لمقارنات أمحمّد صـافي: في البدايّـة سـنختار نموذجـا تطبيقيـا عـن التّجاذب اللفظيّ، ثمّ نموذجا عن التّشابه في الفواصل.

1. **نموذج التّجاذب اللفظيّ**: قال أمحمّد صافي عن هذا المصطلح إنّه يعني به (تجاذب الألفاظ المنبثقة من معين لغويّ واحد، أي الألفاظ التي تكون مشتقة من مادة معجميّة واحدة، وقد تَتَّحِدُ أو تختلف صِيَغُها... ثمّ تكون مستعملة في سياق واحد أو سورة بعينها متناغمة مع محورها الرّئيس منسجمة مع جَوِّها العامّ... وخصائصها اللفظيّة الأخرى، ونعني به أيضا تجاذب المواد اللفظيّة التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد).[39] ومن هذا المنطلق مضى أمحمّد صافي في بحثه عن أوجه التّجاذب بين الألفاظ، وقد قدم نماذج في غايّة الدّقة والرّوعة مثل التّجاذب في مادة (على آثار) ومادة (ردد) و(حجرا محجورا)، ونتيجة هذه الأداة استطاع الباحث أن يضع يده على دلالة التّجاذب. ففي مادة المصدر الموصوف (حِجْرًا مَحْجورا) اكتشفت المقارنة أنّ هذه المادة وردت في القرآن الكريم مرتين فقط وفي سورة واحدة وهي الفرقان، وذلك في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ الفرقان، الأيّة: 22، وفي قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾الفرقان، الأية: 53. يرى أمحمّد صافي أنّ هناك تشابها كبيرا بين مقامي الآيتين، فالأولى تتحدّث عن أهل النّار حين يفصل بينهم وبين النّجاة من النّار، والثّانية عبارة عن توضيح دقيق وواقعي لذلك الفصل الواقع لا محالة بين أهل النّار والنّجاة، حيث أنّها تشبه تماما الفصل بين بحرين؛ أحدهما ماؤه عَذْبٌ فُرات والآخر ماؤه مِلْحٌ أُجاج. يقول أمحمّد صافي (وهذا التّشابه بين المقامين أدَّى إلى التّجاذب بين التّعبيرين في السّورة ذاتها، وهذا ما نقصد إليه حين نتحدث عن ظاهرة التّجاذب اللفظيّ في السّياق الواحد وفي السّورة الواحدة).[40] فهذه هي التّقنية التي

يعتمدها الباحث في العثور على المقارنات وهذا ما أوصله إلى تحليله البديع في العلاقة بين سورتَيْ الكهف والجنّ كما سنرى في الفقرة الآتية.

2. **نموذج عن التّشابه في الفواصل**: من أروع نتائج المقارنات بين السُّوَر ما أجراه الباحث أحمّد صافي على سورتي الكهف والجنّ، وقد توَصَّل إلى نتائج بديعة لم يَسْبِقْهُ إليها أحد، وهي مظهر جَلِيٌّ من مظاهر الإعجاز البياني، فبعدما قدم قراءة متأنيّة للسّورتين من حيث أسباب النّزول وأهمّ موضوعات السّورتين؛ طفق الباحث في عرض التّجاذب اللفظيّ بين السّورتين معتمدا على التّشابه في الفاصلة فلما وجد أن السّورتين تتشابهان في الفاصلة التي تنتهي بحرف الدّال (أحدا، ولدا أحدا، رصدا...) بل وتتشابه في ذكر مواد لفظيّة بعينها مثل (رشدا أحدا ملتحدا...) ثمّ بعدما اكتشف أن هناك تشابها في كثير من الآيات في السّورتين مثل ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾الكهف، الأية: 38 و﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ الجنّ، الأية: 20، وبعد فحص دقيق للسّورتين؛ أجابنا الباحث عن السّؤال اللغز الموجود في مطلع سورة الكهف ألاّ هو قوله تعالى:﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف الأية: 9، وهنا يكّمن سرّ نظريّة أحمّد صافي حيث استطاع أن يجيب على هذا السّؤال العجيب الموجّه في الخطاب إلى سيدنا محمّد ﷺ وفحواه: أم حسبت يا محمّد أنّ قصّة أصحاب الكهف أمر عجيب؟ والإجابة المنطقيّة هي: لا تتعجب من هذه القصّة لأنّه يوجد أمور أعجب منها. بعض المفسّرين –وانطلاقا من علم المناسبات– قالوا إنّ الأمر العجيب الذي يفوق

قصّة الكهف موجود في السّورة التي تليها مباشرة وهي سورة مريم، والشّيء العجيب المذكور في سورة مريم هو ولادة عيسى عليه السلام من غير أبّ وهذا ما ذهب إليه الغرناطي وغيره عندما نظروا من زاوية فنّ المناسبة بين السّورتين، لكن أمحمّد صافي قال إنّ الإجابة ليست في سورة مريم، وإنّما هي في سورة الجنّ، لماذا؟ لأنّ الجنّ أكّدوا أنّ القرآن ذاته هو أكثر عجبا من كلّ شيء، قال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ الجن الأيتين: 1، و2، فكيف وصل أمحمّد صافي إلى هذه النّتيجة البديعة؟ والإجابة أنّه وصل إليها بعدما اكتشف أنّ هناك تجاذبا لفظيا بين السّورتين أظهره التّشابه الكبير في الفواصل وبعض الآيات. فلو قلنا مثلا إنّ مادة (ع ج ب) موجودة في سورتَيْ (ص) و(ق) في فواتحهما وتتحدثان عن القرآن الكريم ذي العجب فلماذا لا نُقارِنُهما بالكهف؟ والإجابة أنّ السّورتين (ص وق) تفتقران إلى التّجاذب اللفظي والتّشابه في الفواصل، أمّا سورة الجنّ ففيها تشابه واضح في موادها وآياتها مع سورة الكهف. فالأمر هنا يتجاوز المادة المعجميّة إلى التّشابه الواضح في الفواصل والآيات، فثبت بخاصيّة التّشابه في الفواصل العلاقةُ الأُسَريّة الوطيدة التي تجمع بين السّورتين فوقع الإعجاز البياني بالإجابة عن سؤال العجب في مطلع الكهف. وعلى مدى عشرين صفحة أبهرنا الباحث أمحمّد صافي بتحليله المقارن الدّقيق لهاتين السّورتين العجيبتين وخرج بنتائج مبهرة ماتعة.[41] ويا له من إعجاز ساحر يأخذ بالألباب.

خاتمة: بعد هذه الجولة السّريعة خلصنا إلى النّتائج الآتية:

1. المقارنة بين السُّوَر علم من علوم القرآن الكريم أسُّه الأوّل علم المناسبات.
2. الدّراسات المقارنة بين السُّوَر تُلحق بالتّفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم.
3. المقارنة بمفهوم هذا العلم يُقصد بها التّقابل والموازنة بين سُوَر القرآن الكريم في المطالع والفواصل.
4. ينتمي هذا العلم إلى مباحث الإعجاز البيانيّ واللغويّ للقرآن الكريم.
5. لهذا العلم مبادئ ثلاثة:
   - وجود أُسَر قرآنيّة؛
   - وجود تجاذب لفظيّ بين الأُسَر؛
   - إجراء المقارنة للبحث عن الرّوابط للوصول إلى الإعجاز البيانيّ.
6. مراحل المقارنة بين السُّوَر خمس:

- التّعريف بالسُّوَر المعنية بالمقارنة (التّسمية، وتاريخ النّزول ومكانه، وعدد الآيات، والأجزاء، وترتيبها في المصحف، وفي النّزول).
- عرض موضوعات السّورة، وأغراضها، وقصصها، والبحث عن موضوعها الرّئيس الجامع.
- ذكر سبب نزولها.
- البحث عن التّشابه والتّجاذب اللفظيّ في الفواتح أو الفواصل.
- إجراء المقارنة والنّتائج.

7. يحتاج هذا العلم إلى التّفريق الدّقيق بينه وبين علـوم القـرآن الأخـرى التـي تشتغل على آليّة المقارنة وهي: المناسبات، الوجوه والنّظائر، المشترك اللفظيّ المطـالع والخواتيم، الفواصل، الآيات المتشابهات.

8. يجـب حصــر وإحصـاء كـلّ الدّراسـات والأبحـاث - في علـوم القـرآن والتّفسير قديما وحديثا- التي استعانت بآليّة المقارنة كأداة في دراسة السُّـوَر القرآنيّـة لأنّ التّراكمية تساعد على تأسّيس العلم على مبادئ قويّة.

9. يجب تحديد أطر هذا العلم، وميدان عمله وشروطه ومراحـل البحـث فيـه بشيء من التّفصيل، مع وضـع شروط للبـاحثين فيـه حتـى لا يتناولـه المتحمسـون ضعيفو اللغة، فيتكلفون فيه كما حذر الأولون.

10. قد يفتح هذا العلم أبوابا أخرى في الإعجاز البياني والتّفسير الموضوعيّ.

11. يعد الباحث أمحمّد صافي المستغانمي مؤصلا أوّلا لهذا العلم بالنّظر للنتـائج المهمّة التي توَصَّل إليها في مؤلفه (جـواهر الـدُّرر في علـم مقارنـات السُّـوَر، رؤيـة تأصيليّة للرّوابط المضمونيّة واللفظيّة لمجموعات الأُسَر القرآنيّـة). والله تعـالى أعـلى وأعلم. وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الإحالات والمصادر والمراجع:

[1]– الدّكتور أحمّد صافي المستغانمي باحث جزائريّ مختصّ في البلاغة العربيّة، اشتغل في التّعليم بالجزائر ثمّ انتقل إلى الإمارات العربيّة المتّحدة حيث عين أمينًا عامًّا للمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة ومنها بعث المشروع الكبير (المعجم التّاريخي للّغة العربيّة). له اهتمام كبير بالدّراسات القرآنيّة، يبث أبحاثه وأفكاره في عديد البرامج التّليفزيونيّة في الشّارقة وغيرها، صدر له مجموعة من المؤلّفات في فنّون مختلفة كالخطابة والفصاحة والتّربية لعل من أهمّها: جواهر الدُّرر في علم مقارنات السّور بلاغة النّظم في لغة الجسد في القرآن الكريم، كيف تصبح فصيح اللسان وغيرها من المؤلّفات الثّمينة.

[2]– صدر الكتاب عن دار ابن كثير، بيروت، في طبعته الأولى سنة 2018. ويقع في 488 صفحة.

[3]– جلال الدّين السّيوطي، الإتّقان في علوم القرآن، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيّأة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ط1، 1974، ج3، ص 284.

[4] – أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكّر، بيروت، ط1، 1070، مادة (ق ر ن).

[5] – مرتضى الزّبيدي، تاج العروس، تح مجموعة من المحققين، دار الهدايّة، بيروت، د ت، مادة (ق ر ن).

[6]– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، 2008، مادة (ق ر ن).

[7]– فهد بن عبد الرّحمن بن سليمان الرّومي، اتجاهات التّفسير في القرن الرّابع عشر، إدارات البحوث العلميّة والافتاء والدّعوة والارشاد، السّعودية، ط1، 1986، ج3، ص862.

[8] – أحمّد صافي المستغانمي، جواهر الدّرر في علم مقارنات السّور رؤيّة تأصيليّة للرّوابط المضمونيّة واللفظيّة لمجموعات الأُسَر القرآنية، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 2018. ص 24.

[9]– م ن، ص 24.

[10]– م ن، ص 25.

[11]– نور الدّين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصّباح، دمشق، ط1، د ت، ص8.

[12]– انظر: عبد القادر محمّد منصور، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربيّ ط1، 2002 ص 188.

[13]– انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، السّعودية ط3 2000، ص 353.

[14]– كالمناسبة بين اسم السّورة وموضوعها، المناسبة بين مقدمة السّورة وخاتمتها، المناسبة بين مقدّمة السّورة وخاتمة ما قبلها، المناسبة بين خاتمة السّورة ومقدمة التي تليها، ومناسبة موضوع السّورة بموضوع السّورة التي قبلها والتي تليها إلخ... من أوجه المناسبات.

[15]– جواهر الدُّرر، م س، ص 23.

[16]– م ن، ص 24.

[17]– الإتّقان في علوم القرآن، م س، ج2، ص 144.

[18]– م ن، ج3، ص 334.

[19]– م ن، ج3، ص 350.

[20]– م ن، ج3، ص 352.

[21]– لمزيد من التّفصيل ينظر: م ن، ج3، ص 361.

[22]– انظر: م ن، ج3، ص 363. وقد جمع أبو شامة كلّ ذلك في هذين البيتين:

أَثْنى عَلى نَفْسِهِ سُبْحانَهُ بِثُبُو
تِ الحَمْدِ والسَّلْبِ لَمّا استفتح السُّوَرا

وَالأَمْرُ شَرْطُ النِّدا والتَّعْليلُ والقَسَمُ الدُّ
عا حُروفُ التَّهَجِّي اسْتَفْهَمَ الخَبَرا

[23]– موسوعة علوم القرآن، م س، ص 261.

[24]– الإتّقان في علوم القرآن، م س، ج3، ص 366.

[25]– م ن، ج3، ص369.

[26]- ذكر السّيوطي أن العزّ بن عبد السّلام حذّر من التّكلف، وأن أبا العلاء محمّد بن غانم قال: لم يقع منه (أي علم المناسبة) في القرآن شيء لما فيه من التّكلف. انظر: الإتّقان في علوم القرآن، م س ج3 ص373. أمّا الشّوكاني فقد كان نقده لهذا الفنّ لاذعا فقال: (أعلم أنّ كثيرا من المفسّرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التّكلم بمحض الرّأي المنهيّ عنه في الأمور المتعلّقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنّهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنيّة المسرودة على هذا التّرتيب الموجود في المصاحف فجاؤوا بتكلُّفات وتَعَسُّفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرّب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتّصنيف وجعلوه المقصد الأهمّ من التّأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره...) انظر: الشّوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير بيروت، ط1، 1414هـ، ج1، ص86.

[27]- الإتّقان في علوم القرآن، ج3، ص369.

[28]- م ن، ج3، ص389.

[29] -جواهر الدُّرر، م س، ص 17.

[30]- لم يوضح لنا الباحث لماذا أحالنا إلى هذا المؤلّف بعينه، وقد حاولنا البحث عنه لنفهم هذه الإحالة فلم نعثر على أثر له.

[31]- جواهر الدُّرر، م س، ص 19.

[32]- م ن، ص 20.

[33]- م ن، ص 13. والصّواب نهايّة القرن السّادس للهجرة وليس الخامس، فالرّازي توفي في مطلع القرن السّابع بتاريخ (606ه)، وأتمَّ كتابة مفاتيح الغيب قبل وفاته بقليل.

[34]- م ن، ص 14.

[35]- سيد قطب إشارات قويّة في وحدة الموضوع مبثوثة في تفسيره في ظلال القرآن، ومن أقواله في المسألة: (يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أنّ لكلّ سورة من سوره شخصيّة مميّزة (شخصيّة لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيّ مميّز الملامح والسّمات والأنفاس) ولها موضوع

رئيس، أو عدّة موضوعات رئيسة مشدودة إلى محور خاصّ. ولها جوّ خاصّ يظلل موضوعاتها كلّها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقّق التّناسق بينها وفق هذا الجو. ولها إيقاع موسيقي خاصّ، إذا تغير في ثنايا السّياق؛ فإنّه يتغيّر لمناسبة موضوعية خاصّة. وهذا طابع عامّ في سور القرآن جميعا). انظر: سيد قطب، في ظلاّل القرآن، دار الشّروق، 1973، ج1 ص27.

[36]– فخر الدّين الرّازي، مفاتيح الغيب أو التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت ط3 1420هـ، ج7، ص106.

[37]– انظر: نوار عبيدي، التّفكير اللسانيّ عند فخر الدّين الرّازي في مفاتيح الغيب؛ دراسة في النّحو والدّلالة، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2011، ص 268 وما بعدها.

[38]– وعلى سبيل المثال لا الحصر انظر كتاب (أسرار التّكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) لبرهان الدّين الكرماني (505ه)، وانظر: (مسائل منثورة في التّفسير والعربيّة والمعاني) لعبد الله بن بري (522ه)، وانظر: (هدايّة المرتاب وغايّة الحفاظ والطّلاب في تبيين متشابه الكتاب(للسّخاوي) (643ه)، وانظر: (كشف المعاني في المتشابه من المثاني) لبدر الدّين بن جماعة (733ه)، وعند المحدثين انظر: (في ظلال القرآن) لسيد قطب، وانظر: (مصابيح الدُّرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسّور) لعادل بن محمّد أبو العلاء، وانظر: (مباحث في التّفسير الموضوعيّ) لمصطفى مسلم وفيه تطبيق مفيد في التّفسير الموضوعيّ لسورة الكهف، وغيرهم كثير من الذين تحدثوا عن الوحدة الموضوعيّة للسّورة، وعن المقارنات الكثيرة بين الآي والسّور وبمناهج متنوّعة.

[39]– جواهر الدُّرر، م س، ص 35.

[40] – م ن، ص43.

[41] – م ن، من ص 307 إلى 328.

تم إخراج وطبع بـ :



للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر
ها : 07.71.52.50.50 /05.50.54.83.07

البريد الالكتروني: inma.book@yahoo.com